

قوله العاصم والباقر في نسخة

مختصر في الامام علي

تأليف
سماحة العلامة الفاضلة السيد محمد الحسين بن علي النعماني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ لِكُلِّ فِتْنَةٍ كِتَابًا﴾

دار المجرة البيضاء

مَجْلَدُ الْمَعْرِفَةِ وَالْمَعَارِفِ
٢

مَعْرِفَةُ الْأَمْثَلِ

تَأَلَّفَ

سَمَاحَةُ الْعَلَامَةِ آيَةُ اللَّهِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِ الْحُسَيْنِيِّ الظَّهْرَانِيِّ

لِلْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ

تَرْجُمَةُ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ مَسْعُودٍ الْحُسَيْنِيِّ الْبَغْدَادِيِّ

وَلِلْمَجْمَعَةِ الْبَيْضَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هوالمزین

امام شناسی

بحث های تفسیری ، فلسفی ، روایی ، تاریخی اجتماعی

در باره امامت و ولایت بطور کلی
و در باره امامت و ولایت امیرالمؤمنین علی بن ابیطالب

و ائمه معصومین سلام الله علیهم اجمعین بالخصوص

درس های استدلالی علمی فقهی از قرآن کریم

و روایات وارده از خاصه و عامه ؛ و ابیات حلی و نقضی

پیرامون ولایت

لمرئفہ الحقیر :

سید محمد حسین حسینی طهرانی

بحق عنده

هو العزيز

معرفة الإمام

بحوث تفسيرية، فلسفية، روائية، تاريخية، اجتماعية

حول الإمامة والولاية عموماً؛

و حول إمامة و ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

و الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين

خصوصاً

دروس استدلالية و علمية متخذة من القرآن الكريم

وروايات مأثورة عن الخاصة والعامة؛ وأبحاث حالية ونقدية

حول الولاية

لمؤلفه الحقيق

السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

عفي عنه

الفهرست

فهرس المطالب و الموضوعات

معرفة الامام

المجلد الأول

المطالب	الصفحة
المقدمة المؤلف :	من الصفحة ٣ إلى الصفحة ٥
الدرس الأول	

عصمة الأنبياء و الأئمة عليهم السلام

من الصفحة ٩ إلى الصفحة ٢٤

يشمل الموضوعات التالية :

- ١١ الإختلاف الأساسى بين الشيعة و السنة
- ١٥ آيات القرآن تدلّ على ثلاث مراحل من عصمة الأنبياء
- ١٩ مناظرة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبّيد فى لزوم وجود الإمام فى المجتمع
- ٢٣ بكاء جميع الموجودات فى عزاء شهادة سيّد الشهداء

الدرس الثانى :

بيان أصل الوراثة فى العصمة

من الصفحة ٢٧ إلى الصفحة ٤٥

يشمل الموضوعات التالية :

- ٢٩ اصل الوراثة من السنن الإلهية غير القابلة للتغيير

- ٣١ شمول قانون الوراثة للمعنويات و الأسرار الإلهية
- ٣٣ انتقال النور الإلهي والحقيقة المحمدية بعد النبي الأكرم إلى أمير المؤمنين
- ٣٥ كلام الها تف لآدم في انتقال النور الإلهي منه إلى الأئمة عليهم السلام
- ٣٧ تفسير آية « ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا »
- ٣٩ من هم المعنويون بـ (عباد الله المصطفين الذين ورثوا الكتاب)
- ٤١ روايات علماء أهل السنة المشهورين في مقام أمير المؤمنين عليه السلام
- ٤٥ مضامين زيارة السيد الشهداء عليه السلام في الأول من رجب

الدرس الثالث :

في امتيازات العباد المصطفين

من الصفحة ٤٩ إلى الصفحة ٦٦

يشمل الموضوعات التالية :

- ٥١ عباد الله المخلصون يمكنهم حمد الله كما يليق بشأنه
- ٥٣ عدم منافات هذا المقام مع جملة (مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ)
- ٥٥ عباد الله المخلصون مصانون عن المعصية
- ٥٧ المراحل الثلاث لعصمة الأنبياء
- ٥٩ مقام أمير المؤمنين عليه السلام
- ٦١ فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين
- ٦٣ كيفية ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة
- ٦٥ تسمية أمير المؤمنين عليه السلام

الدرس الرابع :

لزوم عصمة الأنبياء و الأئمة عليهم السّلام

من الصفحة ٦٩ إلى الصفحة ٨٣

يشمل الموضوعات التالية :

- ٧١ الصفات المعتدلة للإنسان
- ٧٧ اثبات عصمة المقرّبين من الله من القرّان الكريم
- ٧٩ عصمة أمير المؤمنين عليه السّلام
- ٨٣ ردّ أمير المؤمنين عليه السّلام على اعتراض فاطمة عليها السلام

الدرس الخامس :

العصمة أمرٌ موهبيّ

من الصفحة ٨٧ إلى الصفحة ١١٠

يشمل الموضوعات التالية :

- ٨٩ قوّة العصمة في الأنبياء حاكمة على وجودهم في جميع الأحوال
- ٩١ عصمة أمير المؤمنين عليه السّلام
- ٩٣ آية الإنذار و حديث العشيرة
- ٩٥ صحّة سند حديث العشيرة
- ٩٩ حديث العشيرة عند المستشرقين
- ١٠١ جنایات الطبری في نقل حديث العشيرة
- ١٠٥ إقتران الولاية مع التوحيد و الرسالة
- ١٠٧ أمير المؤمنين هو الناصر و المعين للنبيّ الأكرم في جميع مراحل الرسالة

الدرس السادس :

عصمة الأنبياء لا تتنافى مع اختيارهم فى فعل أفعالهم

من الصفحة ١١٣ إلى الصفحة ١٣٨

يشمل الموضوعات التالية :

- ١١٥ ملكة العصمة لا توجب جعل الأفعال اضطرارية
- ١١٩ بناء أساس عالم الوجود مبنى على اختلاف الموجودات
- ١٢٣ كمال كل موجود فى فعلية قابلية ذلك الموجود
- الأنبياء كانوا عالمين و مختارين فى جميع أفعالهم ، المعجز منها
- ١٢٥ و غير معجز منها
- إعطاء ملكة العصمة أمير المؤمنين للأنبياء ليس للآخرين ، ودلالة كلام ابن سينا
- ١٢٧ على ذلك
- ١٢٩ إثبات عصمة أمير المؤمنين عن طريق اتحاد نفسه مع نفس رسول الله
- ١٣١ قصة ليلة المبيت و إثبات و تضحية أمير المؤمنين لرسول الله
- ١٣٥ نزول آية (و إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا..) فى ليلة المبيت
- ١٣٥ مباهاة الله ملائكته بإثبات أمير المؤمنين رسول الله بنفسه
- ١٣٧ أشعار أمير المؤمنين فى ليلة المبيت حسب رواية ابن عباس

الدرس السابع :

منصب الإمامة أعلي من منصب النبوة

من الصفحة ١٤١ إلى الصفحة ١٥٣

يشمل الموضوعات التالية :

- ١٤٣ إعطاء منصب الإمامة لإبراهيم كانت زمن شيخوخته
- ١٤٥ إعطاء مقام الإمامة لإبراهيم عليه السلام كان بعد نبوته

فهرس المطالب و الموضوعات

المطالب	الصفحة
هداية الموجودات على يد الإمام	١٤٧
تحقق أمير المؤمنين بمقام الإمامة و الولاية	١٤٩
حديث أنس في ولاية أمير المؤمنين	١٥١
مكر قريش بأمر المؤمنين	١٥٣

الدرس الثامن :

الولاية التكوينية للإمام بإذن الله علي نفوس السعداء و الاشقياء

من الصفحة ١٥٧ إلى الصفحة ١٧٥

يشمل الموضوعات التالية :

الإمامة هي الهيمنة على عالم الأمر	١٥٩
يجب أن يكون لدى الإمام قوة ملكوتية في الأمور	١٦١
معنى الروايات الواردة في ن علياً قسيم الجنة و النار	١٦٣
تفسير الإمام الرضا عليه السلام في مجلس المأمون في ن علياً قسيم الجنة و النار	١٦٥
معنى « الوسيلة » في رواية النبي الأكرم	١٦٧
المعاني المختلفة لـ (علي قسيم الجنة و النار)	١٦٩
الولاية تظهر السرائر السليمة و السيئة	١٧١
أشعار السيد الحميري و دعل الخزائي في رواية « علي قسيم الجنة و النار »	١٧٣
رواية عمّار بن ياسر عن رسول الله في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام	١٧٥

الدرس التاسع :

فى معنى الولاية التكوينية

من الصفحة ١٧٩ إلى الصفحة ١٩٣

يشمل الموضوعات التالية :

- ١٨١ زوال عالم اليقظة عند النوم ، و بالعكس
- ١٨٣ تحقيق فى معنى الصراط
- رواية (لَا يَجُوزُ أَحَدُ الصُّرَاطِ إِلَّا مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلَى الْجَوَازِ) بالطرق المختلفة
- ١٨٥
- ١٨٧ كلام المرحوم العلامة العسكرى فى رواة هذه الرواية من العامة
- ١٨٩ توضيح معنى الرواية المذكورة
- ١٩١ فى أشعار السيد الحميرى
- ١٩٣ مدح أمير المؤمنين عليه السلام لقبيله همدان اليمينيين فى صفين

الدرس العاشر :

لزوم الإمام الحى لتمتع القلوب

من الصفحة ١٩٧ إلى الصفحة ٢١٤

يشمل الموضوعات التالية :

- ١٩٩ قلب الإمام مركز إفاضة العلوم
- ٢٠١ الشيعة تعتبر أساس تعاليم الإسلام قائم على الإمامة
- ٢٠٣ حقيقة الأنهار الجارية فى الجنة
- الأنهار الأربعة الجارية فى الجنة : أنهار الماء ، اللبن ، الخمر ، والعسل
- ٢٠٥ المصفى
- ٢٠٧ نهر الزنجبيل و عين الكافور

- ٢٠٩ عين التسليم تجرى تحت أقدام أمير المؤمنين
٢١١ ساقى الحوض الكوثر
٢١٣ أشعار السيّد الحميرى فى حوض الكوثر و ساقيه

الدرس الحادى عشر :

معنى وحي الخيرات إلى الأئمة

من الصفحة ٢١٧ إلى الصفحة ٢٣١

يشمل الموضوعات التالية :

- ٢١٩ وحي الخيرات إلى الأئمة
٢٢١ تحقق شرائط الإمامة
٢٢٢ ثورة زيد بن على بن الحسين لم يكن بأمر من الإمام
٢٢٥ الرواية فى اتحاد نفس الرسول الأكرم مع نفس أمير المؤمنين
٢٢٧ الخصال الموجودة فى أمير المؤمنين
٢٢٩ رفع الشبهة فى أنّ خصائص مقام الولاية منافية لقدرة الله تعالى
٢٣١ مقام الولاية هو ظهور الصفات و الأسماء الإلهية

الدرس الثانى عشر :

الهداية إلى الحقّ تلزم للعصمة

من الصفحة ٢٣٥ إلى الصفحة ٢٤٩

يشمل الموضوعات التالية :

- ٢٣٧ لزوم اتباع الحقّ
٢٣٩ لزوم اتباع الإمام المعصوم مبنى على أصل لزوم اتباع الحقّ

- ٢٤١ روايات أهل السنة في معية عليّ للحقّ و الحقّ لعلّيّ
- ٢٤٣ تذاكر علقمة و الأسود و أبي أيّوب الأنصاري في خلافة عليّ
- ٢٤٥ رواية ابن عباس في معية عليّ للحقّ و الحقّ لعلّيّ
- ٢٤٧ سبب مخالفة المعاندين لخلافة أمير المؤمنين عليه السّلام
- ٢٤٩ إعتراف عُمر بمقام أمير المؤمنين في روايات أهل السنة

الدرس الثالث عشر:

معني هداية الأئمة ، و شرائط الهادي إلي الحقّ

من الصفحة ٢٣٥ إلى الصفحة ٢٧٤

يشمل الموضوعات التالية :

- ٢٥٥ الإمام يجب أن يكون مهتدياً إلى الحقّ ، و في ذلك شروط ثلاثة
- ٢٥٧ سبع مسائل من أمّهات مسائل الإمامة
- ٢٥٩ الإمام يجب أن يكون معصوماً حتماً و مؤيداً من قبل الله تعالى
- ٢٦١ أفضلية الإمام عليّ أفراد البشر في الملكات النفسانية
- ٢٦٣ روايات « عَلِيُّ خَيْرُ الْبَشَرِ »
- ٢٦٥ بيانات جبرئيل في هيئة دحية في أمر ولاية أمير المؤمنين
- ٢٦٧ إظهار أبي بكر ندمه من الخلافة
- ٢٦٩ خمسة إشكالات علي خطبة أبي بكر
- ٢٧٣ تأسف أبي بكر عند موته علي تسعة أمور

الدرس الرابع عشر :

لزوم اتباع العلم

من الصفحة ٢٧٧ إلى الصفحة ٢٩١

يشمل الموضوعات التالية :

- ٢٧٩ تحقيق في معنى كلمة لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
- ٢٨١ الإمام يجب أن يكون أعلم أفراد الأمة
- عاقبة أمر كل أمة تولّى أمرها رجلاً و فيهم أعلم منه سيؤول الى السفال
- ٢٨٣ و الفساد
- ٢٨٥ أمير المؤمنين كان أعلم الأمة
- ٢٨٧ إعتراف عمر بأعلمية أمير المؤمنين عليه السلام
- ٢٨٩ تأسف ابن عباس من منعهم الإتيان بالصحيفة إلى رسول الله عند ارتحاله
- ٢٩١ منع عمر من الإتيان بصحيفة و دواة لرسول الله

مُقدِّمةُ المؤلِّفِ

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً أزلّياً و ثناءً لا ينفد و لا يتناهى مختصاً بالله عزّوجلّ ، الذى أوجد بحكمته البالغة عالم الخلقة من كَثَمِ العدم ، و خلع عليه رداء الوجود ، و اختار بنى ءادم من بين تلك العوالم بجامعيّة منطق العقل و الإحساس ، فشرّفهم لذلك بشرف التكليف و المسؤولية و الإلزام .

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا .

و سلاماً لا حدّ له ، و تحيّة و إكراماً لا حصر له ، لقادة تربية البشريّة الذين جعلوا - بنشرهم لواء الحمد الإلهيّ - النور الساطع للإيمان و الإيقان متجلّياً فى قلوب أفراد البشر ، و الذين أشعلوا فى كيان الأرواح مشعل التوحيد و الولاية ، ليتمكّنوا البشر أصحاب النفوس الهيولانيّة و القوة و القابليّة غير المحدودة فى طريق التمكين بالحقّ . و خاصّة خاتم النبيّين مُحَمَّد بن عبدِالله و وصيّهِ الكريم سيّد الوصيّين علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليهما ، حاملاً لواء الحمد و حائزاً مقام الشفاعة الكبرى ، و ائمّة المعصومين ، لا سيّما بقيّة الله فى الأرضين الحُجّة بن الحسن العسكريّ عجلّ الله تعالى فرجه الشريف ، الذين كانوا المظهر التام للأسماء الالهية : الجماليّة و الجلالية ، و الآيات الكاملة لأنوار الأحديّة و الواحدية ، و المرايا الكبرى للحقّ ، و الخلفاء العينيّين للبارى تعالى شأنه العزيز ، و واسطة الفيض و إشراق النور الأزلّى على هياكل الوجود و ماهيّات

الإمكانية .

اولئك الذين كانوا في الولاية التكوينية مرءاةً تامّة للجمال الالهي والجلال الأزلي، واللؤلؤ المنير المفيض لنور الأحدية على عالم ما سواهم؛ وفي الولاية التشريعية باب الشريعة ومنهل الإلهام ، و الأخذ للأحكام من مصدر التشريع و الحقائق .

و باعتبار أنّ مسألة الإمامة و الولاية من أهمّ المسائل الحياتية ؛ و باعتبار ان جميع جهات القابليات الإنسائية ستقوى و تنمو - بمعرفة هذه الحقيقة - في مدارج الكمال و معارجه ، بينما سيسبّب الجهل بهذه الحقائق و عدم اتباعها حرف القابليات و الإمكانيات و جعلها تنصبّ في مسير الانحراف ، و في اضمحلالها في المستنقعات العفنة للماديات و الشهوات . لذا فقد منّ الله تبارك و تعالى على هذا الحقير ، ليقوم في أيام شهر رمضان المبارك لسنة ألف و ثلاثمائة و واحد و تسعين هجرية قمريّة ببحث و مناقشة مسألة الإمامة و الولاية مع جمع من الأخلاء الروحانيين و الإخوة الإيمانيين .

و قد تقرّر ان يكون أساس البحث قائماً على الآيات القرآنية . و لأهمية الموضوع بالنسبة للاخوة من أهل السنّة ، فقد تقرّر الاستفادة من فنّ الجدل ، و النقل من روايات و تواريخ العامّة ، مع الاستفادة إجمالاً من روايات الخاصة كذلك .

و كان متصوراً أنّنا سنستطيع انهاء دورة كاملة من هذا البحث في شهر رمضان المبارك ، إلّا أنّ الشهر قد تصرّم، و لم يجر بيان أكثر من سدس ممّا كان في النية بيانه ، بالرغم من أنّه قد جرى كلّ يوم الكلام و البحث الوافي في الأمر .

و كان من الألفاف السنيّة للخالق اللطيف أنّ التوفيق قد شملني في

نفس شهر رمضان ، لأقوم في المنزل بكتابة و جمع مذكرات البحث .
ثم انقضت سنواتٌ أربع على هذا الأمر حُرمتُ خلالها من جمع مسائل الإمامة - بشكل منظم و مرتب طبعاً - حتّى شملتني من جديد الألفاظ الخفيفة لله عزّوجل في شهر رمضان المبارك لسنة ألف و ثلاثمائة و خمس و تسعين ، فاستأنفنا البحث السابق في أيام الشهر مع الأعزاء الإيمانيّين و الإخوة الروحانيّين ، فتمّ الى نهاية الشهر مناقشة و تدوين سُدسٍ آخر من البحوث ، فصار مجموع ما جرى بحثه و كتابته في شهري رمضان هذين ثلث ما في نظرنا .

وها نحن نقدّم مجموع هذه الكتابات التي جُمعت في مجلّدات أربعة لمطالعة أصحاب النظر و البصيرة .

و الأمل أن يوفّقنا الله جلّت أسماؤه لبحث و تحرير باقى الأبحاث ، بمحمّدٍ و آله الطّاهرين . و سيكون تمام هذه الأبحاث في حدود اثني عشر مجلّداً تشكّل قسم « معرفة الإمام » من دورة العلوم و المعارف الإسلاميّة ، حيث سيتمّ تدوينها و تحريرها في هيئة دروس سيكون مجموعها في حدود مائة و ثمانين درساً .

و باعتبار أنّ هذه الدروس ستكون في خصائص الإمام و شروط القيادة و الزعامة و الحكومة ، و في لزوم العصمة للأئمة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين ؛ فانه سيجزى البحث و المناقشة - ضمناً - في شرائط النبوة و لزوم العصمة و آثار و خواصّ الأنبياء أيضاً . و فى الحقيقة فإنّ هذا البحث بحث كامل و شامل يشمل أيضاً البحث في النبوة العامّة و يُغنينا عن ايراد بحث مستقلّ لها .

نشكر الله سبحانه الذى منّ علينا بهذه الموهبة لنسعى فى هذه البحوث قدر الوسع ، و فى حدود ظرفيّة الحقيّر البسيطة ، و لنقدّم مجّاناً

ما جاء في الأبحاث و المطالعات و الدراسات و المذكرات في طبق
اخلاص ، فنضعه في مرأى و منظر من اخوتى و نظرائى فى الإنسانية .
فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ وَ لَهُ الشُّكْرُ وَ ءَاخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛
وَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ ءَالِهِ الطَّاهِرِينَ .

السيد محمد الحسين الحسينى الطهرانى

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ

عِزَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُولِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

بسم الله الرحمن الرحيم
و صلى الله على محمد و آله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين
و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم فى كتابه الكريم :

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ
مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ
إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ .^١

أساس الاختلاف بين الشيعة و السنة:

انَّ أساس الاختلاف بين الشيعة و السنة ينحصر فى مسألة الولاية ،
فالشيعة يقولون لَّ الامام يجب أن يكون معصوماً و مُنصباً من قبل الله
سبحانه و تعالى ، بينما يقول السنة لَّ العصمة ليست من شرائط الإمام ، وأنَّ
الناس بإمكانهم أن يختاروا إماماً لهم فيتبعوه .

أمَّا بقيّة المسائل المُختلف عليها بين هذين الفريقين فمُتفرّعة
بأجمعها عن ذلك الأصل و تابعة له ؛ لأنَّ أرضيّة الاختلاف فى الأساس

١- الآية ٢١٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

(و الاصل) لا بدّ أن تؤدّى الى اختلافات كثيرة فى الفروع ، أمّا لو انتفى
الاختلاف فى الأساس ، فاتّحد هذان الفريقان فى المرام والمذهب ، فإنّ
الاختلافات فى الفروع ستنتفى بدورها وتتبع الأصل فى الوحدة .
و سنناقش هذه الأيام بعون الله وبالاستعانة بأرواح الطيّبين وأولياء
الله أساس هذه المسألة ، و سنبيّن شرائط الإمام من خلال كتاب الله
و النصوص الصريحة التى وردت عن رسول الله صلى الله عليه و ءاله ،
بحَوْلِ اللَّهِ وَ قُوَّتِهِ وَ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . و سنذكر
شاهدًا و مثالاً كمقدّمة من أجل توضيح هذا المعنى قبل الاستدلال بالأية
التى وردت فى مطلع البحث .

الإمام بمنزلة القلب فى جسم الإنسان:

هناك فى جسم الإنسان أجهزة متنوّعة و مختلفة يؤدّى كلّ منها
وظيفةً خاصّةً ، فالعين وظيفتها النظر ، و الأذن وظيفتها السّمع ، و الأنف
للتنفّس و الشمّ ، و اللسان للتذوّق و الكلام ، و اليد للأخذ و العطاء ، و الرجل
للمشى ؛ و كلّ هذه الأعضاء تسعى دائبةً لتنفيذ وظيفتها ، إلّا أنّها - من وجهة
نظر الحياة الماديّة - تستمدّ قوّتها من القلب .

ثمّ إنّ القلب يضخّ الدم الى جميع أعضاء الجسم و جوارحه ، فيمدّها
فى كلّ لحظة بحياة جديدة ، و يبقّيها - بهذا العمل - فى نشاط مستمرّ و حياة
دائمة . و لو حدث أن توقّف القلب للحظة واحدة و تخلّى عن مسؤوليّته ،
لأصبحت تلك الأعضاء و الجوارح الحيّة و النشيطة بالموت و الفناء و لتعطّل
دورها ، فتفقد العين رؤيتها ، و الأذن سَمْعَهَا ، و اليد حركتها ، كما تُشلّ
الرّجلُ و تفقد الإحساس .

و بناءً على هذا فإنّ فائدة القلب هى الإشراف و الزعامة و إيصال
الحياة الى كافّة أعضاء الجسم التى تخضع لإشرافه ، و لا يمكن لأحد ان

يُنكر حاجتنا للقلب بحجّة أنّ القلب لا يعمل شيئاً لأنه لا يرى ولا يسمع ولا يتكلّم ولا يكتب ولا ... ولا

و بحجّة أنّ لنا عينا نرى بها، وأذناً نسمع بها، ولساناً نتكلّم به، و يداً نكتب بها . فهذا الكلام خاطئ ولا محلّ له ، لأن العين والأذن واللسان مهيّئة بدون القلب لا دور لها ولا عمل ، وإنما وجد ذلك الإبصار فى العين ، والسمع فى الأذن بسبب قوّة القلب .

إنّ العين تتعرّض فى كلّ لحظة لألاف الأفات وحالات الفساد الخارجيّة ، و الأمر كذلك بالنسبة للأذن ولسائر الأعضاء الأخرى ، لكنّ القلب لا يفتّر لحظةً عن المراقبة والدفاع وإيصال الدم كطعام ودواء من أجل دفع الاعتداءات الخارجيّة وموجبات الفساد الأخرى والميكروبات المهلكة . لذا فإنّ العين والأذن تعيشان تحت ولاية و سلطان القلب الذى يمثّل الجهاز المنظّم لعمل تلك القوى ، و الذى يمدّ سائر أعضاء الجسم بالحياة .

أمّا من الناحية المعنوية ، فإنّ المخّ هو الذى ينظّم عمل هذه القوى والأعضاء ، فالعين ترى فقط ، أى أنّه اثر انعكاس النور فإنّ صورةً للشئ المرئى ستنعكس فى شبكيّتها ، أمّا ماهيّة هذا الصورة و ما الذى سنفعله بها ؟ فإنّ ذلك ليس من وظيفة العين ، بل من وظيفة المخّ الذى يأخذ هذه الصورة و يدقّق فيها و يهيّؤها لإستفادة الانسان .

لذا فإنّ الذين يتعاطون الخمر فيثملون ، او الذين يُصيبهم الإغماء او الجنون ، لم يحصل فى أعينهم نقصٌ ما ، بل إنّ عيونهم سليمة تعمل بوظيفتها جيداً فى عكس الأشعة و إظهار الصورة المرئيّة ، لكنّ جهاز المخّ و الفكر صار لا يعملان بوظيفتهما المعتادة ، لأنّ مجموعة الأعصاب التى تنقل الصورة الى المخّ قد تعطلّت عن عملها بوظيفتها ، فصارت سلسلة

الأعصاب توصل هذه الصورة الى المخّ فلا يستطيع تمييزها و الإفادة منها في محلّها .

لذا نشاهد أنّ الشخص الثمل لا يُميّز بين أخته و أمّه و زوجته ، فيحاول الإعتداء عليهنّ ، أو أنّه يتحرّك في معبر عامّ عارياً ، فلا يمكنه ان يشخص أنّ صورة المعبر التي كانت محفوظةً في قواه الذهنيّة سابقاً مطابقة لصورة هذا المعبر أم لا كي يحكم بعدم جواز الحركة في هذا المعبر عارياً .

و هذا الثمل السكران يهذى و يصيح بصوت عال ، و يعمل اعمالاً مُستهجنة أمام الآخرين ، و لا يأبى أكل الخبائث ، و لا يُبالى بارتكاب الجنایات ، بالرغم من أنّ قواه السميّة و الذوقيّة و الشميّة تعمل بوظيفتها . و ذلك لأنّ جهاز المخّ المنظّم و المراقب لا يعمل بوظيفته في هذه الحالة لأنّه قد تعطلّ . لذا فأنّه لن يعجز فقط عن الرؤية و تمييز الأشياء ، أو أن يسمع بأذنه و يعمل بيده ، بل أنّه سيصرف هذه القوى في إهلاك نفسه و إفسادها ، و سيقطع بيده أغصان حياته و يستأصل جذورها .

و بناءً على هذا فإنّ وجود جهاز المخّ في الجسم أمر حيويّ من أجل استخدام هذه الأعضاء و الجوارح و أعمال كلّ منها في مواقع الحاجة ، و لتطبيق الصور الحاصلة مع الصور المحفوظة سابقاً في الذاكرة و الأحكام الصحيحة المترتبة عليها ، و لذلك نرى أنّ المجنون الذي فقد قواه العقليّة لا يترتّب على رؤيته و قوله و فعله لىّ نتيجة صحيحة .

و لو تركنا الإنسان جانباً فأننا سنجد في الحيوان كذلك قلباً و مخّاً لا يستطيع لىّ حيوان بدونهما الاستمرار في الحياة و في أداء وظائفه و لو كان ذا خلية واحدة .

و الأمر كذلك في الجمادات أيضاً ، فإنّ الشىء الذى يرسم لها وحدتها و يجعلها تحت خاصيّة و كيفيّة واحدة هو الروح و النفس الواحدة التي

كانت جارية فيها قبلاً . و لذا فأنها تمتلك خاصية واحدة و يُشاهد عنها اثار واحدة . و قد جرت الاستفادة من هذا الأمر فى التقنية و صناعة السيارات ، فاستطاعوا - بإيجاد آلات منظّمة و معدّلة - تنظيم حركة العجلات و المحركات .

اننا حين نريد ملء الساعة و نصبها ، فإنّ ضغط النابض سيكون قوياً فى البدء ، و سيحاول تحريك العجلات المستنّنة بسرعة ، أمّا حين يرتخى النابض و يقلّ ضغطه ، فأنه سيحاول تحريك تلك العجلات ببطء . و لهذا السبب فقد وضعوا فى الساعة جهازاً بإسم (البندول أو الرقاص) ليقوم بتنظيم الحركة ، بحيث تتحرّك الساعة فى كلّ الأحوال على منوال واحد ، سواءً كان ضغط النابض قوياً أو ضعيفاً ، فتتنظّم الوقت بشكل صحيح .

كما أنّ الماكينات البخارية المستعملة فى المعامل الكبيرة اذا خلت من المنظّم فأنها ستتحتطّم بأجمعها ، لأنّ قدر البخار سيولّد عند غليانه كمّيات ضخمة من البخار اذا ما اندفعت خلف المكابس فإنّ الآلات ستدور ائذاك بسرعة هائلة فتودى الى تحطّم الماكينة . أمّا حين تنخفض الحرارة فى قدر البخار فإنّ من الممكن ان تنخفض السرعة تبعاً لذلك . و لذلك يوضع فى هذه الآلات منظّم للضغط (ضابط للضغط) لينظّم وصول كمّيات البخار الى المكابس ، و لا يسمح بوصول الفائض من البخار الى المحركات ، بل يقوم بخزنه فى مخزن الذخيرة ليفيد منه عند انخفاض ضغط البخار ، فيرسله ائذاك مع البخار المولّد ، و بذلك تتحرّك المحركات بشكل منظّم و هادئ دائماً فى السرعة الخاصة المطلوبة .

و يحتاج المجتمع البشرى من أجل تعديل القوى و تنظيم الأمور و رفع الاختلافات بين الناس و منع التعديّات على حقوق الفرد و المجتمع ، و لهداية جميع الأفراد الى مقصد الكمال و الهدف من الخلقة و نيل المُنَى

من جميع القوى و الكنوز الالهية ، الى منظّم صحيح ، و إلّا لهلك المجتمع ولما استطاع أن يستفيد من كنوز الحياة .

ضرورة وجود الإمام المعصوم فى المجتمع :

انّ الإمام هو المنظّم لعالم الإنسانيّة و المجتمع ، لذا يتحتّم أن يكون ذا قوى متينة و أفكار صائبة و آراء قادرة ، ليكون مشرفاً على أعمال الأئمة و أفعالها ، و ليسوسها بالتنظيم و العدل .

و تسأل هنا : أيستطيع الإمام - ترى - أن يُصلح المجتمع اذا كان نفسه يُخطىء و يُتلى بالمعصية و الإثم شأنه شأن أفراد المجتمع الآخرين ، أو اذا كان مثلهم مُصاباً بالهوس و الشهوة ؟

أو يمكنه انذاك أن يرفع الاختلاف فيما بينهم ، فيُعطي كلّ ذى حقّ حقّه ، و يقف فى وجه الإعتداءات ، و يمنح العيش لجميع أفراد المجتمع ، و يعلمهم المعارف و الحقائق حسب استعدادهم و حاجتهم ، و يُبين لهم موارد الخطأ و الزلل فى سلوكهم الى الله و وصولهم الى مقصد الكمال ؟! كلاّ و حاشا !

و على هذا فانّ قائد المجتمع و زعيم الناس و إمامهم يجب أن يكون معصوماً عن الإثم و عارياً عن أى خطأ و زلل ، كما ينبغى أن يكون ناظراً الى الأحوال و الأفعال و الخواطر القلبية لكلّ واحد من أفراد الأئمة بفكر عميق متّسع ، و صدرٍ منشرح بنور الله ، و قلبٌ مُتّور بالتأييدات الغيبية .

على أنّ بعض العامة يقول بعصمة الأنبياء ، و بعضهم يقول بمرتبة ضعيفة من عصمتهم ، بينما ينكر البعض الآخر العصمة فيهم ، فلا يعتبرهم مصونين بأى وجه عن الأخطاء و المعاصى . الاّ أنّ الشيعة عموماً يشترطون العصمة للأنبياء بجميع معانيها ، كما يقولون بالعصمة للأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

عصمة الأنبياء على ثلاث مراحل :

و سنتحدّث في اثباتنا لهذا الموضوع عن عصمة الأنبياء ، فنثبتها من القرآن الكريم ، ثم نتحدّث عن الأئمّة عليهم السلام .
أمّا بشأن الأنبياء فنقول : إنّ العصمة مورد البحث في ثلاث موضوعات :

١ - في موضوع تَلَقَّى الوحي ، أي إنّ قلب النبيّ يجب أن يكون منزّهاً عن الخطأ عند نزول الوحي ، فيتلقّى ذلك الوحي كما نزل ، لا يزيد في التلقّي عليه ولا يُنقص ، ولا يجلّي في نفسه ذلك الوحي إلّا في حقيقته الواقعة .

٢ - في موضوع تبليغ الوحي : أي إنّ على النبيّ أن يبلغ الوحي كما أخذه ، دون أن يُخطئ أو ينسى فيما أوحى إليه ، و دون أن يزيد أو ينقص في أدائه للوحي شيئاً على صورته الحقيقيّة .

٣ - المعصية و الذنب : فالنبيّ لا يرتكب لى عمل يُخالف مقام العبوديّة لله أو يتنافى مع الاحترام أو يهتك حرمة مقام المولى ، سواءً في أقواله أو في أفعاله . و إجمالاً فإنّ هذه المراحل الثلاث يمكن تلخيصها في جملةٍ واحدة : أي وجود أمرٍ من جانب الله لدى الإنسان المعصوم يصونه عن الخطأ و المعصية .

أمّا الخطأ في غير هذه المواضع ، مثل الخطأ في الأمور الخارجيّة نظير الالتباسات التي تحصل في حواسّ الإنسان ، أو في إدراكات الأمور الاعتباريّة ، و نظير الخطأ في الأمور التكوينيّة من النفع و الضرر و الصلاح و الفساد ، فهي خارجةٌ بأجمعها عن محل النزاع و الكلام بين الشيعة و السنّة .

أمّا تلك المراحل الثلاث من العصمة فتدلّ عليها الآيات القرآنية ،

كقوله تعالى :

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ
مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ
إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ .^١

و تبين هذه الآية أن الغرض من إرسال الأنبياء و إنزال الوحي
و الكتاب أتما هو دعوة الناس الى الحق ، و هديهم الى طريق الحق
و الصواب في جميع موارد الاختلاف قولاً و فعلاً و اعتقاداً .
و هذا هو هدف الخلقة من بعث الأنبياء ؛ لأن الله تعالى لا يضل في
هذا القصد بمفاد الآية :

لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى .^٢

و هو بالغ أمره و هدفه ، لا يصدّه عنه رادع و لا يمنعه مانع ، بمفاد
الآية الشريفة :

إِنَّ اللَّهَ بِأَلْعِ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا .^٣

و مفاد الآية الكريمة :

وَ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .^٤

و ينبغي - بناءً على هذا - لحفظ الوحي عند إنزاله و إبلاغه و أدائه أن
يُصان الأنبياء من أى خطأ و زلل ، لأن قلب النبي إذا أخطأ عند تلقى الوحي

١- الآية ٢١٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- ذيل الآية ٥٢ ، من السورة ٢٠ : طه .

٣- ذيل الآية ٣ ، من السورة ٦٥ : الطلاق

٤- ذيل الآية ٢١ ، من السورة ١٢ : يوسف

أو تبليغه ، فإن الهدف من رسالته سيكون غير متحقق ، لأن المفهوم من الرسالة هو الدعوة الى الحق :

وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ .
و ستردد الأمر في حالة الخطأ بين أن يكون الله تعالى قد أخطأ
و نسي في انتخاب الرسول و طريقة إنزال الوحي على قلبه ، أو أن غرضه
كان الدعوة الى الحق لكنّه أخطأ في طريقة انزال الوحي على قلب النبي
على نحو لا يكون معه غرضة للتغيير و التبديل ؛ و هذا ليس صحيحاً
بمقتضى قوله تعالى :

لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى .

أو أن غرضه كان الدعوة الى الحق ، و لم يحصل في إجراء هذه
الدعوة أى خطأ و التباس ، و لكن ظهرت عوائق خارجيّة حالت دون
تحقيق أمر الله ، و هذا أيضاً مستحيل بمفاد الآية الكريمة :

إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ . و الآية :

وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

و بناءً على هذه المقدمات ، فإن الله سبحانه و تعالى يحفظ الأنبياء
حتماً من الخطأ و الالتباس في كيفية تلقى الوحي و إبلاغه ، و يطهر قلوبهم
و يُصَفِّيها بحيث ينعدم فيها اثر إنزال الوحي أى موج أو ارتعاش أو تزلزل
يكون باعثاً على قلب و تغيير كيفية و واقعية الوحي ، و بحيث لا يبقى فيها
أى أثر للإضطراب أو الإبهام الباعث على تأويل و تفسير الإدراكات
الواقعية على غير حقيقتها و واقعيتها . و هذا هو معنى حقيقة العصمة في
مرحلتى تلقى الوحي و إبلاغه . و أمّا في المرحلة الثالثة و هى صونهم
و عصمتهم عن المعاصى ، فمن الممكن - ببيان مقدّمة أخرى - أن نعتبر
دلالة الآية السابقة عليها دلالة تامّة . و هى أنّه لو عصى نبيّ أو ارتكب إثماً

فأنه سيكون بفعله هذا قد أجاز هذا العمل و أباحه لأئمة ، لأن العاقل لا يفعل شيئاً إلا إذا كان حسناً ؛ فإذا ارتكب المعصية في حال يأمر قولاً بخلافها ، فإن ذلك سيبيح على السقوط و التناقض ، و سيكون قد دعا بفعله و قوله الى أمرين متناقضين ، فهو يمنع الناس بقوله و كلامه من ذلك العمل ، ثم يثبت بفعله له إباحة ذلك العمل و يرخص لأئمة فيه .

و من المعلوم أن الدعوة الى المتناقضين ليست دعوة للحق ، لأن دينك المتناقضين سيطل أحدهما الآخر ؛ و الله سبحانه الذى يبعث الأنبياء للدعوة الى الحق لا يجعلهم دعاة الى الأمور المتناقضة ، بل يصونهم عن فعل غير الحق و عن أى معصية ، لأن عصمة الأنبياء فى إبلاغ الرسالات و أداء وحيهم كما ينبغى سوف لن تكون تامة بدون العصمة عن مقام المعصية ؛ و قد اتضح بهذا البيان أن الآية السابقة تدل على عصمة الأنبياء فى ثلاث مراحل : التلقى ، و ابلاغ الوحي ، و فى مقام الخطأ و المعصية .

كما ان الإمام - و هو الحافظ للشرعية و المبين للأحكام و الحارس للقانون بالنسبة للأئمة - حائز على مقام قلب النبي و إدراكه ، و لا فرق بينه و بين النبي من وجهة النظر هذه ، إلا أن النبي هو الذى يأتي بالشرعية و الكتاب ، و الإمام هو الذى يقوم بإبلاغها و المحافظة عليها .

و الأدلة التى تفيد فى اثبات عصمة الأنبياء واردة بعينها فى اثبات عصمة الإمام .

روى الحجة الكليني فى كتاب (الكافي)^١ ، عن على بن ابراهيم ، عن والده ، عن حسن بن ابراهيم ، عن يونس بن يعقوب قال : كان عند أبى

١- (أصول الكافي) ، المجلد الأول ، ص ١٦٩ ، كتاب الحجة ، باب الإضرار الى

عبدالله (الصادق) عليه السلام جماعة من أصحابه منهم حُمران بن أعين ومحمد بن النُعمان وهشام بن سالم والطَّيار وجماعة فيهم هشام بن الحكم^١ وهو شابٌّ، فقال أبو عبدالله عليه السلام: يا هشام! ألا تخبرني كيف صنعتَ بعمر بن عبيدٍ؟

فقال هشام: يا ابن رسول الله إني أجلك وأستحييك ولا يعمل لسانى بين يديك. فقال أبو عبدالله: إذا أمرتكم بشيء فافعلوا.

قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيدٍ وجلوسه في مسجد البصرة، فعظم ذلك علىّ، فخرجتُ اليه ودخلتُ البصرة يوم الجمعة فأتيتُ مسجد البصرة، فاذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيدٍ وعليه شملة سوداء متزراً بها من صوف، وشملة مُرتدياً بها، والناس يسألونه، فاستفرجتُ الناس فأفروا لى، ثمّ قعدتُ في آخر القوم علي ركبتى ثمّ قلتُ: أيها العالم! إني رجلٌ غريبٌ تأذنُ لى في مسألة! فقال لى: نعم!

فقلتُ: ألكَ عينٌ؟

فقال: يا بُنى لى شيء هذا من السؤال، و شيء تراه كيف تسألُ عنه؟

فقلتُ: هكذا مسألتى.

فقال: يا بُنى سَلْ وإن كانتَ مسألتُك حمقاء.

١- ولد هشام بن الحكم في الكوفة، ونشأ وترعرع في واسط، ثم عمل بالتجارة في بغداد وسكن هناك الى آخر عمره؛ وقد نُقل مدحه والثناء عليه عن الأئمة الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام. كان راوياً للحديث وله أصل في الأصول الاربعمئة الشيعية، وكان من أجلة المحدّثين ومهرة المتكلّمين والمناظرين، وكان له في فتوته مهارة كبيرة في فنّ المناظرة (رجال الميرزا محمد بن على الاردبيلي المعروف بـ (جامع الرواة) ج ٢، ص ٣١٣ وهذه الرواية يرويها المجلسي أيضاً في (بحار الأنوار) ج ٧، ص ٣، نقلاً عن (إكمال الدين) و (علل الشرايع) و (الأمالي) للشيخ الصدوق.

قلتُ : أجبنِ فيها .

قال لى : سَل !

قلتُ : أَلَكَ عَيْنٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ فما تصنعُ بها ؟

قال : أرى بها الألوان و الأشخاص .

قلتُ : فَلكَ أنْفٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ : فما تصنعُ به ؟

قال : أشمُّ به الرائحة .

قلتُ : أَلَكَ فَمٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ : فما تصنعُ به ؟

قال : لأذوقُ به الطَّعْمَ .

قلتُ : فَلكَ أُذُنٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ : فما تصنعُ بها ؟

قال : أسمعُ بها الصَّوْتَ .

قلتُ : أَلَكَ قَلْبٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ : فما تصنعُ به ؟

قال : أُميّزُ به كُلَّما وَرَدَ على هذه الجوارح و الحواسِّ .

قلتُ : أوَ لَيْسَ فى هذه الجوارح غنىٌّ عن القلب ؟

فقال : لا .

قلتُ : وكيف ذلك و هي صحيحةٌ سليمةٌ ؟

قال : يا بُنَيَّ ! إنّ الجوارح إذا شكّت في شيءٍ شَمَّتَهُ أو رأتَهُ أو ذاقته أو سمعته رَدَّتُهُ إلى القلب فَيَسْتَيْقِنُ اليقينَ و يُبْطِلُ الشكَّ .

قال هشام : فقلتُ له : فإنّما أقامَ اللهُ القلبَ لشكّ الجوارح ؟

قال : نعم .

قلتُ : لأبدٌ من القلب و إلّا لم تستيقن الجوارح ؟

قال : نعم .

فقلتُ له : يا أبا مروان ^١ ، فاللهُ تبارك و تعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يُصَحِّحُ لها الصحيحَ و يَتَقَيَّنُ به ما شكّ فيه و يَتْرُكُ هذا الخلقَ كلّهم في حيرتهم و شكّهم و اختلافهم ، لا يُقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم و حيرتهم و يُقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك و شكّك ؟!

قال : فسكتَ و لم يقل لي شيئاً ، ثمّ التفتَ إلى فقال لي : أنت هشامُ بن الحكم ؟ فقلتُ : لا .

قال : أمّن جُلُسائِهِ ؟

قلتُ : لا .

قال : فمن أين أنت ؟

قال : قلتُ : من أهل الكوفة .

قال : فأنتَ إذًا هو . ثمّ ضمّني إليه و أقعدني في مجلسه و زال عن

مجلسه و ما نطق حتّى قمتُ .

قال : فضحك أبو عبد الله عليه السلام و قال : يا هشام . مَنْ علّمَكَ

١- (أبو مروان) كُنية عمرو بن عبيد .

هذا ؟

قال : شئٌ أخذته منك و آلفتهُ .

فقال : هذا والله مكتوبٌ في صُحف إبراهيم و موسى .^١

و باعتبار أنَّ الإمام بمنزلة قلب العالم و محّه ، فإنَّ سروره و حزنه سيؤثر في جوارحه و أعضائه أى في جميع مخلوقات الله واحداً فواحداً .

يقول السيوطي في (الخصائص الكبرى) : و أخرج الحاكم و البيهقي و أبو نعيم عن الزُّهرى قال : لَمَّا كَانَ صَبَاحُ قُتْلِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، لَمْ يُرْفَعْ حَجَرٌ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَّا وَجَدَ تَحْتَهُ دَمٌ .

و أخرج أبو نعيم من طريق الزُّهرى عن سعيد بن المسيّب قال : صَبِيحَةُ يَوْمِ قُتْلِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، لَمْ تُرْفَعْ حَصَاةٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَ تَحْتَهَا دَمٌ غَيْطٌ .^٢

و يروى الشيخ الصدوق في كتابي (علل الشرايع) و (الأمالي) بسند واحد عن جبلة المكيّة قالت : سمعتُ ميثم التمار (قدّس الله روحه) يقول : و الله لتقتل هذه الأمةُ ابنَ نبيّها في المحرمِّ لعشرٍ يمضين منه ، و ليتخذنَّ أعداءُ الله ذلك اليومَ يومَ بركة ، و إنّ ذلك لكائنٌ قد سبق في علم الله تعالى

١- يروى الصدوق هذه الرواية في (الأمالي) ، ص ٣٥١ ، عن سعد بن عبد الله ، عن إبراهيم بن هاشم ، عن اسماعيل بن مرار ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن يونس بن يعقوب قال : كان عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام جماعة من أصحابه فيهم حُمران بن أعين و مؤمن الطّاق و هشام بن سالم و الطيّار و جماعة من أصحابه فيهم هشام بن الحكم و هو شابٌّ ، ثمَّ ينقل عين الحديث الى آخره . و أورده المرحوم المجلسي في (بحار الانوار) الطبعة الكمباني ج ١٤ ، ص ٥٤٩ (السماء و العالم) ، و في الطبعة الحروفية ج ٦١ ، ص ٢٤٨ عن (أمالي الصدوق) .

٢- (الخصائص الكبرى) ، ج ٢ ، ص ١٢٤ ، حسب نقل (شيعه در اسلام) للسلط ، القسم الثاني ، ص ١٢٤ .

ذكره ، أعلمُ ذلك بعهدِ عهده إلى مولاي أمير المؤمنين عليه السلام ، و لقد أخبرني أنّه يبكى عليه كلُّ شيء ، حتّى الوحوش فى الفلوات و الحيتان فى البحر و الطير فى السماء ، و يبكى عليه الشمسُ و القمر و النجومُ و السماء و الأرض و مؤمنو الإنس و الجنّ و جميع ملائكة السماوات و الأرضين و رضوانُ و مالكُ و حملةُ العرش ، و تمطرُ السّماءُ دماً و رماداً .

ثمّ قال : وجبت لعنةُ الله على قتلة الحسين عليه السّلام كما وجبت على المشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر ، و كما وجبت على اليهود و النصارى و المجوس .

قالت جبلة : فقلتُ له : يا ميثم ! فكيف يتّخذ الناسُ ذلك اليوم الذى قُتلَ فيه الحسينُ عليه السلام يومَ بركةٍ ؟ فبكي ميثم رضى الله عنه ثمّ قال : يزعمون لحديثٍ يضعونه أنّه اليوم الذى تابَ اللهُ فيه على آدم ، و إنّما تابَ الله على آدم فى ذى الحجة ؛ و يزعمون أنّه اليوم الذى قبلَ اللهُ فيه توبةَ داود ، و إنّما قبلَ اللهُ عزّوجلَّ توبتهُ فى ذى الحجة ، و يزعمون أنّه اليوم الذى أخرجَ اللهُ فيه يونسَ من بطن الحوت ، و إنّما أخرجَ اللهُ عزّوجلَّ يونسَ من بطن الحوت فى ذى الحجة ؛ و يزعمون أنّه اليوم الذى استوت فيه سفينةُ نوحٍ على الجودى ، و إنّما استوت على الجودى يوم الثامن عشر من ذى الحجة ؛ و يزعمون أنّه اليوم الذى فلقَ الله تعالى فيه البحرَ لبنى إسرائيل و إنّما كان ذلك فى ربيع الأوّل .

ثمّ قال ميثم : يا جبلة ! إعلمي أنّ الحسين بن علىّ عليه السلام سيّد الشهداء يوم القيامة ، و لأصحابه على سائر الشهداء درجة . يا جبلة اذا نظرتِ السماء حمراء كأنّها همّ عبيط فاعلمي أنّ سيّد الشهداء الحسين قد قُتل .

قالت جبلة : فخرجتُ ذات يومٍ فرأيتُ الشمسَ على الحيطان كأنّها

الملاحف الموشحة ، فصحتُ حينئذٍ و بكيتُ و قلتُ : قد والله قُتِلَ سيّدنا الحسين عليه السلام .^١

١- (الأمل) للصدوق ، ص ٧٧ ، و (علل الشرايع) ج ١ ، ص ٢٢٨ ، الباب ١٦٢ ؛
و ينقل المجلسي هذه الرواية عن الشيخ الصدوق في (بحار الأنوار) الطبع الكمباني ، ج ١٠ ،
ص ٢٢٤ .

الدَّرْسُ الثَّانِي

بَيْنَ الْفَصْلِ وَالْوَسْطَةِ فِي الْعَصَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم
و صلى الله على محمد و آله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين
و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ
و مِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ و مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ .^١
قانون الوراثة أصلٌ مهم جرت مطالعته بدقة في جميع شؤون
الموجودات ، من الإنسان و الحيوان و النبات ، حيث استُحصلت منه آثار
و نتائج هامة ؛ و يمكن القول أنه أحد السُنن الالهية التي لا تتبدل و لا تتغير .
إنَّ التمعن في أفراد البشر و ملاحظة إنتقال الخصوصيات و الكيفيات من
نطفة الأب و الأم و لقاحها و ظهورها على هيئة جنين ثم ظهورها في
الطفل ، سيثبت هذا الأساس بصورة كلية لدي الإنسان .
أنَّ نطفة الانسان هي ذرةٌ من نظامه الوجودي تتراكم فيها و تندمج

١- الآية ٣٢ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

و قد أورد ابن بابويه في تفسير هذه الآية الشريفة حديثاً عن الإمام الرضا عليه السلام
بيّنه في مجلس المأمون في مرو ، و كان حاضراً آنذاك مع علماء العراق و خراسان فسأله
المأمون عن تفسير هذه الآية . و هذا الحديث شيق للغاية و حاوٍ لمطالب قيمة . و قد ورد
كذلك في كتاب (غاية المرام) ، ص ٢١٩ تحت عنوان : التاسع .

جميع الآثار و الخصائص الإنسانية و توجد في صورة القوة و الاستعداد .
و عندما تستقرّ النطفة في رحم الأمّ في وعائها الخاصّ و شرائطها الخاصّة ،
فإنّها تصل الى مرحلة الفعلية و تظهر بصورة النشر مُشيرةً الى جميع
الخصائص الماديّة و الأخلاقيّة و الروحيّة التي حصل عليها الجنين من
والديه .

فالولد لا يرث من أبيه لون الجلد و شكل الأعضاء و الجوارح
و تركيب العظام فقط ، بل أنّه يرث كذلك التشابه في كلّ ذرّة من الدّم و في
كلّ خلية لا تُرى ؛ بحيث أنّه لو حصل هناك شكّ في الطفل ، فأنّه يمكن
تعيين أبيه الحقيقي عن طريق فحص الدم .

و ليس ذلك إلاّ لأنّ الطفل في الحقيقة فرعٌ أو غصن تفرّع من شجرة
وجود أبيه و أصله الماديّ و المعنويّ ، فصار يُحاكي ذلك الاصل في جميع
خواصّه . و بغضّ النظر عن العين و الدماغ و الأذن و القلب و المعدة و
الكلية و العظام و الهيكل ، فإنّ الطفل يكتسب من أبيه بعنوان الوراثة
خواصّ الوجود و آثاره ، حتّى في الأجزاء البسيطة المجهرية . حتّى إنّ
بعض الأمراض تنتقل اليه من أجداده عن طريق الوراثة ، فإنّ لم تظهر هذه
الأمراض في النسل الأوّل أو الثاني ، فإنّ تلك الأمراض ستحفظ في مرحلة
التطور و التغيّر في عدّة أجيال حتّى تنهى مرحلة كمونها فتظهر في أجيال
أخرى حين تتحقّق شرائط وجودها .

و هذه الخصائص و الآثار لا تنتقل من الوالد الى نطفته فحسب ، بل
إنّ آثارها الوجوديّة ستكون مشهودّة واحدة في جميع خلايا الإنسان .
و يمكن القول بأنّ هناك في كلّ ذرّة من جسم الإنسان إنساناً كاملاً على نحو
الاستعداد و القوة الوجوديّة ، بحيث اذا توفّرت له شرائط التربية و التكامل
فأنّه سيظهر في هيئة إنسان كامل .

و بعبارة اخرى فليس هناك فى النطفة وحدها إنسان كامل يظهر فى الرحم و الظرف المستعدّ، بل إنّ هناك فى كلّ خلية إنساناً كاملاً موجوداً على نحو الوراثة و انتقال مراتب الوجود .

و على الرغم من أنّهم لم يتمكّنوا عملياً من تلقيح خلية رجل مع خلية امرأة فى وعاء معدّ خاص لإيجاد طفل خارج و عاء الرحم ، لكنّ ذلك ليس دليلاً قاطعاً على إمتناع هذا الأمر ، بل إنّ هناك أدلّة قد أقيمت على إمكانه . ولربّما سيرى البشر يوماً من خلال تقدّم مسيرة العلم ، نشوءَ طفل من تلقيح خلايا المرأة و الرجل فى أوعية معدّة و مناسبة خارج بدن الأم ، فيظهر فى زمن قصير مليارات الأطفال من امرأة و رجل واحد .

و هذا الموضوع على اثر ذلك الاصل فى الوراثة الذى يجعل جميع خصائص الفرد مؤثّرة فى كلّ ذرّة من ذرّات بدنه ، فتحكى تلك الذرّة جميع الآثار الوجوديّة لذلك الشخص .

كما أنّه يُشاهد فى النباتات إنّ أصل الوراثة قد فعل فعله ليس فقط عن طريق زرع البذور فى الأرض ، بل و عن طرق شتّى أخرى كالتكاثر بالأقلام ، و عن طريق التطعيم ، حيث تنشأ بذلك شجرة تُناظر أصلها الذى أخذت منه ، و سيحمل ذلك العُصن المقتطع جميع خصائص الشجرة من الجذر و الساق و الأوراق و الثمار نظير جذر و ساق و أوراق و ثمار أصله الذى اقتُطع منه .

و كذلك الحال فى عملية التكاثر بالبراعم ، فإنّ البراعم المطعّمة ستجعل ساق الشجرة الأخرى رحماً لتربيتها ، فتنمو هناك و تنشأ و تظهر فيها جميع أثار أصلها بدون لى تحطّ أو أدنى تجاوز .

مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^١

١- ذيل الآية ٥٦ ، من السورة ١١ : هود .

و اذا ما تجاوزنا الماديّات و مراتب الظهور الطبيعي في الإنسان إلى الأفكار و الأخلاق و الروحيّات ، فأتنا سنرى أنّ الطفل يتأثر و راثياً أيضاً بأصله ، فتظهر فيه عن طريق النطفة غرائز و أخلاق و الديه ، و من تركيب تلك النطفتين فإنّ مجموعاً مركّباً منهما سيُظهر الطفل بأخلاق خاصة هي نتاج غرائز الوالدين معاً .

فالولد الذي له والدان يتصفان بالشجاعة سيكون شجاعاً بالتأكيّد ، أمّا إذا كان والداه يتصفان بالجبن و الخوف فأنّه سيصبح جباناً ، و اذا كانا سخيّين فأنّه سيكون سخيّاً ، أو كانا لئيمين أو مُضحّيين فأنّه سيماثلهما في ذلك . كما أنّ الوالدين العاقلين سينجبان ولداً عاقلاً ، فإن كانا أبلهين صار طفلهما أبلهاً . و على كلّ حال فإنّ جميع الأخلاقيّات و الغرائز الروحيّة للولد لن تخرج عن أصل الوالدين ، بل هي تابعة الى صفاتهما ، و ناتجة عن اللقاح و الفعل و الانفعال لقواهما الروحيّة و الأخلاقية .

و قد يحصل أحياناً أنّ شخصاً عاقلاً يخرج من صلبه ولدٌ جاهل ، و العكس صحيح ، و بالطبع فإنّ ذلك سيكون ناجماً من شرائط و ظروف التربية في الرحم ، أو من انتقال نطفة أحد أجداده الذين كانوا كذلك ، فظهرت هذه الصفة في هذا النسل ، و هذا بالطبع ينطبق على أصل الوراثة .

و كما انطبق أصل الوراثة في الإنسان ، فأنّه ينطبق كذلك على النباتات و الحيوانات ، فولد الذئب سيكون ذئباً ، و ولد الخروف خروفاً و ولد الأسد أسداً ، ثمّ إنّ آثار أولئك و كميّتهم ستنتقل الى الأجيال و الطبقات التالية نسلًا بعد نسل من وجهة نظر كميّة تشكيل الجسم و الخلايا الجسميّة و الصفات الروحيّة . و الأمر في النباتات كذلك ، فورد الياسمين ينتج ياسميناً ، و الورد المحمّدي ينتج ورّداً محمّدياً يتبع أصله في شكله ولونه و رائحته ، كما أنّه لن يخرج من شجرة التفاح إجاص و لو مضى عليها

ألف عام ، و لو تعاقبت الأجيال .

بلى ، لقد كان أصل الوراثة أساس عالم الوجود ، و هذه الظهورات ستستمرّ و تتقدّم طبقاً لهذه السنن .

فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا^١ .

و لقد حفظ أصل الوراثة ثباته و بقاءه فى جميع الشؤون المذكورة ، و الأهمّ و الأعلى من ذلك بقاءه و ثباته فى المعنويات و الأسرار الإلهية .

إنّ الله سبحانه و تعالى خلق آدم أبا البشر و جعله خليفته فى الأرض ، و جعل قلبه مركز تجليات أنوار جماله ، و جعل عقله قوياً و صدره منشراحاً و قلبه متّسعاً ، بحيث يمكنه الاطلاع على جميع أسرار عالم الكون ، و العلم بحقائق الموجودات ، و تمزيق حجب الأوهام ، و الاستقرار فى مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر^٢ . و الوصول الى مقام الاطمئنان ، و الاطلاع على أسرار الغيب ، و محادثة الملائكة ، و السكنى فى حرم الأمن و الأمان الإلهي ، فيصبح قلبه مركز تجليات أسماء و صفات المعبود جلّ شأنه .

و هكذا فانه سيُشاهد رأى العين إحاطة قدرة و علم و حياة الله فى جميع مراحل الوجود ، و سُيناجى ربّه و يتكلّم معه من السرّ و الباطن ، و سيفوز بمقام: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى^٣ .

و البقاء ببقاء الله بعد فناء النفس ، و طيّ أسفاره الأربعة ليكون مرءةً

١- ذيل الآية ٤٣ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

٢- الآية ٥٥ ، من السورة ٥٤ : القمر .

٣- الآيات ٥ - ١١ ، من السورة ٥٣ : النجم

تامة و مظهراً تاماً كاملاً للحضرة الأحديّة .

و قد أودع هذا النور في ءادم عليه السلام منذ بدء الخلقة ؛ و بمقتضى :
وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ¹ .
و كذلك بمفاد قوله :

وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ² .

فإن ءادم وحده جوهر عالم الوجود ، و هو وحده اللؤلؤة الثمينة فى صدف عالم الكون ، و خزينة أسرار الحضرة الربوبية التى طلعت و ظهرت فيه الى حدّ ما . و بموجب أصل الوراثة فقد انتقل ذلك السرّ الى أبناء ءادم ، فظهر و برز فى الأنبياء واحداً بعد الآخر كلّاً بدوره ، و بمراتب الاختلاف التى تُشاهد فيهم ، فأصبح كلّ واحد منهم مركزاً لتجلّى ذلك النور بقدر استعداده و ظرفيته .

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَ ءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ³ .
الى أن وصل الدور الى خاتم الأنبياء و سيّد المرسلين محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه و ءاله ، فأشرق ذلك النور فيه على أتمّ نحو و أكمله ، و بمقتضى أصل الوراثة فقد مرّ فى دور الكمون فى أصلاب الأباء ، و ها قد وصل الى مرحلة الظهور و البروز ، و أشرق كما ينبغى له بلا زيادة و لا نقصان لذا فإنّ شريعته صلوات الله و سلامه عليه ناسخة لجميع الأديان ، و دينه متمّم و مكمل لجميع الأديان ، و باقى و خالد الى يوم القيامة .

١- صدر الآية ٣١ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- صدر الآية ٣٠ ، من السورة ٢ : البقرة .

٣- صدر الآية ٢٥٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

و قد حصلت هذه الآثار بواسطة سعة روح النبى و سعة قلبه المبارك ،
و ليست أمراً اعتبارياً تشريعياً ، ثم أنّها انتقلت فى ذريته ، اى ان ذلك النور
انقسم الى قسمين ، أحدهما فى نفسه المباركة و الآخر فى نفس
أمير المؤمنين عليه السلام ، و انتقل من لقاح نور أمير المؤمنين عليه السلام
و الصديقة الطاهرة سلام الله عليها الى ذريتهما ، حيث قال صلوات الله
و سلامه عليه :

إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي صُلْبِهِ وَ جَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صُلْبِ عَلِيٍّ
بْنِ أَبِي طَالِبٍ .^١

و روى أحمد بن حنبل ، و هو أحد كبار أئمة أهل السنة ، عن سلمان
الفارسي ، تبعاً لرواية كتاب (الرياض النضرة) أنّه قال :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَ سَلَّمَ يَقُولُ : كُنْتُ أَنَا وَ
عَلِيٌّ نُورًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ لَدَمَ بَارُبَّةَ عَشْرِ أَلْفِ عَامٍ ،
فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ لَدَمَ قَسَمَ ذَلِكَ النُّورَ جُزْئَيْنِ جُزْءٌ أَنَا وَ جُزْءٌ عَلِيٌّ . خَرَجَهُ
أحمد فى المناقب .^٢

و يحدث أيضاً فى (ينباع المودة) نقلاً عن كتاب (مودة القربى) ،
عن عثمان أنّه روى عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم :

خُلِقْتُ أَنَا وَ عَلِيٌّ مِنْ نُورٍ وَ أَحَدٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ لَدَمَ بَارُبَّةَ عَشْرِ أَلْفِ
عَامٍ ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ لَدَمَ رَكِبَ ذَلِكَ النُّورَ فِي صُلْبِهِ فَلَمْ يَزَلْ شَيْئاً وَ أَحِداً
حَتَّى افْتَرَقْنَا فِي صُلْبِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، فَفِي النَّبُوءَةِ وَ فِي عَلِيٍّ الْوَصِيَّةِ .^٣

١- (ينباع المودة) ، ص ٢٥٢ .

٢- (الرياض النضرة) ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

٣- (ينباع المودة) ، ص ٢٥٦ .

و ينقل المؤرخ الأمين الحسين بن علي المسعودي في (مروج الذهب) روايةً جامعة عن أمير المؤمنين عليه السلام حول ابتداء الخلقة و كيفية خلق نور محمد و آل محمد عليهم السلام ، و عن كيفية انتقال ذلك النور في النشآت المختلفة الى أن يصل الى خلقة الملائكة و خلقة آدم ، ثم يقول :

ثُمَّ تَبَّهَ لِدَمِّ عَلَى مُسْتَوْدِعِهِ ، وَ كَشَفَ لَهُ [عَنْ] خَطَرٍ مَا أَتَمَّمَهُ عَلَيْهِ ، بَعْدَ مَا سَمَّاهُ إِمَامًا عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ .

فَكَانَ حَظُّ لِدَمِّ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَوَاهُ مِنْ مُسْتَوْدِعِ نُورِنَا ، وَ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ تَعَالَى يَخْبَأُ النُّورَ تَحْتَ الزَّمَانِ إِلَى أَنْ فَضَّلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَ سَلَّمَ فِي ظَاهِرِ الْفَرَاتِ .

فَدَعَى النَّاسَ ظَاهِرًا وَ بَاطِنًا ، وَ نَدَبَهُمْ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً ، وَ اسْتَدْعَى عَلَيْهِ السَّلَامُ التَّنْبِيهَ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي قَدَّمَهُ إِلَى الذَّرِّ قَبْلَ النَّسْلِ .
فَمَنْ وَ أَفَقَهُ وَ قَبَسَ مِنْ مِصْبَاحِ النُّورِ الْمُقَدِّمِ ، اهْتَدَى إِلَى سِرِّهِ وَ اسْتَبَانَ وَ أَضْحَى أَمْرَهُ ؛ وَ مَنْ أَبْلَسَتْهُ الْعَقْلَةُ ، اسْتَحَقَّ السَّخَطَ .

ثُمَّ انْتَقَلَ النُّورُ إِلَى غَرَائِزِنَا ، وَ لَمَعَ فِي أُنْمُتِنَا ، فَنَحْنُ أَنْوَارُ السَّمَاءِ وَ أَنْوَارُ الْأَرْضِ فَبِنَا النَّجَاةُ ، وَ مِنَّا مَكْنُونُ الْعِلْمِ ، وَ إِلَيْنَا مَصِيرُ الْأُمُورِ ، وَ بِمَهْدَيْنَا تَنْقَطِعُ الْحُجُجُ ، خَاتَمَةُ الْأَنْمَةِ وَ مُنْقِذُ الْأُمَّةِ ، وَ غَايَةُ النُّورِ ، وَ مَصْدَرُ الْأُمُورِ .

فَنَحْنُ أَفْضَلُ الْمَخْلُوقِينَ ، وَ أَشْرَفُ الْمُوَحِّدِينَ ، وَ حُجَجُ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

فَلْيَهْنَأْ بِالنِّعْمَةِ مَنْ تَمَسَّكَ بِوَلَايَتِنَا ، وَ قَبَضَ عَلَى غُرُوتِنَا .

ثم يقول المسعودي : فهذا ما نروى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن

على، عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ^١.
 و يقول المسعودى أيضاً : و قد رأيت فى كثير من كتب التواريخ
 و السيرة و الأنساب أنّ أدام أباً للبشر حين سمع هاتفاً يخبره عن مقتل ولده
 هابيل زاد حزنه و غمه لما جرى و ما سياتى .
 فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنِّي مُخْرِجٌ نُورِي الَّذِي بِهِ السُّلُوكُ فِي الْقَنَوَاتِ
 الطَّاهِرَةِ ، و الأرومات الشريفة ، و أباهي به الأنوار ، و أجعله خاتماً
 الأنبياء ، و أجعل له خيار الأئمة الخلفاء .
 و أختم الزمان بمُدَّتِهِمْ ، و أغص الأرض بدعوتِهِمْ ، و أنشرها
 بشيعَتِهِمْ .

فَشَمِّرْ و تَطَهَّرْ ، و قدِّسْ ، و سَبِّحْ ، و اغشز و جتَكَ عَلَى طَهَارَةٍ
 مِنْهَا ، فَإِنَّ و دِيعَتِي تَتَقَلُّ مِنْكُمَا إِلَى الْوَلَدِ الْكَائِنِ مِنْكُمَا ^٢.
 أمّا الآن و قد اتضح الموضوع ، فاننا نرجع الى تفسير الآية التى
 ذكرناها فى مطلع كلامنا : ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا .
 و علينا أن نرى ما هو هذا الميراث ؟ و هذا البحث يتناول
 موضوعين :

- ١ - الموضوع الأول : ما هو المقصود من الكتاب ؟
- ٢ - الموضوع الثانى : من هم العباد المصطفون الذين أورثهم الله
 الكتاب ؟

١- (مروج الذهب) المجلد الأول ، فى طبعة مطبعة السعادة مصر ، ١٣٦٧ هجرية ،
 ص ٣٢ و ٣٣ ؛ و فى طبعة مطبعة دار الأندلس بيروت ١٣٩٣ هجرية ، ص ٤٢ و ٤٣ . و ورد
 فيه لفظ (أراه) بدلاً من (أواه) .

٢- (مروج الذهب) المجلد الأول ، فى طبع مطبعة السعادة - مصر ، ١٣٦٧ هجرية ،
 ص ٣٧ ؛ و فى طبع مطبعة دار الأندلس - بيروت ١٣٩٣ هجرية ، ص ٤٧ .

أما الموضوع الأول ، فليس هناك من شكّ فى أنّ المقصود بالكتاب هو القرآن الكريم ، لأنّه يقول فى الآية التى سبقتها :

وَالَّذِى وُحِّينَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ^١

و هذا الخطاب موجّه الى رسول الله صلى الله عليه و آله ؛ كما أنّ الكتاب الذى أوحى اليه هو القرآن الكريم .

و باعتبار أنّه يقول بعد هذه الآية مباشرة :

ثُمَّ وُرِّثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا .

فقد اتّضح بأن المراد بهذا القرآن المورث ليس القرآن المكتوب ، بل أنّ المراد بذلك هو حقيقة القرآن الذى نزل على قلوبهم . فقد تلقّى رسول الله - وفق نهج معيّن - تلك الحقائق من جبرئيل الأمين ، و بنفس ذلك النهج تلقّى هؤلاء العباد المصطفون القرآن من رسول لله صلى الله عليه و آله و تلك الحقائق و الأسرار و اللطائف التى : لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ^٢ .

وَ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَىٰ حَكِيمٍ^٣ ؛ حيث وردت على قلوبهم بمستوى رفيع مختصّ بهم .

أما فيما يخصّ الموضوع الثانى ، فحسب الروايات المستفيضة و المتظافرة التى وردت عن الامام محمد الباقر و الإمام جعفر الصادق عليهما السلام ، فإنّ المراد بهؤلاء العباد المصطفين ، ذريّة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله من أولاد فاطمة الزهراء سلام الله عليها ؛ الذين يقعون

١- الآية ٣١ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

٢- الآية ٧٩ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٣- الآية ٣ و ٤ ، من السورة ٤٣ : الزخرف .

فى ذرِيَّةَ : (وَاَلِ اِبْرَاهِيْمَ) بمقتضى الآية المباركة : إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى اٰدَمَ وَنُوْحًا وَاٰلَ اِبْرَاهِيْمَ وَاٰلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِيْنَ ^١ .

و علاوةً على ذلك ، فلم يدَّعِ أحد منذ صدر الإسلام حتّى الآن أنّ هناك شخصاً أعلم بكتاب الله من أمير المؤمنين و الأئمة الطاهرين عليهم السلام ؛ بل إنّ أمير المؤمنين - حسب الروايات المتواترة الواردة عن كبار أهل السنّة - أعرف الأئمة و أعلمها بكتاب الله . و بناءً على هذا فإنّ من المسلم أنّ المراد بالعباد المصطفين الذين أورثهم الله القراء هؤلاء الأئمة الطاهرين .

و بغضّ النظر عن ذلك فأنّه وفقاً للحديث المتواتر بين السنّة و الشيعة الذى جعل فيه النّبىُّ عترته ملازمةً للقراء و قرينةً له ، فأنّه يتّضح أنّ المراد من العباد المصطفين عترة رسول الله :

إِنِّى تَارِكٌ فَيْكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللّٰهِ وَ عِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرْدَا عَلَى الْحَوْضِ ^٢ .

١- الآية ٣٣ ، من السورة ٣ : آل عمران

٢- يروى أحمد بن حنبل هذا الحديث عن حديث زيد بن ثابت بطريقتين صحيحين ، أولهما بداية ص ١٨٢ من الجزء الخامس من مسنده ، لكن العبارة هكذا : قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم : إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء و الأرض أو ما بين السماء الى الأرض و عترتي أهل بيتي و أنّهما لن يفترقا حتّى يردا على الحوض . و ثانيهما فى نهاية ص ١٨٩ من الجزء الخامس من مسنده ، لكنّ عبارته بهذه الكيفية : قال النّبىُّ : إني تارك فيكم نليفتين كتاب الله و أهل بيتي و أنّهما لن يفترقا حتّى يردا على الحوض جميعاً . و يقول فى تفسير (الدّر المنثور) ، ج ٦ ، ص ٧ : و أخرج الترمذى و حسن ابن الانبارى فى المصاحف عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قل : قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم : إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدى ، أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض و عترتي أهل بيتي ، و لن يفترقا ⇨

علاوة على الروايات الكثيرة الواردة في علم أمير المؤمنين عليه السلام ، كالحديث الوارد عن أم سلمة حيث قالت : قال النبي :

عَلَيْ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ ١ .

و حديث : أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا ٢ .

و نظائرها من الروايات الواردة في علم أمير المؤمنين ، و التي تفيد أنه كان من وارثي كتاب الله من رسول الله صلى الله عليه و آله .

أما بشأن قوله تعالى :

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذنِ اللَّهِ .
فمن الجلي لأن المقصود بهم أصحاب الشمال و أصحاب اليمين
و المقربون ، و مسلماً فإن المراد بالعباد المصطفين هم الفئة الثالثة الذين
سبقوا الى الخيرات .

و بناءً على هذا فإن الضمير في (منهم) إما ان يكون عائداً الى
(عبادنا) بدون قيد الاصطفاء ، أى ان مطلق عبادنا ينقسمون الى ثلاث
مجاميع ، لكن من بينهم السابقون الى الخيرات الذين كانوا هم المصطفين
و وريثة الكتاب .

و أما أن يعود الضمير في (منهم) الى (الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) ،
اي لأن الطوائف الثلاث شركاء في وراثة الكتاب ، على الرغم من أن الفئة
الثالثة ستكون العالمة بالكتاب و المحافظة عليه و الوارث الحقيقي له .
و لا مانع هناك أن يكون القائمون بكتاب الله و المحافظون عليه فئة

حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما .

١- (كنز العمال) ، ج ١٢ ، ص ٢٠٣ ، الحديث ١١٥٢ ، طبعة الهند ١٣٨٤ .

٢- (كنز العمال) ، ج ١٢ ، ص ٢٠١ ، الحديث ١١٣٠ ، طبعة الهند ١٣٨٤ .

خاصّة بينما تُنسب الوراثة الى الجميع ، كما فى الآية الكريمة الشريفة :
 وَ أَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ^١ ، التى تنسب الوراثة الى بنى إسرائيل
 مع أنّ نزول التوراة كان على موسى (عليه السلام) لا عليهم جميعاً ، ولكن
 باعتبار أنّ موسى كان يعيش فى بنى اسرائيل ، فإنّ نسبة إعطاء التوراة لبنى
 اسرائيل صحيحة تجوّزاً . وبناءً على هذا الاحتمال ، فسيكون المراد بعبارة
 (ظالم لنفسه) أفراد المسلمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب السيئات
 والمعاصى ، وذلك لأنّه تبعاً لهذا الاحتمال فإنّ فئة (ظالم لنفسه) سيكونون
 من المصطفين ، لذا لا يمكن جعلهم من أصحاب الشمال ، بل هم من
 أصحاب اليمين ، غاية الأمر أنّ فيهم بعض النقائص .

و على كلّ حال فلنعد الى أصل البحث ، و هو ان امير المؤمنين
 و الأئمة الأطهار باعتبارهم عبدالله المصطفين - طبقاً للنصوص الصريحة
 التى نقلها أهل السنّة بأنفسهم عن كبار المحدثين - فإنّهم حارسو و حافظو
 كتاب الله . فالحافظ للقرآن و الوارث له هو الذى يمتلك مقام و منزلة
 رسول الله ، و يمتلك قلباً كقلب رسول الله فى تحمّل تلك الحقائق
 واستيعابها .

و سنذكر هنا بعض الروايات التى أوردها علماء العامّة المعروفون فى
 كتبهم ليتضح مقام أمير المؤمنين عليه السلام و منزلته فى نظرهم .

فقد روى فى (ينابيع المودة) عن جابر بن عبد الله الأنصارى أنّ
 الرسول الأكرم صلى الله عليه و ءاله قال : كَفُّ عَنِّي كَفِّي^٢ .

و من البين أنّ المراد باليد الآثار المترتبة على اليد من الأخذ و العطاء

١- الآية ٥٣ ، من السورة ٤٠ : المؤمن .

٢- (ينابيع المودة) ، ص ٢٥٢ .

و الكتابة و الحرب و غير ذلك ، و اجمالاً فإنَّ المراد به كلُّ ما تفعله اليد .
و لأنَّ هذه الأفعال مترتبة على إرادة النفس و اختيارها ، فإنَّ تساوى الكفَّين
سيلازم المساواة فى جميع المبادئ و المراحل الفعلية من الحالات النفسية
و مكارم الأخلاق و الصفات الحسنة . و ورد أيضاً عن أبي بكر أن رسول
الله صلى الله عليه و ءاله قال :

يَا أَبَا بَكْرٍ كَفَى وَ كَفُّ عَلَىِّ فِي الْعَدْلِ سَوَاءٌ^١ . و فى رواية أخرى : يا
أَبَا بَكْرٍ كَفَى وَ كَفُّ عَلَىِّ فِي الْعَدْلِ سَوَاءٌ^٢ .

و بالطبع فإنَّ التساوى فى العدل كما بيَّنا يتلازم مع تساوى الصفات
النفسية و مكارم الأخلاق و الإطلاء على السرائر ، الذى سينجم عنه فى
مرحلة الفعل أن تكون أفعاله و سيرته كأفعال و سيرة النبىِّ الأكرم .

و أمّا التساوى فى العدد فهو كناية عن التساوى فى جميع مراتب
القدرة و مراحلها ، فكلُّ شىء يستطيع الرسول صلى الله عليه و ءاله فعله فإنَّ
أمير المؤمنين هو الآخر يستطيع فعله ، لأنَّ اليد فى هذا التعبير الذى افترض
لها عدد فيه معلولٌ للقدرة و ءاله لإجراء النوايا النفسانية و الإرادات
الروحية .

و بناءً على هذا فإنَّ هذا التعبير يبيِّن تساوى قدرة رسول الله مع قدرة
علىِّ عليه السلام ، و هكذا فإنَّ المعجزات العجيبة التى ظهرت على يد
الرسول الأكرم موجودة كلها فى مركز إرادة و قدرة علىِّ عليه السلام .
يروى محبّ الدين الطبرى فى (الرياض النضرة) ، عن أنس بن

١- (ينابيع المودة) ، ص ٢٥٢ .

٢- و لا يُستبعد أنَّ الحديثين كانا كلاهما (فى العدل) فضُحِّف أحدهما الى (فى

العدد) .

مالك قال :

قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم : مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَلَهُ نَظِيرٌ فِي أُمَّتِهِ ، وَ عَلَى نَظِيرِي ^١ .

و هذه الرواية تبين بآئه لا يوجد أحد في جميع أمة رسول الله يماثله في الصفات الروحية و الكمالات النفسية كعلي بن أبي طالب ، فقد كان مولى الموحدين وحده نظيراً لرسول الله صلى الله عليه و آله .

و جاء نظير هذه الرواية في (ينابيع المودة) عن أنس بن مالك برواية صاحب (الفردوس) : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ : مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَلَهُ نَظِيرٌ مِنْ أُمَّتِي ... إِلَى أَنْ قَالَ وَعَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ نَظِيرِي ^٢ .
و يقول في (صحيح البخاري) في باب مناقب علي :

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ : أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ ^٣ .

و هذا التعبير يبين غاية الاتحاد و التلاحم مع علي عليه السلام ، كأن وجودهما كان وجوداً واحداً تجلّى في جسمين .

كما نقل ابن حجر الهيتمي المكي في (الصواعق المحرقة ^٤) ، عن البراء بن عازب ؛ و نقل محب الدين الطبري في (الرياض النضرة) أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وَسَلَّمَ قال : عَلَى مِثِّي بِمَنْزِلَةِ رَأْسِي مِنْ بَدَنِي ^٥ .

١- (الرياض النضرة) ، ج ٣ ، ص ١٥٣

٢- (ينابيع المودة) ، ص ٢٣٥ .

٣- (صحيح البخاري) ، ج ٢ ، ص ٢٩٩

٤- (الصواعق المحرقة) ، ص ١٢٣ .

٥- (الرياض النضرة) ، ج ٣ ، ص ١٤٩ .

و هذا التعبير يدلّ على غاية الاتّحاد و التكاتف و التلاحم ، فرسول الله صلى الله عليه و ءاله يقول : كما إنّ الجسم لاهياة له بدون الرأس ، فإنّ حياتي مرتبطة و منوطة بحياة علىّ . و يروى فى (ينابيع المودة) عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله قال :

عَلَىُّ مِنِّى مِثْلُ رَأْسِى مِنْ بَدَنِى ^١ .

و يروى فى (ينابيع المودة) عن أبى هريرة أنّه قال :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَعَالِهِ] وَسَلَّم بَعَثَ بَعْثَيْنِ ، وَبَعَثَ عَلَى أَحَدِهِمَا عَلِيًّا وَ عَلَى الْآخَرِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ،
و قَالَ : إِذَا التَّقَيْتُمْ فَعَلَيُّْ عَلَى النَّاسِ ، وَإِذَا افْتَرَقْتُمْ فَكُلُّ عَلَى جُنْدِهِ ،
فَلَقِينَا بَنَى زُبَيْدَةَ ، فَاقْتَتَلْنَا وَ ظَفَرْنَا عَلَيْهِمْ ، وَ سَبَيْنَاهُمْ ، فَاصْطَفَى عَلَىُّ مِنْ
السَّبَى وَاحِدًا لِنَفْسِهِ .

فَبَعَثَنِى خَالِدٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَعَالِهِ] وَسَلَّم حَتَّى أَخْبَرَهُ
ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَتَيْتُ وَ أَخْبَرْتُهُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلَّغْتُ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ؟
فَقَالَ : لَا تَقْعُوا فِى عَلَىٍّ ، فَإِنَّهُ مِنِّى وَ أَنَا مِنْهُ ، وَ هُوَ وَلِىِّى وَ وَصِيِّى
مِنْ بَعْدِى ^٢ . رواه الإمام أحمد فى مسنده .

و روى ابن الأثير فى (أسد الغابة) ^٣ ، بسنده المتّصل عن عمران بن الحصين ؛ و القندوزى فى (ينابيع المودة) ^٤ عن (سنن الترمذى) عن عمران بن الحصين ؛ كما روى محبّ الدين الطبرى عن عمران بن الحصين ^٥ قال :

١ - (ينابيع المودة) ، ص ٢٣٦ .

٢ - (ينابيع المودة) ، ص ٢٣٣ .

٣ - (أسد الغابة) ، ج ٤ ، ص ٢٧ .

٤ - (ينابيع المودة) ، ص ٥٣ و ٥٤ .

٥ - (الرياض النضرة) ، ج ٣ ، ص ١٦٤ .

بعث رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم جيشاً ، واستعمل عليهم على بن أبى طالب ، فمضى فى السرية فأصاب جارية ، فأنكروا عليه ، وتعاهد أربعة من أصحاب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فقالوا : اذا لقينا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم اخبرناه بما صنع على . وكان المسلمون اذا رجعوا من السفر بدأوا برسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ، فلما قدمت السرية فسلموا على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فقالوا : يا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ألم ترالى على بن أبى طالب صنع كذا وكذا ؟ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ، ثم قام الثانى فقال مثل مقالته ، فأعرض عنه ، ثم قام الثالث فقال مثل مقالته ، فأعرض عنه ، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا : فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ وَالْعُضْبُ يُعْرِفُ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ : مَا تُرِيدُونَ مِنْ عَلِيٍّ ؟ مَا تُرِيدُونَ مِنْ عَلِيٍّ ؟ مَا تُرِيدُونَ مِنْ عَلِيٍّ ؟ إِنِّي عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ ، وَهُوَ وَلِيٌّ كُلُّ مُؤْمِنٍ بِعَدِيٍّ .^١

بلى ، أتى لأولئك الذين لم يتحملوا رؤية على وهو يأخذ تلك الأمة بينما كان قوام الإسلام مرهوناً بتضحياته الفريدة ، أن يتحملوا رؤيته عليه السلام وهو يتزعم جميع المسلمين فى العالم ويمسك بيده زمام أمور المسلمين ؟!

لذا فقد فعلوا معه ما فعلوا ، ففضى ثلاثين عاماً مُمتحناً يتجرع الغصص ، الى أن انهالوا بالسيف على مفرقه الشريف وهو فى محرابه ، ودفنوا تلك الروح الكلية والحياة السرمديّة تحت الأرض ، فبكى فى عزائه

١- يبين فى كتاب (على والوصية) من ص ٣٥٢ الى ٣٥٤ موارد عديدة شكى فيها البعض أمير المؤمنين الى رسول الله فتغيّر صلوات الله عليه وآله وردعهم وهددهم وسمى علياً أخاً ووصياً وولى كل مؤمن .

قلوب الجنّ و الإنس و وحوشُ الفلوات و طيور السماء .

يكتب ابن الأثير : وَ أَتَبْنَا جَدِّي ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ عُبيدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَرَجَ عَلَيَّ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ فَاسْتَقْبَلَهُ الْأَوْزُ يَصْحَنَ فِي وَجْهِهِ ؛ قَالَ : فَجَعَلْنَا نَنْظُرُ دَهْنَ عَنْهُ .
فَقَالَ : دَعَوْهُنَّ فَإِنَّهُنَّ نَوَائِحُ ؛ وَ خَرَجَ فَأَصِيبَ ١ .

بلى لقد بكت طيور السماء و وحوش الفلوات فى عزاء ابنه أيضاً ؛ يقول ابن شهر آشوب : و دفن جثتهم بالطفّ أهل الغاصريّة من بنى أسد بعد ما قتلوه ببيوم ، و كانوا يجدون لأكثرهم قبوراً ، و يرون طيوراً بيضاً ٢ .
يروى المجلسى رضوان الله عليه عن بعض مؤلّفات الأصحاب أنّه روى عن طريق أهل البيت :

أَنَّهُ لَمَّا اسْتُشْهِدَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَقِيَ فِي كَرْبَلَا صَرِيحًا ، وَ دَمُهُ عَلَى الْأَرْضِ مَسْفُوحًا ، وَ إِذَا بِطَائِرٍ أَبْيَضٍ قَدْ أَتَى وَ تَمَسَّحَ بِدَمِهِ ؛ وَ جَاءَ وَ الدَّمُ يَقْطُرُ مِنْهُ فَرَأَى طُيُورًا تَحْتَ الظَّلَالِ عَلَى الْغُصُونِ وَ الْأَشْجَارِ ، وَ كُلُّ مِنْهُمْ يَذْكُرُ الْحَبَّ وَ الْعَلْفَ وَ الْمَاءَ .

فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ الطَّيْرُ الْمُلْتَطِخُ بِالدَّمِ: يَا وَيْلَكُمْ! أَتَسْتَعْلُونَ بِالْمَلَاهِي، وَ ذَكَرِ الدُّنْيَا وَ الْمَنَاهِي، وَ الْحُسَيْنُ فِي أَرْضِ كَرْبَلَا فِي هَذَا الْحَرِّ مُلْقَى عَلَى الرَّمْضَاءِ ظَامِيٌّ مَذْبُوحٌ وَ دَمُهُ مَسْفُوحٌ .

فَعَادَتِ الطُّيُورُ ، كُلُّ مِنْهُمْ قَاصِدًا كَرْبَلَا ؛ فَرَأَوْا سَيِّدَنَا الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُلْقَى فِي الْأَرْضِ جُثَّةً بِلَا رَأْسٍ وَ لَا غُسْلٍ وَ لَا كَفْنٍ ، قَدَسَفَّتْ عَلَيْهِ السَّوَافِي ، وَ بَدَنُهُ مَرْضُوضٌ ، قَدْ هَشَمَتْهُ الْخَيْلُ بِحَوَافِرِهَا ؛ زُورَهُ وَ حُوشُ

١- (أسد الغابة) ، ج ٤ ، ص ٣٦ .

٢- (المناقب) ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

الْقَفَارَ ، وَ نَدْبَتُهُ جَنُّ السُّهُولِ وَ الْأَوْعَارِ ، قَدْ أَضَاءَ التُّرَابُ مِنْ أَنْوَارِهِ ، وَ
أَزْهَرَ الْجَوْ مِنْ أَزْهَارِهِ .

فَلَمَّا رَأَتْهُ الطُّيُورُ تَصَايَحْنَ ، وَ أَغْلَنَ بِالْبُكَاءِ وَ الثُّبُورِ وَ تَوَاقَعْنَ عَلَى
دَمِهِ يَتَمَرَّغْنَ فِيهِ ، وَ طَارَكُلُّ وَ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَى نَاحِيَةٍ يُعْلِمُ أَهْلَهَا عَنْ قَتْلِ أَبِي
عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^١ .

و نقرأ فى زيارته عليه السلام فى أوّل رجب :

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، أَشْهَدُ لَقَدْ أَفْشَعَرْتُ لِدِمَائِكُمْ أَظْلَةَ الْعَرْشِ مَعَ أَظْلَةِ
الْخَلَائِقِ ، وَ بَكَتْكُمْ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ سُكَّانُ الْجَنَانِ وَ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ .
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ عَدَدَ مَا فِي عِلْمِ اللَّهِ ، لَبَّيْكَ دَعَايَ اللَّهِ ، إِنْ كَانَ لَمْ
يُجِبْكَ بَدَنِي عِنْدَ اسْتِغَاثَتِكَ ، وَ لِسَانِي عِنْدَ اسْتِصَارِكَ ، فَقَدْ أَجَابَكَ قَلْبِي وَ
سَمْعِي وَ بَصَرِي ، سُبْحَانَ رَبَّنَا ، إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا ^٢ .

(بدین وعده گر جان فشانم رواست.) ^٣

فَبَشِيرِي لَوْ جَاءَ مِنْكَ بَعْظُفٍ
وَ وَجُودِي فِى قَبْضَتِي قُلْتُ هَاكَ
بشكر ءانكه شكفتى بكام بخت اى گل
نسیم وصل ز مرغ سحر دریغ مدار ^٤

١- (بحار الأنوار) ، الطبعة الكمبانی ، ج ١٠ ، ص ٢٤١ .

٢- ذكر ابن طاووس هذه الزيارة فى ليلة النصف من شعبان فى (الإقبال) ، ص ٧١٢ ،
و قال انها زيارة يُزار بها أوّل رجب ، ولكن لأن النصف من شعبان أعظم لذا فقد ذكرها فيه .
كما ذكرها المحدث القمى فى (هدية الزائرین) ، ص ١١٣ .

٣- يقول : لو نثرتُ روحى لهذا الوعد كان مئى حرباً .

٤- يقول : لكى تشكرى أنك أزهرت - ياوردة - كما يتمنى لك الحظّ ، فلا تبخلى عن
طائر السحر بنسيم الوصال !

الدَّرْسُ الثَّالِثُ

فِي مَعْنَى وَبَيَانِ بَابِ الْمُصْطَفَيْنِ

بسم الله الرحمن الرحيم
و صلى الله على محمد و ءاله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين
و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ
فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أُبْلَغُوا رَسُولًا
رَبَّهُمْ وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَ أَخَصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا^١.

يملك الإنسان أعضاء و جوارح مختلفة ، كما يملك غرائز و صفات
متفاوتة ، كالغضب و كالرغبة في الطعام ، و الدفاع عن النفس ، و حبّ الجاه
و سائر اللذائذ ، و غريزة الإنتقام و العبوديّة و الإيثار و غير ذلك .
و من البين أنّه يجب ان يستخدم كلّ واحد منها في محلّه المناسب ،
و يصرفه بقدرٍ معيّن ، و الاّ أصبح ذلك باعثاً على ضرره و هلاكه ، و السبب
في ذلك عدم استخدامه لقوى العقل و الإدراك .

فلو أحبّ شخصٌ ما - مثلاً - عند تناول طعامه أن يتمتّع بشكل كامل
و بلا حدٍّ معيّن بلذائذ الأطعمة ، فأنّه سيموت نتيجة الإفراط في الأكل
و الشرب ؛ و لو انّ شخصاً لم يتبع عقله في أعمال غريزته الجنسيّة ، فأنّه

١- الآية ٢٦ الى ٢٨ ، من السورة ٧٢ : الجنّ .

سيتهوى في أحضان الموت بسبب الإفراط فيهلك .

إن إحدى الغرائز في الإنسان هي حبّ الله و الوصول إلى كمال الإطمئنان ، و الفوز بقاء الله و الوصول إلى مقام عزّه ؛ و ما لم يصل الإنسان إلى هذه الغاية فائه لن يهدأ و لن يستقرّ .

و يحتاج الانسان من أجل الوصول الى هذا المقام الى مجاهدة النفس الأمّارة ، أى إلى أن يكون مراقباً لنفسه كل لحظة لئلا يرتكب لى عمل مخالف لرضا الله تعالى ، و لكى يكون عمله صالحاً حسناً ؛ فالإخلاص في العمل الصالح هو الوسيلة الوحيدة لإدراك المقصود ؛

فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا^١ .

فيعرض في كلّ خطوة يخطوها عن نزوات النفس و تزيين إبليس ، و يتوكّل على الله و يوكل قلبه اليه ، و يبعد الخواطر الشيطانية عن ضميره ، و يُسكّن نفسه المضطربة الجياشة بذكر الله تعالى .

و يحتاج هذا العمل الى مجاهدة النفس ، و الوصول الى منزل الإخلاص ليُصبح من المخلصين ، فلا يحسب له هدفاً في جميع الامور من العبادات و غيرها الاّ الله تعالى ، و يكون عمله خالصاً لوجهه الكريم .

و ذلك لأنّ قلب الإنسان لا يخلو من هجوم الأفكار و الخيالات الواردة على القلب ، حتّى حال السكون و الإستراحة ، إذ يهجم سيل الخواطر على قلب الإنسان بدون اختياره ، و لا تكفّ هذه الخواطر عنه حتّى حال نومه .

و لذلك ينبغي على الانسان من أجل تسكين القلب و تهدئته ، أن

٢- ذيل الآية ١١٠ ، من السورة ١٨ : الكهف .

يقاوم هجوم الخواطر بذكر الله و المجاهدة القويّة للنفس ، و أن يحفظ قلبه عن أن تتصرّف فيه ، و أن يكفّ نفسه عن نواياه الشخصيّة كلّ لحظة ، فيرجح اختيار البارى و رضاه على اختياره و رضاه .

و اذا ما تمكّن الانسان - بعون الله و توفيقه - من الصمود فى هذه المرحلة ، و فى الاستمرار فى مجاهدته ، فانّ جميع مراتب عبادة الأنبا و الإستكبار و النزعة الإستقلاليّة فيه ستودّع و تنصرف ، فيحلّ محلّها ذلّ العبوديّة نسبةً لساحة المعبود ، و روح طلب الله و الفاقة اليه سبحانه ، و سيخرج من عبادة نفسه الى عبادة الله و يشاهد فى نفسه حقيقة العبوديّة ، فيسكن قلبه و يكفّ عن التقلّب و الجیشان ، و يُهدى من الإضطراب و الحيرة الى الاطمئنان و السكينة ، و يصبح وجوده و سرّه منزهاً و طاهراً ، لا تعرف الخواطر الشيطانيّة طريقها اليه ، و لا ترده سائر الخواطر الاّ بإذنه ، و لا تنفذ فيه الاّ بإجازته .

و ذلك لأنّ القلب سيصبح انذاك منزهاً مصقولاً بصقل المحبّة و العبوديّة ، لذا فانّ الجمال و النور الالهى سيكونان مشهودين فيه ، و سيصبح مرآةً يعكس ذات و أسماء و صفات المعبود ، و هذا هو مقام المخلصين الذى هو أعلى و أسمى المقامات .

و تبعاً للآيات القرآنية فانّ هذه الفئة تمتلك خصائص معيّنة هي :
أولاً : إنّ الشيطان و النفس الأمّارة لا سلطان لهما عليهم ، فقد يؤسّس منهم يأساً تاماً ، فلا يستطيعان النفوذ أو التأثير فى نفوسهم و لو بأدنى قدر .

وَأَعْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ¹
قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَعْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ²

١- الآية ٣٩ و ٤٠ ، من السورة ١٥ : الحجر .

٢- الآية ٨٢ و ٨٣ ، من السورة ٣٨ : ص .

أنَّ الشيطان يعترف هنا بعجزه عن حرفهم عن طريقهم ، لأنَّ قلوبه صارت محلاً لله ، و جلىُّ لَّن مثل هذا المكان لا قدرة للشيطان على الاستيلاء عليه أو التصرف فيه . و سيكون هؤلاء الافراد مصونين محفوظين دائماً في حرم الله من كلِّ ذنب فعلياً كان أو قولياً أو فكرياً أو قلبياً أو سرّياً. كما انهم سيخلون من كلِّ خطأ وذنوب ، و سيكون فعلهم فعل الحقّ ، و لسانهم لسان الحقّ ، و أعينهم أعين الحق ، و آذانهم آذان الحق ؛ و في النهاية فإنَّ مركز وجودهم متعلّق بحضرة الحقّ ، و ستكون بيوت قلوبهم و أسرارهم كلّها مسلّمة خالصة لله المَنَّان .

و جلىُّ أنَّ وارداتهم القلبية بإذن الحقّ و أمره ، و كلِّ ما يتلقّاه ضميرهم من العوالم العلويّة ، سواءً في هيئة الوحي و تشريع الشريعة ، أو بعنوان إدراك المطالب الكليّة و العلوم الحقيقيّة و الاطلاع على الأسرار والمغيّبات ، و ذلك من شأن الإمام و أولياء الله ؛ و على كلّ حال فإنَّ قلوبهم ستكون معصومة و عارية عن كلّ خطأ أو ذنب .

و ثانياً : باعتبار لَّن أفكارهم و أسرارهم قد اتّسعت ، و انهم قد اجتازوا جميع مراحل الوجود و تحقّقوا بذات الحقّ ، فانهم - لذلك - يستطيعون أن يحمّدوا الله و يُثنّوا عليه كما يليق بذاته المقدّسة .

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ^١

ذلك لأنَّ كلّ موجود يريد حمد الله فأنه يحمده حسب استعداده و ظرفيته ، و بقدر فكره و علمه ، و حضرة الحقّ أعلى من مقدار و مدى علمه و ظرفيّة وجوده ، لذلك فإنَّ لِيّ موجود لن يستطيع أن يحمده كما يليق به و كما هو شأنه ؛ و عليه فإنَّ التسبيح ينبغي ان يقترب دوماً بالحمد ،

١- الآية ١٥٩ و ١٦٠ ، من السورة ٣٧ : الصافات .

أى أننا فى نفس اللحظة التى نحمدك فيها و تُثنى عليك بجميع مراتب الجمال و الكمال ، فأننا نُزهِهك و نقدِّسك عن أن يكون حمدنا لائقاً بمقام عزِّك و جلالك و عظمتك :

سُبْحَانَ رَبِّىَ الْأَعْلَى وَ بِحَمْدِهِ - سُبْحَانَ رَبِّىَ الْعَظِيمِ وَ بِحَمْدِهِ - وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلَكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ^١.

فرعد السَّماء و الملائكة يُسَبِّحون الله مع حمدهم له على الدوام ، وذلك خوفاً منه و إحساساً بمقارنتهم أمام عظمته :

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَّا تُفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ^٢.

إنَّ جميع الموجودات بلا استثناء تعترف بتحميدها و تمجيدها بعدم وصول الحمد و الشكر الى ساحة قُدسه ، و لذا فأنها تقوم - مع حمدها - بالتزويه و التقديس و تعتبر ذات البارى المقدسة أعلى و أنزه من أمثال هذا الحمد . أمَّا عباد الله المخلصين الذين لا يُشاهد فيهم لى جانب مستقل للوجود ، فقد صار وجودهم وجوداً للحقّ ، و قلوبهم عرشاً لذاته ؛ فأنهم يستطيعون أن يحمدا الله كما يليق به . و فى الحقيقة فإنَّ الله يحمد نفسه بنفسه .

و هذا التقريب لا يُنافى جملة (مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ) ، لأنَّ مفاد هذه الجملة عرض الذلّ و الفقر فى عالم الإمكان و الكثرة ، كما لنَّ مفاد :

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ^٣.

هو تحقُّق الفناء الحقيقى فى جميع مراتب الأسماء و الصِّفات و ذات

١- صدر الآية ١٣ ، من السورة ١٣ : الرعد .

٢- ذيل الآية ٤٤ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٣- الآية ١٥٩ و ١٦٠ ، من السورة ٣٧ : الصافات

الحضرة الأحديّة ، و في ذلك المقام للفناء المطلق ، فإن أدنى شائبة للوجود و لإظهار الأنانيّة هي الكفر و الشرك ، و ما أبعد ذلك عن ساحة إخلاص المخلصين !

و ثالثاً : فليس هناك مؤاخذه أو محاسبة و لا استجواب لهؤلاء ، و ليس هناك سؤال في القبر و لا منكر و نكير ، و لا حشر و لا عرض ، و لا كتاب و لا ميزان و لا صراط :

فإنَّهُمْ لَمَحْضُرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ^١ .

فكلّ بنى الإنسان يحضرون امام عدل الله و يُسألون و يُعرضون الّا عباد الله المخلصين الذين لا سؤال لهم و لا عرض ، لأنهم تخطّوا محلّ المؤاخذه و السؤال بمجاهداتهم النفسانية و إخلاصهم في العمل و القول و الفكر و السرّ ، و وردوا في حرم الله في المحلّ الرفيع المعدّ للمخلصين ، و استقرّوا هناك .

و في الحقيقة فإنّ الإنسان الذي سلّم وجوده لله ، فلم يبقَ له شيء يُسأل عنه ، بل إنّ السؤال و الكتاب للذين فيهم شوائب من الربوبيّة ، و الذين بدرت منهم أعمال تبعاً لتلك الشوائب ؛ أمّا الذي لم يبق فيه غير حقيقة العبوديّة المحضة ، و الذي تضجّ جميع مراتب وجوده بالنداء بفقره و حاجته و فاقتة و طلّ عبوديّته ، فكيف يُتصوّر له الحضور و السؤال ؟!

هؤلاء العباد لا يموتون ، بل هم أحياء دوماً بحياة الحقّ ، لأنهم أصبحوا وجه الله و صاروا خلفاءه و مظهرى ذاته . و من الجلىّ أنّ الهلاك و البوار في المراحل التى يكون فيها الوجود غير وجود الحقّ و غير وجهه .

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا

١- الآية ١٢٧ و ١٢٨ ، من السورة ٣٧ : الصافات .

مَنْ شَاءَ اللَّهُ^١.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ^٢.

و يُلاحظ في هاتين الآيتين أَنَّ اللَّهَ سبحانه و تعالى قد استثنى فئةً ،
و هم الذين تعلّقت بهم مشيئة الله فلا يريد لهم الهلاك ، فلا خوف و لا هلاك
لهم .

و نشاهد من جانب آخر أَنَّ اللَّهَ سبحانه و تعالى يقول لَنَ جَمِيعِ
الموجودات ستهلك بلا استثناء إلا وجه الله .

كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ^٣.

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ^٤.
و نستنتج من هاتين الآيتين و اللتين قبلهما بأنَّ نفس الأفراد الذين
أخلصهم الله و الذين لا يموتون بواسطة النفخ في الصور ، هم الذين
أصبحوا - بكل معنى الكلمة - وجه الله و مُظهرى أمره ، أى أولياء الله
والمقربين اليه .

و بضمّ هذه النتيجة الى الآية السابقة القائلة :

فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ .

فاننا نستفيد بأنَّ عباد الله المخلصين ليس عليهم سؤال و لا استجواب
و لا موت و لا إنعدام ، بل هم أحياء دوماً بحياة الحق ، حياةً سرمديةً دائمة .
رابعاً : لَنَ الله العلىّ الأعلى لم يجعل لعباده المخلصين جزاءً محدوداً

١- صدر الآية ٨٧ ، من السورة ٢٧ : النمل .

٢- صدر الآية ٦٨ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

٣- مقطع من الآية ٨٨ ، من السورة ٢٨ : القصص .

٤- الآية ٢٦ و ٢٧ ، من السورة ٥٥ : الرحمن .

أو معيّناً ، لأن كلّ ما سيُعطيهم من الجتّة و نعيمها أقلّ من مقامهم و منزلتهم ، بل لنّ جزاءهم نفس الذات الأحديّة و مشاهدة أنوار جمالها فقط .

وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ^١ .

جزاؤهم لا يعدّ و لا يُحصى ، لأنّهم اجتازوا النفس و عالم المقدار و وصلوا الى بحر العظمة و الجلال ، لذا فإنّ نفس التحقّق في ذلك المقام هو جزاؤهم اللامتناهى الذى لا حدّ له .

و الخلاصة فأنّه يُستفاد من هذه الآيات التى وردت في شأن المخلصين و مقامهم و منزلتهم ، أنّ المخلصين من عباد الله هم غير سائر العباد من جميع الوجوه ، لأنّهم مصونون بصيانة الربّ ذى الجلال ، فليس فيهم لىّء آفة من الذنب و المعصية التى تنجم عن سيطرة الشيطان و النفس الأمّارة . و هذا هو معنى العصمة من الذنوب التى يبيّنها الله تعالى في القرآن الكريم .

كَذَلِكَ لِنَصْرِفُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ^٢ .

أى أنّنا حفظنا يوسف عليه السلام من الابتلاء بالذنوب مع زليخا ، لأنّه كان من عبادنا المخلصين ؛ فكلّ من ينال مرتبة و مقام المخلصين إذن سيكون محفوظاً و مصوناً من قبل الله تعالى من كلّ منكر و قبيح . يُضاف الى ذلك أنّ حياتهم باعتبارها قد أصبحت حياة الحقّ ، و أنّهم قد اجتازوا عالم المقدار ، فليس فيهم بعدّ وجود للخواطر المغيرة و المبدلة للنفس ، فأنّهم سيمتلكون مقام العصمة في تلقّى المعارف الالهية و العلوم الكليّة و حفظها و إبلاغها ، و سيكونون مصونين بصيانة الحضرة الأحديّة .

١- الآية ٣٩ و ٤٠ ، من السورة ٣٧ : الصافات .

٢- ذيل الآية ٢٤ ، من السورة ١٢ : يوسف .

و يمكن الاستفادة من الآية الشريفة التي ذكرناها في مطلع الدرس في اثبات جميع المراتب الثلاثية للعصمة في الذين بُعثوا هداية الناس و إرشادهم .

عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إَلَّا مَن ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ .
 أى اولئك الذين يصبحون من جميع الجهات ، و من زاوية العقائد ،
 و من زاوية الصفات النفسية و الروحية مورد رضا الله سبحانه ، و اولئك
 الذين نالوا مرحلة العبودية المحضة ، و خرجوا عن الغرور و العُجب
 و الأنانية في جميع المراحل ، فأصبحوا مرضيين من قبل الله .
 و معلومٌ أنّ الإنسان ما لم يصل الى هذه المنزلة ، فأنه لن يصبح موردًا
 للإرتضاء المطلق من ربّه ، و هذه هى مرتبة المخلصين . و فى هذه الحالة

١- و يرد هنا هذا السؤال : كيف يكون المراد بالإرتضاء هو الإرتضاء المطلق ، بينما المراد بالإرتضاء فى الآية ٢٨ من سورة الأنبياء : (وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَن ارْتَضَى) ارتضاءً فى الدين و العقيدة ؟

و الجواب : لأنّ الشفاعة عائدة لأهل المعصية ، و هى الكبائر ، بدليل الآية ٣٢ من سورة النجم : لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا وَ يُجْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى * الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ؛ التى تعدّ من المحسنين الذين يجتنبون الكبائر فقط . و قد قال الرسول صلى الله عليه و ءاله : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل) . و جاء فى سورة النساء ، الآية ٣٠ :

إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ؛ و على ذلك فإن نفس الاجتناب عن الكبائر مكفرّ للسيئات و المعاصي الصغيرة .

و على هذا الأساس فإن المراد بالإرتضاء فى آية الشفاعة لا بدّ ان يكون - بمناسبة الحكم و الموضوع - الإرتضاء فى الدين و العقيدة لا الإرتضاء فى السرّ و الذات و العمل ، لأنّ الذى تصبح ذاته و سرّه موردًا للإرتضاء فليس هناك من معنى للشفاعة له . و يؤيد هذا المعنى الروايات الواردة عن علىّ بن موسى الرضا عليه السلام ، التى يفسّر فيها الإمام الإرتضاء فى آية الشفاعة بالإرتضاء فى الدين (فى تفسير الميزان ، المجلد الاول ، ٥٧

فإنَّ الله سيكشف له الستار و الحُجُب القلبيَّة و يُطلعه على علم غيبه و على كلِّ ما هو خارج عن متناول يد جميع أفراد الجنِّ و الإنس و الملائكة .

و بالطبع فلأنَّ الله يُفهم الإنسان علمه الغيبيّ دون أى تغيير أو تبديل ، و دون أى نقص أو خلل ، فإن قلبه ينبغي أن يقع في مقام عصمة الله و صيانته ، و ألاّ تنصرف بنفسه في تلقى ذلك العلم و لانحرف و بدّل في أخذه ، و هذه هي مرحلة العصمة في تلقى المعارف الحقّة : فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصْدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أُبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا^١ .

و لأنَّ قلبه صافٍ و بعيد عن متناول يد الشيطان ، فأنه - بعد التلقّى الصحيح - سيحفظ كلَّ تلك المعارف و العلوم الكلّية و يحوّلها و ينقلها كما أخذها ، و هذه هي مرحلة في تبليغ و إيصال الأحكام و المعارف .

فالله سبحانه و تعالى يجعل رصداً و حراساً في أطراف قلبه و جوانبه و بين يديه و من خلفه لكي لا تؤثر فيه إلقاءات الجنِّ و الإنس ، و لا تجد وساوس النفس و ابليس سبيلاً إلى قلبه ، و هذه هي المصونيّة الالهية ، لأنَّ الله اذا وكلَّ الإنسان الى نفسه و رفع يده عن حمايته و حفظه ، فأنه سيواجه آلاف الأفات ، فذلك القلب محفوظ عن جميع الشرور ، مِنْ شَرِّ الْخَنَاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، و من شرِّ جميع ما خلق ، و من شرِّ الثَّفَائِتِ فِي الْعُقَدِ وَ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ؛

لا يؤثر عليه سحرٌ ولا طلسمه ، ولا قدرة النفس الأمّارة بالسوء أبداً .

١ ص ١٧١ فما بعد ، و المجلّد الرابع عشر ، سورة الأنبياء الآية ٢٨ ، روايات تدلّ على هذا المقصود . و تبقى آية الإرتضاء تلك حول علم الغيب باقيةً على إطلاقها بمناسبة الحكم و الموضوع ؛ أمّا بشأن الشفاعة فإنها سيكون لها كذلك إطلاق في الدين و العقيدة .

١- الآية ٢٧ و ٢٨ ، من السورة ٧٢ : الجنّ .

و لو اجتمعت المخلوقات و اتحدت لحرفه عن مقصده و مسيره ، او لتصرف فيه خلافاً للعلوم الكلية و المعارف الحقة ، او لتغير معلوماته و إدراكاته ، فأنها لن تفلح و لن تستطيع ، و ذلك لأن قلب المؤمن تحت مصونية الله و رصده ، فقد عين الله موكلين لحراسته و لحفظه من بين يديه و من خلفه ، و ذلك من أجل ان يقوم بتبليغ رسالات الله و أحكامه بصورة صحيحة و كاملة ، لكي لا يتخطى هؤلاء المؤمنون وظيفتهم ؛ والله سبحانه محيط بجميع أمورهم و مطلع على جزئيات و كلييات إنجازاتهم و أمورهم ؛ و هذه هي مرحلة العصمة في التبليغ و التحويل .

و اما مرحلة العصمة من المعصية ، فهي أيضاً غير خارجة عن مدلول الآية بالتقريب السابق ، و ذلك لأنه اذا ما ارتكب رسول ذنباً فأنه سيكون بفعله قد أعلن ترخيصه له ؛ و لأنه قد أعلن حرمة ذلك الذنب قبلاً بقوله و كلامه ، فأنه سيكون قد دعا الى متناقضين ؛ و المتناقضان ليسا حقاً ، بل ان من المسلم أن أحدهما باطل ، في حين أن قلب رسول الله مضان عن تلاعب الشيطان ، فقد كان و سيبقى متحققاً بالحق .

و تبين ملائكة الوحي هذه الحقيقة للرسول في سورة مريم :

وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۚ

و هكذا فإن المطالب التي ذكرت تثبت عصمة الأنبياء و الأئمة عليهم السلام في جميع المراحل ، بل و تثبتها كذلك للخاصين و المقربين من أولياء الله تعالى .

مقام أمير المؤمنين عليه السلام :

أما بالنسبة الى أمير المؤمنين عليه السلام ، فهو قائد للمعارف الحقة

و صاحب لواء الحمد ، و السابق في مراحل التوحيد ؛ فقد جاء به الله سبحانه في بيته و حرمه (الكعبة) بعد أن حفظ نوره المقدس في الأصلاب نسلًا بعد نسل ، من آدم الى أبي طالب .

اسمه المبارك : على ؛ و كُنيتُه : أبو الحسن ؛ و والده : أبوطالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ و أبوطالب أخو عبدالله والد الرسول ، و على هذا فائه ابن عم رسول الله ، تجتمع نسبتهما في جدّهما عبدالمطلب . و كان أبوطالب من أكابر أهل مكّة و ممّن خدموا رسول الله ، فقد كان يحامي عنه بحيث أنّ أحداً من مشركي قريش لم يستطع أن ينال الرسول بأذى في حياة أبي طالب و كان أبوطالب يحفظ النبيّ و يجرسه و سائر بني هاشم لمدة ثلاث سنوات في الشعب المعروف بشعب أبي طالب ، و كان يفدى رسول الله بنفسه و يحميه حتّى رحل عن هذه الدنيا ، و عندها تناولت الأيادي المتجاوزة و المتجاسرة على رسول الله من قبل المشركين ، فأجبر النبيّ الأكرم على الهجرة الى المدينة .

و كان أبوطالب من المؤمنين الواقعيين و المسلمين الحقيقيين برسول الله ^١ ، و أشعاره التي نظمها في مدح رسول الله كثيرة و مثبتة في كتب الأحاديث و التاريخ ، لكنّه كان يكتُم إيمانه عن قريش لأسباب ، من أهمها المحافظة على رسول الله و حراسته ، و كان الرسول كثير المحبّة له و كان يخاطبه بـ (أبي) .

١- يُرجع الى كتاب (أبوطالب مؤمن قريش) تأليف عبدالله الخنيزي ، و كتاب (الحجّة على الذاهب الى تكفير أبي طالب) تأليف فخار بن سعد بن فخار الموسويّ بن معد الموسوي الحائري الذي يروي عن ابن ادريس الحلّي ، و يروي عنه المحقّق الحلّي ، و يرجع كذلك الى كتاب (أبوطالب حامى الرسول و ناصره) تأليف العلّامة نجم الدين الشريف العسكري .

اسم والدته : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ؛ ولأنَّ أسد كان أخاً لعبد المطلب ، لذا فإنَّ أباطالب و فاطمة كانا ابني عمِّ بعضهما . وكانت فاطمة بنت أسد والدة أمير المؤمنين من أعلام النساء المسلمات ، وهى أول امرأة ءامنت برسول الله بعد خديجة ؛ وكانت تحبُّ رسول الله كثيراً ، وكان الرسول يخاطبها بـ (أمي) .

فاطمة بنت أسد أول امرأة هاجرت من مكة الى المدينة :

يقول ابن الجوزي : وَ هِيَ أَوَّلُ امْرَأَةٍ هَاجَرَتْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ مَاشِيَةً حَافِيَةً ، وَ هِيَ أَوَّلُ امْرَأَةٍ بَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَهْلَهُ] وَسَلَّم بِمَكَّةَ بَعْدَ خَدِيجَةَ^١ .

و يقول ابن الصَّبَّاح المالكى : فاطمة بنت أسد ، أسلمت و هاجرت مع النبيّ صَلَّى الله عليه [وَأَهْلَهُ] و سلَّم ، وكانت من السابقات الى الإيمان بمنزلة الأم من النبيّ صَلَّى الله عليه [وَأَهْلَهُ] و سلَّم ... فلمّا ماتت كفَّها النبيّ صلى الله عليه [وَأَهْلَهُ] و سلَّم بقميصه ، و أمر أسامة بن زيد و أبا أيوب الأنصارى فحفرا قبرها ، فلمّا بلغا لحدها حفره رسول الله صلى الله عليه [وَأَهْلَهُ] و سلَّم بيديه و أخرج ترابه ، فلمّا فرغ اضطجع فيه و قال :

اللَّهُ الَّذِي يُخَيِّى وَ يُمَيِّتُ وَ هُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ وَ لَقَنَّا حُبَّهَا وَ وَسَّعَ عَلَيْهَا مَدْخَلُهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ وَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ^٢ .

ف قيل^٣ : يا رسول الله ! رأيناك صنعت شيئاً لم تكن صنعته بأحد

١- (الفصول المهمة) لابن الصَّبَّاح ، هامش الصفحة ١٣ ؛ و (تذكرة السبط) ابن

الجوزى ، ص ٦ .

٢- (الفصول المهمة) ، ص ١٣

٣- و ينقل ابن الأثير ذيل كلام ابن الصَّبَّاح في (أسد الغابة) ، ج ٥ ، ص ٥١٧ .

قبلها ؟!

فقال صَلَّى الله عليه [وآله] و سَلَّمَ : أَلْبَسْتُهَا قَمِيصِي لَتَلْبَسَ مِنْ ثِيَابِ
الْجَنَّةِ ، وَ اضْطَجَعْتُ فِي قَبْرِهَا لِيَخْفَ عَنْهَا مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ ، إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ
أَحْسَنِ خَلْقِ اللَّهِ صُنْعاً إِلَى بَعْدِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَ رَحِمَهُمَا ^١ .
يقول سبط ابن الجوزي : وَ كَانَتْ وَفَاةً فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدٍ فِي السَّنَةِ
الرَّابِعَةِ لِلْهَجْرَةِ ^٢ .

وَ قَدْ أَنْجَبَ أَبُو طَالِبٍ وَ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ أَرْبَعَةَ أَوْلَادِهِمْ بِالترْتِيبِ :
طَالِبٌ ، وَ عَقِيلٌ ، وَ جَعْفَرٌ ، وَ عَلِيٌّ ، وَ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَسَنّاً مِنَ الْآخَرِ
الَّذِي يَسْبِقُهُ بَعَشَرَ سَنِينَ ، كَمَا أَنْجَبَا بِنْتاً وَاحِدَةً تَسْمَى فَاخْتَةً وَ تَكْنَى
بـ (مَّ هَانِي) ^٣ .

وَ لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ شَكٍّ فِي أَنَّ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَدَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ
بَيْتَ اللَّهِ ، وَ فِي ذَلِكَ يَقُولُ السَّيِّدُ الْحَمِيرِي :

وَلَدَتْهُ فِي حَرَمِ الْإِلَهِ وَ أَمْنِهِ	وَ الْبَيْتِ حَيْثُ فَنَاءُهُ وَ الْمَسْجِدُ
بِضَاءِ طَاهِرَةِ الثِّيَابِ كَرِيمَةٍ	طَابَتْ وَ طَابَ وَلِيدُهَا وَ الْمَوْلِدُ
فِي لَيْلَةٍ غَابَتْ نُحُوسُ نُجُومِهَا	وَ بَدَتْ مَعَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ الْأَسْعَدُ
مَأْلَفٍ فِي خِرْقِ الْقَوَابِلِ مِثْلُهُ	إِلَّا ابْنُ أَمْنَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ ^٤ .

١- إلى هنا كلام ابن الصبّاغ .

٢- (تذكرة الخواص) ، ص ٦ .

٣- (الفصول المهمة) لابن الصبّاغ ص ١٢ نقلاً عن ضياء الدين أبي المؤيد الموقّق بن
أحمد الخوارزمي في كتابه (المناقب) .

٤- (ديوان الحميري) ، ص ١٥٥ ، و يقول جامع الديوان ان تخريج هذه الأبيات من
(أعيان الشيعة) ، ج ١٢ ، ص ٢٤٠ ؛ و (المناقب) ، ج ٢ ، ص ١٧٥ ؛ و (دلائل الصدق) ، ج ٢ ،
ص ٣٢٨ .

يقول المستشار عبدالحليم الجُندى ، أحد أركان المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في مصر في كتابه القيم (الإمام جعفر الصادق) ص ٣١ :
و علىُّ في كثير من الأمور هو الأُوحد ، فالنبيُّ هو الذى ربّاه ، و ءاخاه ، و أعدّه للعظائم فصنعها ، و عهد اليه في تبليغ ءاى القرءان ... و هى جميعها خصوصيات لا يرقى رقيّه فيها أحد ؛ أما ما لم يشركه فيه بشر فهو ما أجمعت عليه كتب الشيعة و شاركها فيه كثيرون من علماء اهل السنّة منذ القرون الاولى - كالمسعودى و الحاكم و الكنجى - حتى القرون الحديثة - كالآلوسى - و هو أنّ عليّاً وُلِدَ بِالْكَعْبَةِ .

كما يقول عبدالباقى عمر في هذا الشأن:

أَتَتْ الْعَلِيُّ الَّذِي فَوْقَ الْعُلَى رُفْعاً بِيْطْنِ مَكَّةَ وَسَطِ الْبَيْتِ إِذْ وُضِعَا^١
و يقول الحاكم النيسابورى : لَمْ يُوَلَدْ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ قَبْلَ عَلِيٍّ وَلَا بَعْدَهُ مَوْلُودٌ إِكْرَامًا لَهُ وَ إِجْلَالًا لِمَحَلِّهِ

كما يقول ابن الصبّاح المالكى : وُلِدَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ بِدَاخِلِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّالِثِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْأَصَمِّ ، رَجَبِ الْفَرْدِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ مِنْ عَامِ الْفِيلِ ، قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ وَعَشْرِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ بِخَمْسِ وَعَشْرِينَ ، وَقَبْلَ الْبَعْثِ بِاثْنَتَى عَشْرَةَ سَنَةً ، وَقِيلَ بِعَشْرِ سِنِينَ ، وَلَمْ يُوَلَدْ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ قَبْلَهُ أَحَدٌ سِوَاهُ ، وَهِيَ فَضِيلَةٌ خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا إِجْلَالًا لَهُ وَ إِعْلَانًا لِمَرَّتَبَتِهِ وَ إِظْهَارًا لَتَكْرَمَتِهِ ، وَ كَانَ عَلِيٌّ هَاشِمِيًّا مِنْ هَاشِمِيَّيْنِ وَأَوَّلَ مِنْ وَلَدِهِ هَاشِمٌ مَرَّتَيْنِ^{٢ و ٣ و ٤}

١- تعليقة أشعار الحميرى في ديوان الحميرى ، ص ١٥٥ .

٢- (الفصول المهمة) ، ص ١٢ ؛ و كذلك قال ابن الأثير في (أسد الغابة) ج ٤ ، ص ١٤ :

و هو أوّل هاشمى ولد بين هاشميين .

كيفية ولادة أمير المؤمنين في الكعبة :

أمّا في كيفية ولادته فقد ورد أنّه :

أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أمّ أمير المؤمنين عليه السّلام ، وكانت حاملة بأمير المؤمنين عليه السّلام لتسعة أشهر ، و كان يوم التّمّام ، قال : فوقفت بإزاء البيت الحرام وقد أخذها الطلق ، فرمت بطرفها الى السماء وقالت : أى ربّ ، إني مؤمنة بك و بما جاء من عندك الرسول ، و بكلّ نبيّ من أنبيائك ، و بكلّ كتاب أنزلته ، و أنّي مصدّقة بكلام جدّي ابراهيم الخليل و أنّه بنى بيتك العتيق . فأسألك بحقّ هذا البيت و من بناه ، و بهذا المولود الذى فى أحشائى الذى يكلمنى و يؤنسنى بحديثه ، و أنا موقنة أنّه إحدى آياتك و دلالتك لما يسرّت علىّ ولادتي .

قال العباس بن عبدالمطلب و يزيد بن قعنب (و كانا يشهدان ذلك) : لمّا تكلمت فاطمة بنت أسد ودعت بهذا الدعاء ، رأينا البيت قد انفتح من ظهره (فى موضع المُستجار) و دخلت فاطمة فيه و غابت عن أبصارنا ، ثمّ عادت الفتحة و التزقت بإذن الله (تعالى) ، فرمنا أن نفتح الباب ليصل اليها بعضُ نسائنا فلم يفتح الباب ، فعلمنا أنّ ذلك أمر من أمر الله (تعالى) . و بقيت فاطمة فى البيت ثلاثة أيّام . قال : و أهل مكة يتحدّثون بذلك فى أفواه السكك و تتحدّث المخدّرات فى خدورهنّ .

قال : فلمّا كان بعد ثلاثة أيّام انفتح الباب من الموضع الذى كانت

٣٤- على أمير المؤمنين عليه السّلام ليس أوّل هاشمى ولد من هاشميّين ، اذ إنّ أخاه الأكبر له هذه الصفة .

٤٤- ذكر فى كتاب الغدير ، ج ٦ ، من ص ٢١ الى ٣٨ الروايات الواردة فى ولادته عليه السّلام فى جوف الكعبة مع أسنادها و أسماء علماء أهل السنّة الذين أوردوها فى كتبهم و الشعراء الذين أنشدوا فيها قصائدًا .

دخلت فيه ، فخرجت فاطمة و عليّ علي يديها [و هي تقول : مَنْ مثلى يلد ولدًا كهذا في جوف الكعبة ؟!] ^١ .

و أمّا ما نقله ابن الصّبّاح المالكي عن كتاب المناقب لأبي العالى الفقيه المكي فهو :

روى خبراً يرفعه الى عليّ بن الحسين [عليهما السلام] أنّه قال : كتّا عند الحسين (رض) في بعض الأيام و اذا بنسوة مجتمعين فأقبلت امرأة منهنّ علينا ، فقلتُ لها : مَنْ أنتِ يرحمك الله ؟ قالت : أنا زبدة ابنة العجلان من بني ساعدة .

فقلتُ لها : هل عندك من شيء تحدّثينا به ؟! قالت : أى والله ، حدّثنى أمّ عمارة بنت عبادة بن فضلة بن هالك بن عجلان الساعدي أنّها كانت ذات يوم في نساء من العرب ، إذ أقبل أبوطالب كئيباً حزيناً ، فقلتُ له : ما شأئك ؟ قال : لىّ فاطمة بنت أسد في شدّة من الطلق . ثمّ آتته أخذ بيدها و جاء بها الى الكعبة فدخل بها و قال : اجلسى على اسم الله ، فطلقت طليقةً واحدة فولدت غلاماً نظيفاً منظّفاً لم ل أحسن وجهاً منه ، فسماه أبوطالب عليّاً ، و قال شعراً :

سُمِّيَتْهُ بِعَلِيٍّ كَيْ يَدُومَ لَهُ عِزُّ الْعُلُوِّ وَ فَخْرُ الْعِزِّ أَدْوَمُهُ

و جاء النبيّ صلى الله عليه [و آله] و سلّم فحمله معه الى منزل أمّه . قال عليّ بن الحسين : فو الله ما سمعتُ بشيء حسن قطّ الاّ و هذا من أحسنه ^٢ .

١- (غاية المرام) ، ص ١٣ ، عن كتاب (الأمالى) للشيخ الطوسى . و العبارة بين

القوسين المعقوفين ترجمة النصّ كما ورد بالفارسيّة .

٢- (الفصول المهمّة) ، ص ١٢ ؛ و (غاية المرام) ، ص ١٣ نقله عن طريق العامّة عن

كتاب (المناقب) لابن المغازلى الشافعى .

و يروى الشيخ سليمان القندوزي عن كتاب (مودة القري) عن
العبّاس بن عبدالمطلب قال : لما ولدت فاطمة بنت أسد عليّاً سمّته بإسم أبيه
أسد و لم يرضَ أبوطالب بهذا الإسم فقال : هلمّ حتّى نعلو أبا قبيس ليلاً
و ندعوا خالق الخضراء ، فلعلّه أن ينبئنا في إسمه ، فلمّا أمسيا خرجا و صعدا
أبا قبيس و دعيا الله تعالى ، فأنشأ أبوطالب شعراً :

يَا رَبِّ يَا ذَا الْغَسَقِ الدُّجَى وَالْفَلَقِ الْمُبْتَلِجِ الْمُضَى
يَبِينُ لَنَا عَنْ أَمْرِكَ الْمَقْضَى بِمَا نُسَمَّى ذَلِكَ الصَّبَى

فإذا خشخشة من السماء ، فرفع أبوطالب طرفه فإذا لوح مثل زبرجد
أخضر فيه أربعة أسطر ، فأخذه بكلتا يديه و ضمّه الى صدره ضمّاً شديداً ،
فإذا مكتوب :

خُصِّصْتُهَا بِالْوَلَدِ الزَّكِيِّ وَالطَّاهِرِ الْمُتَجَبِّ الرَّضَى
وَإِسْمُهُ مِنْ قَاهِرِ الْعَلَى عَلَى اشْتَقٍّ مِنَ الْعَلَى

فسرّ أبوطالب سروراً عظيماً و خرّ ساجداً لله تبارك و تعالى ، و عقّ
بعشرة من الإبل ، و كان اللوح معلقاً في بيت الحرام يفتخر به بنوهاشم على
قريش حتّى غاب زمان قتال الحجاج ابن الزبير^١ .

١- (ينابيع المودة) ، ص ٢٥٥ .

الدَّرْسُ الرَّابِعُ

لَرْفُ مَعْصِيَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْإِسْمَةِ الْمُسْتَلَا

بسم الله الرحمن الرحيم
و صلى الله على محمد و ءاله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين
و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرَىٰ مَا الْكِتَابُ وَلَا
الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا .

الصفات المعتدلة في الإنسان :

يوجد في الإنسان صفات حسنة مثل الشجاعة و السخاء و العفة
و غيرها ، إذا ما أعمل كلاً منها في موقعه المناسب و بالمقدار المعين
الضروري ، فإن هذه الصفات ستكون صحيحة و مفيدة ، أما إذا جاوزت
حدودها و عمل بخلافها فأنها ستكون خطأ و باعثاً على الضرر .

و يُقال لعكس هذه الصفات صفات الرذيلة ، و هي الإفراط و التفريط
في حدود هذه الصفات ؛ فالشجاعة مثلاً ، و هي ملكة حسنة ، تمثل الحدّ
المتوسط و المعتدل و الممدوح بين الطرفين المذمومين ، ففي ناحية
التفريط و النقص في تلك الملكة عنوان الجبن و الخوف و هو من الصفات
الرذيلة ، بينما هناك في ناحية الإفراط و التطرّف عنوان التهور و اللامبالاة

١- صدر الآية ٥٢ ، من السورة ٤٢ : الشورى .

و هو أيضاً أمر خاطيء و غير حسن . و على الإنسان أن يحافظ في نفسه دائماً على هذه الصفة في حد الاعتدال ، و لا يسمح لها أن تنزل عن حدّها فتسقط الى مرحلة الجبن ، و لا أن تصعد حتّى تبلغ مرحلة التهور واللامبالاة .

و الأمر كذلك في العفة و هي من الصفات الحسنة جداً ، لكنّها اذا تنزلت عن حدّها فانّها ستنجرّ الى مرحلة الخمود ، أى عدم الإحساس و الكسل ، و حينذاك تصبح قبيحة غير مقبولة ، و اذا صارت أقوى من حدّها فانّها ستنجرّ الى مرحلة الهتك و الشرّ ، و هي أيضاً من القبائح و الذمائم .

و ينبغي على الإنسان أن يكون دوماً مواظباً و مراقباً لتحوي فيه الملكة المعتدلة بإسم العفة ، فلا تسقط - لا سمح الله - الى مرحلة الخمود أو تصل الى مرحلة الهتك و الشرّ ، حيث ان تلك الملكة الحسنة ستموت في تلك الحالتين ، فتحيا في الإنسان بدلها إحدى هاتين الحالتين غير الممدوحتين ، فتصبح حياته حياة النفس الأمّارة .

و السّخاء أيضاً هو الحدّ الأوسط و الدرجة الحسنة ، و ما لم يُصرف في موقعه أو مكانه لترتّب عليه عنوان البخل ، أمّا اذا جاوز حدّه لترتّب عليه عنوان التبذير و الإسراف ، و من المعلوم أنّ كلّاً من هاتين الحالتين فاسد و غير حسن . و يجب على الإنسان ان يسعى لتوجد عنده حالة التعادل بإسم ملكة السخاء ، و أن يمتنع عن الإفراط و التفريط اللذين هما مرتبة التبذير و البخل . و سيكون الإنسان في هذه الحال إنساناً صحيحاً و متعادلاً .

انّ تلك القوّة الموجودة في الإنسان ، و التي يحافظ بواسطتها على هذه الصفات متعادلة هي العقل ؛ و بسبب دراية العقل بالمصالح و المفاصد و تمييزه منافع الأشياء و مضارّها ، فأنّه سيكون مقيّداً لتلك الصفات المذمومة كالسلسلة و مانعاً من حركتها و بروزها ؛ و ما دامت القوّة العقلية

تعمل بوظيفتها في انتظام هذه القوى ، فإنَّ أيّاً منها لن يستطيع التجاوز عن حدّه و الظهور ، ولكن لأنَّ أصل هذه الصفات و جذورها موجود في جميع أفراد الإنسان بلا استثناء ، حتّى في الأخيار و الرجال المتّقين و أصحاب الفضيلة و العلم ، و لأنَّ بذورها موجودة في القلب في انتظار الفرصة ، فإنّها لن تتوانى - عندما تنهياً لها هذه الأرضيّة المناسبة و عندما تسمح لها الفرصة - عن الهجوم لتسحق ملكة التقوى و العلم و الفضيلة و البصيرة ، لتطلع في الإنسان و تبرز من جديد .

و يحصل كثيراً أنّ المريض الذي يمنعه الطبيب من أكل الطعام سيمتنع عن تناول ذلك الطعام ، بسبب عقله و إدراكه لمنافع الإحتراز عن الأكل ؛ و لكن اذا ما توقّرت الأرضيّة المناسبة أحياناً كالجوع و اشتهاء الطعام ، و كان هناك طعامٌ لذيذ يجري طبخه في البيت تحرّك رائحته المتصاعدة من بعيد قوّة الاشتهاء لدى المريض ، و اذا اتّفق عدم وجود أحد في البيت ليستحيى المريض منه و يتمالك نفسه ، فإنّه كثيراً ما يحصل ان تتصاعد رغبة اشتهاء الطعام في وجوده الى حدّها الأقصى فينهض فجأةً و يأكل من ذلك الطعام حتّى يشبع .

و عندما يشبع و يسقط في سريره فإنّه سيعضّ على اصبعه ندماً أن : أىّ عمل ارتكبتُ مع وجود عملية جراحية في المعدة او الأمعاء ؟!! من المسلّم أنّ على الإستعداد لاستقبال المقبرة بعد ساعات .

و كذلك الأمر اذا عملت التقوى بوظيفتها و أمسكت زمام الشهوة بيدها و أسرتها تحت سيطرتها ، فإنّ من المستحيل على الشخص أن يرتكب الزنا أو أن يعمل عملاً منافياً للعفة ؛ ولكن و بسبب وجود الشهوة الجنسيّة في كيان الإنسان ، فإنّها كثيراً ما تكسر هذا الطوق عند وجود الأرضيّة المناسبة ، فحين تشندّ هذه القوّة في محلّ الخلوة و عند انعدام لى

رادع و مانع خارجي ، و عند عدم وجود المؤاخذة ، و خاصة اذا اقترن ذلك برغبة الطرف الآخر أو دعوته و طلبه لذلك ؛ فانّ هذه القوة ستطلع فجأة و سير تكب هذا الشخص مثل هذا العمل القبيح .

و من المؤكّد أنّه في حال طلوع الشهوة و بروزها ، فإنّها ستسبّب النكبة للعقل و المعرفة و التقوى و العلم بمفاسد هذا العمل و أضراره ، بحيث أنّها ستعجز عن الوقوف بوجهها . و من المسلم ان لا وجود للتقوى و العقل في تلك الحال ، و لا للعلم و المعرفة ؛ و الّا فكيف سيمنح لهذه الغريزة - مع وجود هذه الأمور - أن تتخطّى حدودها ؟!

فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه و آله : لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَ هُوَ مُؤْمِنٌ وَ لَا يَشْرِبُ الشَّارِبُ حِينَ يَشْرَبُ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ^١ .

كما أنّه كثيراً ما تبدر من العلماء و أهل البصيرة كلمة قبيحة في مواقع معينة أثناء مباحثاتهم و حينما يُغلبون ، أو من أجل التنكيل بخصمهم و الغلبة عليه في مقام المناظرة و المجادلة ؛ إذ يتفوهون بعبارة غير لائقة يندمون بعدها و يقولون مع أنفسهم : لقد كنّا أصحاب ملكة العفة ، و لقد قرّرنا مع أنفسنا ألاّ نكذب و لا نغتاب و لا نُسبّ و لا نشتم و لا تصدر منا كلمة تدلّ على عيب خصمنا أو نقصه ، فما بالنا نتفوه بمثل هذه الكلمة بلا تأمل أو تفكير بعاقبة الأمر ؟ ما بالنا هتكنا ستار عفة لساننا ؟

انّ هذه و أشباهها جميعاً مسبّبة عن وجود صفة الرذيلة في القلب و تقييدها بقيد العقل و حفظ المصالح الخارجيّة ، فتبقى دائماً بالمرصاد لتقتنص صيدها في الوقت المناسب و تحقّق رغبتها.

و كما قد ذُكر ، فإنّنا نشاهد أحياناً مثل هذه البروزات و الظهورات في

١- (وسائل الشيعة) ، ج ١٤ ، ص ٢٣٣ .

جميع أفراد البشر بلا استثناء . يقول العالم الشهير فيلسوف الشرق أبوعلی بن سینا : اَلْخَصُّ لَكَ الطَّبُّ فِي جَمَلَتَيْنِ :

اسْمَعْ جَمِيعَ وَصِيَّتِي فَأَعْمَلْ بِهَا فَالطَّبُّ مَجْمُوعٌ بِنَظْمِ كَلَامِي
أَقِلُّ جَمَاعَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ مَاءُ الْحَيَاةِ تَصُبُّ فِي الْأَرْحَامِ
إِجْعَلْ غِذَائَكَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً وَاخْذَرْ طَعَامًا قَبْلَ هَضْمِ طَعَامٍ
قيل أنه سُئل : ما دمت تعرف مضار الإفراط في الجماع ، فلماذا صرت تفرط فيه ؟ فأجاب : أحبُّ أن استفيد من كَيْفِيَّةِ عَمْرِي لا من كَمِّيَّةِ .

١- (الكنى والألقاب) ، ج ١ ، ص ٣٢٢ ، طبع مكتبة الصدر . وقد أورد في (ريحانة الأدب) ، طبع مكتبة (خيام) ، ج ٧ ، ص ٢٨٠ أحد عشر بيتاً هي مجموع هذه الأبيات الثلاثة مع ثمانية أبيات أخرى عن أبي المؤيد محمد بن محمد الغنترى صاحب (قرايدين) ، وهو من فلاسفة و حكماء و مشاهير أطباء و أدباء أوائل القرن السادس :

اخْفِظْ بَنِيَّ وَصِيَّتِي وَأَعْمَلْ بِهَا	فَالطَّبُّ مَجْمُوعٌ بِنَصْرِ كَلَامِي
قَدِّمْ عَلَى طَبِّ الْمَرِيضِ عِنَايَةً	فِي حِفْظِ قُوَّتِهِ مَعَ الْأَيَّامِ
بِالشَّبَبِ يُخَفِّظُ صِحَّةً مُوجُودَةً	وَالضُدُّ فِيهِ شِفَاءٌ كُلِّ سِقَامِ
قَلِّلْ نِكَاحَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ	مَاءُ الْحَيَاةِ يَرِاقُ فِي الْأَرْحَامِ
وَاجْعَلْ طَعَامَكَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً	وَاخْذَرْ طَعَامَكَ قَبْلَ هَضْمِ طَعَامِ
لَا تُخَفِّرِ الْمَرَضَ الْيَسِيرَ فَإِنَّهُ	كَالنَّارِ تُصْبِحُ وَهِيَ ذَاتُ ضَرَامِ
لَا تَهْجُرَنَّ الْقِيَّءَ شَهْرَكَ إِنَّمَا	كَيْمُوسُهُ سَبَبٌ إِلَى الْأَسْقَامِ
إِنَّ الْجَمَى عَوْنُ الطَّبِيعَةِ	شَافٍ مِنَ الْأَسْقَامِ وَالْأَلَامِ
لَا تَشْرَبَنَّ بَعْقِيبَ أَكْلِ عَاجِلًا	لَا تَأْكُلَنَّ بَعْقِيبَ شُرْبِ مُدَامِ
وَخُذِ الدَّوَاءَ إِذَا الطَّبِيعَةُ	بِالْإِحْتِلَامِ وَكَثْرَةِ الْأَخْلَامِ
وَالطَّبُّ جُمْلَتُهُ إِذَا حَقَّقَتْهُ	حَلٌّ وَعَقْدُ طَبِيعَةِ الْأَجْسَامِ

وقد نسب بعض أصحاب التراجم هذه القصيدة ذات السبعة عشر بيتاً إلى (ابن بطلان) ، إلا أنه نقل في (نامة دانشوران) عن المؤرخ الحزرجي أن هذه القصيدة لأبي المؤيد ، أوردها في كتاب (نور المجتني) .

كما أنّ أكثر الأطباء يعلمون جيّداً أضرار المشروبات الكحوليّة ،
و كانت لهم مؤتمراتهم و خطاباتهم في هذا المجال ، أو مقالاتهم التي كتبوها
و ألفوها ، لكنّهم ابتلوا في نفس الوقت بهذا العمل الشيطاني .

بلى ، لو اقتنع الإنسان بهذا الحدّ من العلم و التقوى بحيث صار يمتنع
عن الجناية و الجريمة بسبب ملاحظة المصالح الخارجيّة فقط ، و ما لم
يستطع القضاء على أصل مادة الفساد في نفسه ، أو قطع جذور و ميكروبات
الصفات الرذيلة كالشره و الخمود و الجبن و التهورّ و البخل و التبذير
و نظائرها عن سويداء ضميره ، فأنّه لن يكون قد أدرك مقام الإنسان
الواقعي ، و سيكون مثل الحيوان المقيّد بسلسلة مستسلماً مطيعاً ، ولكن
حالما يكسر هذه السلسلة فأنّه سيّجترح الأفاعيل .

و اذا ما اجتنب من الكذب و البّخس في البيع و الظلم و الزنا و أشباه
ذلك حال اليقظة ، فإنّ هذه الصفات ستظهر حال النوم الذي ليس فيه وجود
للمصالح الخارجيّة ، فتوجد المشاهد المفجعة .

سيري في النوم أنّه يزني ، و يربح ، و يعزّز شخصيّة ، و يظلم
و يحنّ ؛ و حين يستفيق هذا المسكين سيعجب من هذه الأحلام و يستبعد
أن يناسبه مثل هذه الأمور ، غافلاً عن أنّ أصل و جذور هذه المفاسد لا يزال
في قلبه لم يغادره بعد ، بل موجود فيه كامناً في زواياه و خرائبه ينتظر الجوّ
المساعد ليبرز و يحقق هدفه .

الأنبياء و الأئمّة عليهم السلام و الأولياء المقربون عند الله هم الذين
أخرجوا هذه الصفات الرذيلة و جرائم الفساد من قلوبهم ، و الذين قضوا
على بذور هذه الصفات في مزرعة قلوبهم ، فقد أعطاهم الله سبحانه و تعالى
بعنايته نوعاً من العلم و المعرفة بحيث لا مجال معه لمثل هذه الرذائل .

ذلك العلم و المعرفة الذي يُحرق ببريقه جميع الصفات الرذيلة

و يمحّيها و يهدمها ، و يقطع أصول و جذور البخل و الشره و التهور كى لا تبدر منهم أبداً أمثال هذه الرذائل فى لى لحظة من العمر ، و مع أكثر الظروف ملائمةً ، و لو لمرة واحدة . فيوسف الصديق مع توفّر جميع الشرائط و الإمكانيات ، و مع وجود جميع المقتضيات و مع مواجهته للمخاطر العظيمة بسبب هجره للذنوب ، فان قلبه - مع ذلك كله - لم يسمح له بارتكاب الذنب ؛ و هذه خاصّة و جوهرة القلب فى مثل هؤلاء الأشخاص التى لا تسمح لهم حتّى بأن يحلموا فى النوم بارتكاب الذنب ، و لا أن يتخيّلوا ارتكابه فى اليقظة . فليس هناك للمقربين و أولياء الله طوال عمرهم لحظة واحدة يفكّرون فيها بالذنوب ، حتى لو عاشوا سنوات كثيرة دون زوجة ، و مهما توفّرت لهم جميع الإمكانيات بأعلى درجاتها ، حتّى لو تهيّئت وسائل الذنب بعيداً عن انظار الناس و اطلاعهم ، فانهم لن تخطر على قلوبهم فكرة الذنب أبداً .

و هؤلاء الأفراد قد استثنوا لوحدهم من كليّة بروز غرائزهم ، كما أنّ ذلك العلم الذى أعطاهم الله تعالى اثر مجاهداتهم النفسية و استقامتهم فى طريق عبوديته الحقّة ، فوصلوا بنور القلب الى هذا المقام ؛ ليس من العلوم البسيطة ، بل هو علم خاصّ و كيفية مخصوصة يعبر عنها لسان القرآن الكريم بـ (روح الله) أو (روح القدس) :

و كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرَىٰ مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا .

لقد جعلنا هذا الروح نوراً لكى نهدي به من نشاء من عبادنا ؛ و هذا النور هو روح الله أو روح القدس الذى دخل فى قلب الإنسان و حول حالة

القلب و صَرَفَهُ عن غير الله تماماً ، و جعله يرتبط كلياً بالله تعالى ، و هذا هو مقام عصمة الأنبياء و الأئمة الأطهار .

و يجب أن نعلم في هذا المقام أن النفس لن تضمحل كلياً ، بل انها ستكون مُنْقَادَة و مُطِيعَة بصورةٍ محضة ، فلا مجال لها للتخطي و التجاوز قيد شعرة .

و قد قال رسول الله صَلَّى الله عليه و ءاله يوماً : ما منكم من أحد الا و قد وُكِّلَ به قرينه من الشياطين . قالوا : و أنت يا رسول الله ؟! قال : نَعَمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ^١ .

و في هذه الحالة فإن هذه النفس هي أحسن نعمة و أغلى موهبة الهية لأولياء الله ، لأنها استحالت نفساً مطمئنة و وجدت لياقة خطاب الرجوع الى حرم الله تعالى .

ان الله تعالى يذكر في سورة الأنعام سبعة عشر نبياً من الأنبياء في عدة آيات متعاقبة ، من نوح و ابراهيم و لوط و اسحق و يعقوب و اسماعيل و اليسع و موسى و هارون و عيسى و يحيى و داود و سليمان و زكريا و أيوب و يونس و الياس ؛ فيمجدهم ، حتّى انه أثنى على بعض آبائهم و إخوانهم و ذريّاتهم فدعاهم بالعباد الصالحين و المهتدين ، ثم يقول :

ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ^٢ .

استفادة عصمة المقربين من الله من مجموع ثلاث آيات قرآنية : ان هداية الله التي وصلت اليهم ، نوع من الهداية التي يهدي بها الله

١- (مجمع الزوائد) ، ج ٨ ، ص ٢٢٥ ، طبع بيروت . و قد أورد في هذا الباب خمسة

أحاديث ، و العبارة الواردة في المتن مضمون هذه الأحاديث الخمسة .

٢- صدر الآية ٨٨ ، من السورة ٦ : الأنعام .

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْخَاصِّينَ ؛ ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ الْآيَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا سَابِقاً :

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدِهٖ ^١ .

و نستفيد من هاتين الآيتين أنّ هداية الله قد وصلت الى الأنبياء . ثم

أنّه من جانب آخر يقول :

وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ^٢ .

و يقول أيضاً :

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ^٣ .

و نستفيد من هاتين الآيتين أيضاً أنّ الذين يهديهم الله هم الذين

اهتدوا الى الطريق ، فلن تؤثر أىّ وسوسة شيطانية من تسويلات الجنّ

والإنس ، و لو اجتمع الناس على أن يضلّوهم فائهم لن يستطيعوا التصرف

فى إرادتهم و علومهم و اختيارهم و لا على زعزعتهم أو زلزلتهم .

و من جانب آخر يقول تعالى :

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُبِينٌ * وَأَن اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا

أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ .

و فى هذه الآية يعتبر الله سبحانه أنّ أتباع الشيطان هو الضلالة

بعينها ؛ و بمقتضى الآيات التى مرّ ذكرها فإنّ الله هو الذى يهدى الأنبياء ،

و أنّ مَنْ يهدى الله فما له من مُضِلٍّ .

و الضلالة حسب مفاد هذه الآية هى اتباع الشيطان و المعصية

١- صدر الآية ٩٠ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٢- ذيل الآية ٣٦ و صدر الآية ٣٧ ، من السورة ٣٩ : الزمّر .

٣- مقطع من الآية ١٧ ، من السورة ١٨ : الكهف .

والذنب والإثم والالتفات الى غير الحقّ ، وهى التأثّر بإلقاءات النفس الأمّارة .

و لأنّ الأنبياء ليس لهم مُضِلٌّ - كما مرّ - فليس إذن من إلقاءات شيطانيّة ولا تسويلات نفسيّة ولا إثم لهم ، وهذا هو معنى العصمة .
و بجمع هذه المجاميع الثلاث من الآيات القرآنية ، فقد أثبتت العصمة للمهتدين و برهن عليه بشكل جليّ و الحمد لله .

عصمة أمير المؤمنين عليه السلام :

و هذا الإستدلال راجع لعموم المقرّبين من الله سبحانه ، لكنّه بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام و هو يعسوب الدين و ولىّ المؤمنين و قائد الغرّ المحجلّين - له دلالة أوفى و أتمّ على عصمته عليه السلام .

فلقد تربّى ذلك الإمام فى احضان رسول الله منذ الطفولة ، و كان تحت تربيته و تعليمه ؛ يقول محمّد بن طلحة و هو شافعى المذهب توقّى سنة ٦٥٤ هـ^١ ، و ابن الصّبّاح المالكى المذهب المتوفّى سنة ٨٥٥ هـ :^٢ و لمّا نشأ علىّ بن أبى طالب [عليه السلام] و بلغ سنّ التمييز ، أصاب أهل مكّة جدبٌ شديد و قحطٌ أجحف بذوى المروة و أضرّ بذوى العيال الى الغاية ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه [و ءاله] و سلّم لعنّه العباس - و كان من أيسر بنى هاشم - يا عمّ إنّ أخاك أباطالب كثير العيال و قد أصاب الناس ما ترى ، فانطلق بنا الى بيته لنخفف من عياله فتأخذ أنت رجلاً واحداً و ءاخذ أنا رجلاً فنكفلهما عنه .

١- (مطالب السؤل فى مناقب ءال الرسول) ، ص ١١ .

٢- (الفصول المهمّة) ، ص ١٤ .

٣- و قد أورد الطبرى هذه القصة فى تاريخه (تاريخ الامم و الملوك) ، ص ٥٨ .

قال العباس : أفعل^١ . فانطلقا حتّى أتيا أبا طالب فقالا : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتّى ينكشف عن الناس ما هم فيه . فقال لهما أبوطالب : اذا تركتما لى عقيلاً و طالباً فاصنعا ما شئتما . فأخذ رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم عليّاً و ضمّه اليه ، و أخذ العباس جعفرأ فضمّه اليه ؛ فلم يزل علىّ مع رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم حتّى بعث الله عزّوجلّ محمداً نبياً فاتّبعه علىّ عليه السلام و ءامن به و صدّقه و كان إذ ذاك فى السنة الثالثة عشر^٢ من عمره لم يبلغ الحلم و قيل غير ذلك . و أكثر الأقوال و أشهرها أنّه لم يبلغ الحلم ، و أنّه أوّل من أسلم و ءامن برسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم من الذكور^٣ ، ...

قاله الثعالبي^٤ فى تفسير قوله تعالى : السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ^٥ ، و هو قول ابن عباس و جابر بن عبد الله الأنصارى و زيد بن أرقم و محمد بن المنكدر و ربيعة المرائى ؛ و قد أشار علىّ بن أبى

١- أكثر علماء الشيعة يقولون بأن السنّ المبارك لأمر المؤمنين زمن بعثة رسول الله كان عشرة سنوات .

٢- روى الطبرى فى ج ٢، ص ٥٧ عن ابن اسحق قال : كان أوّل ذكر ءامن برسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم و صدّق بما جاء به من عند الله علىّ بن أبى طالب ، و هو يؤمّنذ ابن عشر سنين . و كان ممّا أنعم الله به علىّ بن أبى طالب أنّه كان فى حجر رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم قبل الإسلام . كما يقول ابن الأثير فى (أسد الغابة)، ج ٤ ، ص ١٦ : و هو أوّل الناس إسلاماً فى قول كثير من العلماء علىّ ما نذكره . و ينقل فى (غاية المرام)، ص ٤٩٩ فى لّ أمير المؤمنين كان أوّل من أسلم ٤٧ حديثاً من طريق العامة ، و فى ص ٥٠٤ الباب ٢٢ يورد ١٨ حديثاً من طريق الخاصة .

٣- النقل عن الثعالبي فى (الفصول المهمّة) فقط ، و ليس موجوداً فى (مطالب السؤل) .

٤- صدر الآية ١٠٠ ، من السورة ٩ : التوبة .

طالب [عليه السلام] الى شىء من ذلك فى آيات قالها رواها عنه الثقة
الأثبات ، و هى هذه الآيات :

وَحَمَزَةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّى	مُحَمَّدُ النَّبِىُّ أَخِى وَصَنَوِى
يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ ابْنُ أُمِّى	وَجَعْفَرُ الَّذِى يُضْحِى وَ يُمَسِّى
مَنْوُطٌ لَحْمُهَا بِدَمِى وَ لَحْمِى	وَبِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكَنِى وَ عِرْسِى
فَأَيْتُكُمْ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِى	وَسِبْطًا أَحْمَدٌ وَلَدَاى مِنْهَا
غُلَامًا مَا بَلَغْتُ أَوْأَنَ حُلْمِى	سَبَقْتُكُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ طُرًّا
رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ	وَ أَوْجَبَ لِى وَلَايَتَهُ عَلَيْكُمْ
لِمَنْ يَلْقَى إِلَهَ غَدًا بِظُلْمِى ^١	فَوَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ

(والعجب من هذين العالمين السنيين كيف يعدّان هذه الأشعار
لأمير المؤمنين عليه السلام يقيناً و كيف سيعترفان و يقرّان بدخول ظالميه
الى جهنّم تبعاً لقوله عليه السلام!!)

و قد نُقل عن جابر بن عبد الله الأنصارى انه قال : سمعتُ علىَّ بن أبى
طالب عليه السلام يُنشد و رسول الله يسمع :

أَنَا أَخُو الْمُصْطَفَى لَا شَكَّ فِى نَسَبِى
بِهِ رُبِّيْتُ وَ سِبْطَاهُ هُمَا وَلَدِى
جَدِّى وَ جَدُّ رَسُولِ اللَّهِ مُنْفَرِدٌ
وَ فَاطِمَةُ زَوْجَتِى لَا قَوْلَ ذِى فَتْدٍ
صَدَّقْتُهُ وَ جَمِيعُ النَّاسِ فِى بُهْمٍ
مِنَ الضَّلَالَةِ وَ الْإِشْرَاكِ وَ النَّكَدِ^٢

١- يذكر فى (الفصول المهمة) أربعة آيات فقط من الأشعار أعلاه (١ و ٣ و ٥ و ٧) .

٢- (مطالب السؤل) ، ص ١١ ؛ و ينقل كذلك فى (ينابيع المودة) ، ص ٥٧ هذه ⇨

قال: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ قَالَ : صَدَقْتَ يَا عَلِيّ !

و يشرح أمير المؤمنين عليه السلام في (نهج البلاغة) ضمن خطبته (القاصعة) فترة صباه في صحبته لرسول الله :

وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَ الْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَ أَنَا وَلَدٌ وَ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَ يَكْنُفُنِي إِلَى فِرَاشِهِ وَ يَمْسُئُنِي جَسَدَهُ ، وَ يَشْمُنِي عَرْفَهُ ، وَ كَانَ يَمْضِغُ الطَّعَامَ ثُمَّ يَلْقَمْنِيهِ ، وَ مَا وَجَدَ لِي كِذْبَةً فِي قَوْلٍ ، وَ لَا خُطْلَةً فِي فِعْلٍ .

وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَكْثَرَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَ مَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَ نَهَارَهُ ، وَ لَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا وَ يَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ .

وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بَحْرَاءَ ، فَأَرَاهُ وَ لَا يَرَاهُ غَيْرِي ، وَ لَمْ يَجْتَمِعْ بَيْتٌ وَ أَحَدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ ، غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ خَدِيجَةَ ، وَ أَنَا ثَالِثُهُمَا ، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَ الرِّسَالَةِ ، وَ أَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ ، وَ لَقَدْ سَمِعْتُ رَجَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا هَذِهِ الرَّجَّةُ ؟ فَقَالَ : هَذَا الشَّيْطَانُ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَ تَرَى مَا أَرَى ، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ وَزِيرٌ وَ إِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ !

و العجب أنه مع هذا المقام و المنزلة و الوصايا التي أكد عليها الرسول

⚡ الأشعار عن الموفق بن أحمد بسنده عن جابر بن عبد الله قال : سمعتُ علياً يقول ... الخ

١- (نهج البلاغة) عبدة ، ج ١ ، ص ٣٩٢ ، الخطبة ١٩٠ القاصعة .

و جعله علياً وصياً و وزيراً و ولياً للمؤمنين و خليفته من بعده ، فأتهم اجتمعوا في سقيفة بنى ساعدة قبل أن يُدفن جسد الرسول المطهر ، ففعلوا ما فعلوا ، و لم يكتفوا بسلب الخلافة ، بل عمدوا الى مصادرة بُستان الصديقة الطاهرة فاطمة بنت رسول الله ، فسلبوا نحلة رسول الله و كسروا فؤاد بنت رسول الله .

ثم ل فاطمة ذهبت بعد ذلك الى المسجد لإثبات حقها ، فتحاججت مع أبي بكر ؛ يقول ابن شهر آشوب : و لما انصرفت من عند أبي بكر أقبلت على أمير المؤمنين عليه السلام فقالت له :

يَا بْنَ أَبِي طَالِبٍ ! إِشْتَمَلْتَ شَمْلَةَ الْجَنِينِ ، وَقَعَدْتَ حُجْرَةَ الظَّنِّينِ ، نَقَضْتَ قَادِمَةَ الْأَجْدَلِ فَخَانَكَ رِيشُ الْأَغْزَلِ .

هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ، قَدْ ابْتَزَنَنِي نُحَيْلَةَ أَبِي ، وَ بَلَّيْعَةَ ابْنِي .
وَاللَّهِ لَقَدْ أَجَدَّ فِي ظُلَامَتِي ، وَ أَلَدَّ فِي خِصَامِي ، حَتَّى مَنَعَنِي الْقَيْلَةُ نَصْرَهَا ، وَ أَلْمَهَاجِرَةُ وَصَلَهَا ، وَ غَضَّتِ الْجَمَاعَةُ دُونِي طَرْفَهَا ؛ فَلَا مَانِعَ وَلَا دَافِعَ .

خَرَجْتُ وَ اللَّهُ كَاطِمَةً ، وَ عُدْتُ رَاغِمَةً .
أَضْرَعْتَ خَدَّكَ يَوْمَ أَضَعْتَ خَدَّكَ ، افْتَرَسْتَ الذُّبَابَ وَ افْتَرَسَكَ الذُّبَابُ ، مَا كَفَفْتَ قَائِلًا ، وَ لَا أَغْنَيْتَ بَاطِلًا ، وَ لَا خِيَارَ لِي لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ ذُلَّتِي ، وَ تَوَفَّيْتُ دُونَ مُيْتِي .
عَذِيرِي وَ اللَّهُ فِيكَ حَامِيًا ، وَ مِنْكَ دَاعِيًا ، وَيَلَايَ فِي كُلِّ شَارِقٍ ، مَاتَ الْعَمَدُ وَ وَهَنَ الْعَصْدُ .

١- دُونُ مُيْتِي ، و فِي بَعْضِ النُّسخ (دُونُ هَيْئَتِي) اى قَبْلَ ذُلِّي وَ هَوَانِي ، وَ (مُيْتِي)

بِمَعْنَى مَوْتِي ، اى لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ اَوْ اَنْ مَوْتِي (اى لِاجْلِ الْمَسْمِي) .

شَكَوْاىَ إِلَى رَبِّى وَ عَذَوَاىَ إِلَى أَبِى .
اللَّهُمَّ أَنْتَ أَشَدُّ قُوَّةً وَ أَحَدٌ بِأَسَأَ وَ تَنْكِيلًا .

فَأَجَابَهَا عَلَيْهِ السَّلَام :

لَا وَ يَلْ لَكَ ! بَلِ الْوَيْلُ لِسَائِنِكَ ، نَهْنَهَى عَنْ عَرَبِكَ يَا بِنْتَ الصَّفْوَةِ
وَ بَقِيَّةِ النَّبُوَّةِ .

فَوَاللَّهِ مَا وَ نَيْتُ فِى دِينِى ، وَ لَا أَخْطَأْتُ مَقْدُورِى ، فَإِنْ كُنْتُ
تُرِيدِينَ الْبُلْعَةَ فَرَزَقُكَ مِضْمُونٌ وَ كَفَيْلُكَ مَأْمُونٌ ، وَ مَا أَعِدَّ لَكَ خَيْرٌ مِمَّا
قُطِعَ عَنْكَ ، فَاحْتَسِبِى !

فَقَالَتْ : حَسْبِىَ اللَّهُ وَ نِعَمَ الْوَكِيلُ !^١

يقول ابن أبى الحديد : وَ قَدَرُوى عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا
السَّلَامُ حَرَضَتْهُ يَوْمًا عَلَى النَّهُوضِ وَ الْوُثُوبِ ، فَسَمِعَ صَوْتَ الْمُؤَذِّنِ :
أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .

فَقَالَ لَهَا : أَيْسُرُكَ زَوَالَ هَذَا النَّدَاءِ مِنَ الْأَرْضِ ؟

قَالَتْ : لَا .

قَالَ : فَإِنَّهُ مَا أَقُولُ لَكَ !^٢

١- (مناقب ابن شهر آشوب) ، ج ١ ، ص ٣٨٢ ، الطبعة الحجرية ، و الطبعة الحروفية

ج ٢ ، ص ٢٠٨ ؛ و (الاحتجاج) للطبرسى ج ١ ، ص ١٤٥ .

٢- (شرح نهج البلاغة) (الطبعة ذات ٢٠ مجلداً) ، ج ١١ ، ص ١١٣ .

الدَّرْسُ الْخَامِسُ

الْعَصِيَّةُ الْمَرْمُوزِيَّةُ

بسم الله الرحمن الرحيم
و صلى الله على محمد و ءاله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين
و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا .
عصمة الأنبياء حتمية :

انَّ قوَّة العصمة في الأنبياء و الأئمة عليهم السَّلام موهبة إلهية ، و هى
نوعٌ من المعرفة و الحالة القلبية لديهم لا تماثل سائر العلوم البشرية ، كما
أنَّها لا تغلبها و لا تقهرها الواردات الطبيعيَّة و لا الخيالات الخسيسة الماديَّة
في النوم أو اليقظة ، في اليُسْر أو العُسْر ، في الرخاء أو الشدَّة ، بل تشرق في
القلب دائماً كالشمس المنيرة فتخرج النقاط السوداء المظلمة من زواياه .
و هذا النوع من العلم ليس فقط قوياً بحيث لا تغلبه القوى الشعوريَّة و لا
ينكبه طغيانُ الإحساسات ، بل أنَّه يُصيرها جميعاً تحت سيطرته ،
و يستخدمها في مصالحه ، و يأمرها بأمره و نهيه ، فلا قدرة لها على التخطي

١- الآية ١١٣ ، من السورة ٤ : النساء .

و التجاوز .

و بناءً على هذا فإنَّ قوَّة العلم و النور المضى تصون صاحبها عن الضلالة و المعصية و الخطأ دائماً .

و قد ورد في الروايات أنَّ هناك روحاً لدى الأنبياء و الأئمة تسمَّى بـ (روح القدس) تحفظهم في مقام الإنسانيَّة الرفيع ، و تصونهم عن الإنزلاق و الإثم و الخطأ .

و قد وردت في الآية المباركة التي ذكرت سابقاً في مطلع الحديث كلمة الكتاب ، و المقصود بها الوحي الذي نزل على قلب النبيِّ بواسطة جبرئيل ، و المتعلِّق بقوانين الشريعة ؛ كما ان المراد بالحكمة العلم بالمعارف الكليَّة و الأسرار الالهية ، و المراد من العلوم التي تعلَّمها سائر العلوم من الإدراكات الجزئية و تشخيص المطالب الحقَّة .

و لأنَّ جملة (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ) أمّا ان تكون حاليَّة ، و أمّا بمنزلة تعليل للجملة السابقة ؛ لذا نستفيد أنَّ العلة لعدم تأثير كلام المنافيين في الرسول يعود الى تلك الملكة القلبية التي يكون قادراً بها على تلقّي الوحي بواسطة الأمين جبرئيل بالنسبة الى أحكام الشريعة و قوانينها ، و بالنسبة الى المعارف الالهية ، و يكون قادراً أيضاً على تلقّي الإلهامات نسبةً الى الاطلاع على الأسرار و المغيبات ، و تبين واقعيَّة الأمور و التفريق بين الحقِّ و الباطل .

و بناءً على هذا فاننا نستفيد من الآية بأنَّ العلة لعدم انحراف النبيِّ أو ضلاله حتّى في بعض الامور الجزئية تستند الى ذلك العلم الخاص الذي وهبه الله سبحانه له بعنائه ، فهو يتلقّى الوحي بواسطته ، و هو ذلك العلم الخاص الذي يُعبّر عنه في الروايات بـ (روح القدس) الذي يحفظ الأنبياء و يصونهم عن الإثم و الخطأ في كلِّ مرحلة من مراحل التشخيص .

استدلال آخر من القرآن على عصمة الأنبياء :

و من الاستدلالات^١ الأخرى على عصمة الأنبياء ضمّ آيتين من آيات القرآن الكريم ، الأولى قوله تعالى :

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا^٢.

و الثانية قوله تعالى :

إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ^٣.

و نستفيد من الآية الأولى أنّ الله قد أنعم على الأنبياء و الشهداء و الصّديقين و الصّالحين ، و من الآية الثانية أنّ الذين أنعم الله عليهم لن يضلّوا و لن ينحرفوا . و بناءً على هذا فإنّ الأنبياء و الشهداء و الصّديقين و الصّالحين لن يضلّوا . و لأنّ كلّ معصية و ذنب ضلالة ، لذا فإنّ المعصية و الذنب لا يصدران منهم ، أى أنّ شأنهم و مقامهم فى أنهم يمتلكون ملكة حافظة عن المعصية و الإثم ، و هذا هو معنى العصمة من الذنب .

و كذلك لأنّ الخطأ فى تلقى الأحكام و الوحي الالهى ، و فى المعارف الالهية الكلية ، و فى تشخيص الأمور الجزئية ، و الخطأ فى التبليغ هو ضلال أيضاً ، فإنّهم لا يخطئون و لا يزلّون فى لى مرحلة من هذه المراحل ، و بهذا البيان فإنّ عصمتهم ستكون أيضاً فى مرحلتين : مرحلة تلقى الوحي و المعارف الالهية ، و مرحلة التبليغ و الترويج .

١- (تفسير الميزان) ، ج ٢ ، ص ١٤٠

٢- الآية ٦٩ ، من السورة ٤ : النساء .

٣- الآية ٦ و ٧ ، من السورة ١ : الفاتحة .

حيازة أمير المؤمنين لمقام العصمة :

لقد حاز أمير المؤمنين عليه السلام من الله سبحانه مقام العصمة وكونه وصي رسول الله و وارثه و خليفته ، و أول من ءامن برسول الله و صلى معه .

يروى الطبرى بسنده عن ابن عباس قال : **أَوَّلُ مَنْ صَلَّى عَلَىَّ** ^١ .
و يحدث أيضاً عن زيد بن أرقم قال : **أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] و سَلَّمَ عَلَىَّ [عليه السلام]** ^٢ .
و يروى عنه أيضاً قال : **أَوَّلُ رَجُلٍ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] و سَلَّمَ عَلَىَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ** ^٣ .
و يروى أيضاً بسنده عن عباد بن عبد الله قال : **سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَ أَخُو رَسُولِهِ وَ أَنَا الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ لَا يَقُولُهَا بَعْدِي إِلَّا كَاذِبٌ مُفْتَرٍ ، صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ قَبْلَ النَّاسِ بِسَبْعِ سِنِينَ** ^٤ .
و يقول ابن الصَّبَّاحِ المالكي و محمد بن طلحة الشافعي :
وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] و سَلَّمَ قَبْلَ بَدْوِ أَمْرِهِ إِذَا أَرَادَ الصَّلَاةَ خَرَجَ إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ مُسْتَخْفِيًّا وَ أَخْرَجَ عَلِيًّا مَعَهُ ، فَيُصَلِّيَانِ مَا شَاءَ اللَّهُ فَإِذَا قَضَيَا رَجَعَا إِلَى مَكَانِهِمَا ^٥ .

١- (تاريخ الطبرى) ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

٢و٣- الطبرى ، ج ٢ ، ص ٥٦ ؛ و يروى الحديث الرابع كذلك فى (ينابيع المودة) ص ٦٠ عن ابن ماجه القزوينى و أحمد فى المسند و أبى نعيم الحافظ و التلعلى و الحموينى بأدنى اختلاف فى اللفظ .

٤- المصدر السابق .

٥ - (الفصول المهمة) ص ١٤ ، و (مطالب السؤل) ص ١١ ، و (تاريخ الطبرى) ج ٢ ،

و يروى الطبري بسنده عن يحيى بن عفيف الكندي (عفيف الكندي هو أخ الأشعث بن قيس ، وكان رفيقاً للعباس بن عبدالمطلب ، وكان يأتي الى مكة للتجارة فيسكن في بيت العباس) ؛ يقول : حدثني أبي قال : كنتُ جالساً مع العباس بن عبدالمطلب بمكة بالمسجد قبل أن يظهر أمر رسول الله صلى الله عليه [و آله] وسلم ، فجاء شابٌ فنظر الى السماء حين حلت الشمس ثم استقبل الكعبة فقام يصلي ، فجاء غلامٌ فقام عن يمينه ، ثم جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ، ثم رفع فرعوا ، ثم سجد فسجدا ؛ فقلتُ : يا عباس أمرٌ عظيم ! فقال العباس : أتعرف هذا الشاب ؟

فقلتُ : لا . فقال : هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ابن أخي ؛ أتدري من هذا الغلام ؟ هو عليّ أبي طالب بن عبدالمطلب ابن أخي ؛ أتدري من هذه المرأة ؟ هذه خديجة بنت خويلد . لئن ابن أخي هذا حدثني أن ربه رب السموات والأرض أمره بهذا الدين وهو عليه ، ولا والله [ما أعرف] على ظهر الأرض اليوم على هذا الدين غير هؤلاء^١ .

بلى ، لقد انشغل النبي وأمير المؤمنين وخديجة بالصلاة وعبادة الله سنوات عديدة ، بينما لم يكن أحد من أهل مكة مؤمناً آنذاك أو عالماً برسالته صلى الله عليه وآله ، حتى نزلت عليه آية الإنذار من قبل الله تعالى .

آية الإنذار وحديث العشيرة :

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْضَعْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنْ

١- (تاريخ الطبري) ، ج ٢ ، ص ٥٦ ؛ و (الفصول المهمة) ، ص ١٦ ؛ و (مطالب

السؤل) ، ص ١١ الطبعة الحجرية .

الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ
الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَثَقُلَبِكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ^١.

فدعى رسول الله أقرباءه و عشيرته و أعلن لهم نبوته كما هو
معروف في حديث العشيرة الذي ورد عن طائفة كبيرة من أعلام المحدثين
و المؤرخين المسلمين .

يقول العلامة الأميني : أخرجه (أى حديث العشيرة) غير واحد من
الأئمة و حفاظ الحديث من الفريقين في الصحاح و المسانيد ، و مرّ عليه
آخرون ممن يُعتدّ بقوله و تفكيره محبتين به من دون لى غمز في الإسناد
أو توقّف في متنه . و تلقّاه المؤرّخون من الأئمة الإسلامية و غيرها بالقبول ،
و أرسل في صحيفة التاريخ إرسال المسلم ، و جاء منظوماً في أسلاك الشعر
و القريض ، و سيوافيك في شعر الناشئ الصّغير المتوفّى ٣٦٥ هـ و غيره^٢.

و سننقل ولّاء نصّ الحديث عن تاريخ الطبري ثم نناقش جوانبه
المختلفة ؛ فقد أخرج الطبري عن ابن حميد ، عن سلمة ، عن محمد بن
اسحق ، عن عبد الغفار بن قاسم ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن
الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب ، عن عبد الله بن العباس ، عن
عليّ بن أبي طالب قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه
[و آله] و سلّم : وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ؛ دعاني رسول الله صلى الله عليه
[و آله] و سلّم فقال : يا عليّ ! إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين
فضقتُ بذلك ذرعاً و عرفتُ أنّي متى أبادتهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ،

١- الآيات ٢١٤ الى ٢٢٠ ، من السورة ٢٦ : الشعراء .

٢- (الغدير) ، ج ٢ ، ٢٧٨ .

فصمتُ عليه ، حتّى جاء جبريل فقال : يا مُحَمَّد ! إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَل ما تَوْمِر به يُعَذِّبُكَ رَبُّكَ . فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة و املاً لنا عسّاً من لبن ، ثم اجمع لى بنى عبدالمطلب حتّى أَكَلَمَهُمْ و أَبْلَغَهُمْ ما أُمِرْتُ به . ففعلتُ ما أُمِرْنى به ، ثمّ دعوتهم له و هم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه : أبوطالب و حمزة و العباس و أبوهب ، فلمّا اجتمعوا اليه دعانى بالطعام الذى صنعتُ لهم فجئتُ به ، فلمّا وضعته تناول رسولُ الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم حذية من اللحم فشَقَّها بأسنانه ثمّ ألقاها فى نواحي الصفحة ثمّ قال : خذوا بسم الله . فأكل القوم حتى ما لهم بشيءٍ حاجة و ما أرى إلّا موضع أيديهم ، و أيم الله الذى نفس علىّ بيده و إن كان الرجلُ الواحدُ منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم . ثمّ قال : إسقِ القوم . فجئتُهم بذلك العسّ فشربوا حتّى رَوَوْا منه جميعاً ، و أيم أهله إن كان الرجلُ الواحد منهم ليشرب مثله ، فلمّا أراد رسولُ الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم أن يكَلِّمَهُمْ بَدَرَهُ أبوهب الى الكلام فقال : لعلّما سحركم صاحبُكم . فتفرّق القوم و لم يكَلِّمَهُمْ رسولُ الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم ، فقال الغد : يا علىّ ! لَ هذا الرجل سبقنى الى ما قد سمعتَ من القول فتفرّق القوم قبل أن أَكَلِّمَهُمْ ، فعُدّ لنا من الطعام بمثل ما صنعتُ ثمّ اجمعهم الىّ . قال : ففعلتُ ثمّ جمعتُهم ، ثمّ دعانى بالطعام فقربتهُ لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتّى ما لهم بشيءٍ حاجة ، ثمّ قال : إسقهم ، فجئتُهم بذلك العسّ ، فشربوا حتّى رَوَوْا منه جميعاً ، ثمّ تكَلَّم رسولُ الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم فقال : يا بنى عبدالمطلب ! إني والله ما أعلم شاباً فى العرب جاء قومَه بأفضل ممّا جئتُكم به ، إني قد جئتُكم بخير الدنيا و الآخرة ، و قد أُمِرْنى الله تعالى أن أدعوكم اليه ، فأَيُّكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيّى و خليفتى فيكم ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعاً و قلتُ و إني لأحدثهم سناً ،

و أرمصهم عيناً ، و أعظمهم بطناً ، و أمحشهم ساقاً ؛ أنا يا نبي الله! أكون وزيرك عليه ^١.

فأخذ برقبتى ثم قال : إِنَّ هَذَا أَخِي وَ وَصِيَّ وَ خَلِيفَتِي فَيَكُمُ فَاسْمَعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا ، قال : فقام القوم يضحكون و يقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك و تُطيع ^٢.

صحّة اسناد حديث العشيّة :

يقول العلامة الأميني : و بهذا اللفظ أخرجه أبو جعفر الإسكافي المتكلم المعتزلي البغدادي المتوفى ٢٤ هـ في كتابه (نقض العثمانيّة) ^٣ ، و قال : إنّه روى في الخبر الصحيح . و رواه الفقيه برهان الدين في (أنباء نجباء الأبناء) ، ص ٤٦ - ٤٨ ؛ و ابن الأثير في (الكامل) ج ٢ ، ص ٢٤ ؛ و أبو الفداء عماد الدين الدمشقي في تاريخه ، ج ١ ، ص ١١٦ ؛ و شهاب الدين

١- يقول السيّد اسماعيل الحميري في ديوانه ص ٧٣ :

أبو حسن غلام من قريش	أبرّهم و أكرمهم نصاباً
دعاهم أحمد لما أتته	من الله النبوة فاستجابا
فأدّبه و علّمه و أملّى	عليه الوحي يكتبه كتاباً
فأحصى كلّما أملّى عليه	و بيّنه له باباً فياباً

و تخريج هذه الأشعار عن (أعيان الشيعة) ج ١٢ ، ص ٢١٦ ؛ كما أورد الحميري في ص ٢١٣ فما فوق ثلاثة عشر بيتاً مفصلاً عن حديث العشيّة .

٢- (تاريخ الطبري) ، ج ٢ ، ص ٦٢ و ٦٣ .

٣- (شرح نهج البلاغة) ابن أبي الحديد ، ج ٣ ، ص ٢٦٣ ،

و يقول العلامة آية الله السيّد شرف الدين العاملي في كتاب (المراجعات) الطبعة الاولى ، هامش ص ١١١ بعد نقله هذا المطلب عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : و كتاب (نقض العثمانية) من الكتب التي لا نظير لها ، و يجب على كلّ شخص باحث ان يرجع اليه ، و هو موجود في ص ٢٥٧ الى ص ٢٨١ من المجلد الثالث من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في نهاية الخطبة القاصعة .

الخنفاجى فى (شرح الشفا) للقاضى عىاض ، ج ٣ ، ص ٣٧ (و بترء اخره)
وقال : ذكر فى دلائل البىهقى و غيره بسند صحيح ؛ و الخازن علاء الدين
البغدادى فى تفسيره ، ص ٣٩ ؛ و الحافظ السيوطى فى (جمع الجوامع) كما
فى ترتيبه ، ج ٦ ، ص ٣٩٢ نقلاً عن الطبرى ، و فى ص ٣٩٧ عن الحفاظ
السّنة : ابن اسحق ، و ابن جرير ، و ابن أبى حاتم ، و ابن مردويه ، و أبى
نعيم ، و البىهقى ؛ و ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ج ٣ ، ص ٢٥٤ .
و ذكره المؤرّخ جرجى زىدان فى (تاريخ التّمّدن الحديث) ج ١ ، ص ٣١ ؛
و الاساذ محمّد حسنين هىكل فى (حياة محمّد) ص ١٤ من الطبعة الاولى .
و رجال السند كلّهم ثقات الّا أبو مرىم عبدالغفار بن القاسم ، فقد
ضعّفه القوم و لى ذلك الّا لتشيعه ، فقد أثنى عليه ابن عقدة و أطراه و بالغ
فى مدحه كما فى (لسان الميزان) ج ٤ ، ص ٤٣ ، و أسند اليه و روى عنه
الحفاظ المذكورون و هم أساتذة الحديث ، و أئمّة الأثر ، و المراجع فى
الجرح و التعديل ، و الرفض و الإحتجاج ، و لم يقذف أحدٌ منهم الحديث
بضعف أو غمز لمكان أبى مرىم فى إسناده ، و احتجّوا به فى دلائل النبوة
و الخصائص النبوية . و صحّحه أبو جعفر الإسكافى و شهاب الدين
الخنفاجى كما سمعت ، و حكى السيوطى فى (جمع الجوامع) كما فى ترتيبه
(ج ٢ ، ص ٣٩٦) تصحيح ابن جرير الطبرى له . على أنّ الحديث ورد بسند
ءاخر رجاله كلّهم ثقاتٌ كما يأتى ، أخرجه أحمد فى مسنده (ج زز ،
ص ١١١) بسندٍ ، رجاله كلّهم من رجال الصحاح بلا كلام ، و هم : شريك ،
الأعمش ، المنهال ، عبّاد^١ .

بلى ، نقل حديث العشيرة الكثير من الأعلام أمثال ابن مردويه

١- (الغدير) ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

و السيوطي وابن أبي حاتم و البغوي و الحلبي في (السيرة النبوية) ، و نقله
غيرهم بألفاظ أخرى ، مثل : أَيْكُمُ يُبَايَعُنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَ صَاحِبِي
وَ وَارِثِي ؟ فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ وَ كُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ ... الى أن
قال : فَضْرَبَ رَسُولُ اللَّهِ بِيَدِهِ عَلَى يَدِهِ . و مثل : مَنْ بَايَعَنِي عَلَى لَنْ يَكُونَ
أَخِي وَ صَاحِبِي وَ وَلِيِّكُم مِّنْ بَعْدِي ؟ فَمَدَدْتُ يَدِي وَ قُلْتُ : أَنَا أَبَايَعُكَ !
و مثل : أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى كَلِمَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَيْنِ فِي الْمِيزَانِ :
شَهَادَةٌ لَّنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَمَنْ يُجِيبْنِي إِلَى هَذَا الْأَمْرِ
وَ يُوَازِرُنِي يَكُنْ أَخِي وَ وَزِيرِي وَ وَصِيِّي وَ وَارِثِي وَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي ؟
فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، فَقَامَ عَلَيَّ وَ قَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : اجْلِسْ ! ثُمَّ
أَعَادَ الْقَوْلَ عَلَى الْقَوْمِ ثَانِيًا فَصَمَّتُوا ، فَقَامَ عَلَيَّ وَ قَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ !
فَقَالَ : اجْلِسْ ! ثُمَّ أَعَادَ الْقَوْلَ عَلَى الْقَوْمِ ثَالِثًا ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، فَقَامَ
عَلَيَّ وَ قَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَقَالَ : اجْلِسْ فَأَنْتَ أَخِي وَ وَزِيرِي وَ وَصِيِّي
وَ وَارِثِي وَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي .

و مثل : أَيْكُمُ يَنْتَدِبُ أَنْ يَكُونَ أَخِي وَ وَزِيرِي وَ وَصِيِّي وَ خَلِيفَتِي
فِي أُمَّتِي وَ وَلِيِّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، حَتَّى أَعَادَهَا ثَلَاثًا ، فَقَالَ
عَلَيٌّ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ !

فَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهِ وَ تَقَلَّ فِي فِيهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ امْلَأْ جَوْفَهُ عِلْمًا
وَ فَهْمًا وَ حُكْمًا ، ثُمَّ قَالَ لِأَبِي طَالِبٍ : يَا أَبَا طَالِبٍ اسْمَعْ الْأَنْ لَابِنِكَ وَ أَطْعِ
فَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ نَبِيِّهِ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى .

و مثل : مَنْ يُوَاخِئُنِي وَ يُوَازِرُنِي وَ يَكُونُ وَلِيِّي وَ وَصِيِّي بَعْدِي
وَ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِي يَقْضِي دِينِي ؟ الْيَ أَنْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِعَلِيٍّ : أَنْتَ ، فَقَامَ
الْقَوْمُ وَ هُمْ يَقُولُونَ لِأَبِي طَالِبٍ : أَطْعِ ابْنَكَ فَقَدْ أَمَرَ عَلَيْكَ .

و مثل : فَأَيُّكُمْ يَقُومُ فَيَبَايِعُنِي عَلَى أَنَّهُ أَخِي وَوَزِيرِي وَوَصِيِّي وَ يَكُونُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، إِلَى أَنْ قَالَ : فَقَامَ عَلَيَّ فَبَايَعَهُ وَأَجَابَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أُدْنُ مِنِّي ، فَدَنَا مِنْهُ ، فَفَتَحَ فَاهُ وَ مَجَّ فِيهِ مِنْ رِيْقِهِ وَ تَقَلَّ بَيْنَ كَتْفَيْهِ وَ ثَدْيَيْهِ ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : بِئْسَ مَا حَبَّتْ بِهِ ابْنِ عَمِّكَ أَنْ أَجَابَكَ فَمَلَأَتْ فَاهُ وَ وَجْهَهُ بُزَاقًا .

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَ سَلَّمَ : مَلَأَتْهُ حِكْمَةٌ وَ عِلْمًا .

و قد نقل مؤخرًا الاستاذ حسن أحمد لطفى فى كتابه (الشهيد الخالد الحسين بن على) ذيل الحديث وفق رواية الطبرى ، كما أورده أيضاً توفيق الحكيم ذيل كتاب (محمد) وفقاً للطبرى ، و أورده المحرّر القدير [شاعر الغدير] عبدالمسيح الأنطاكى المصرى و أنشد فيه قصيدة غراء^١ .

يقول أبو جعفر الإسكافى (بعد ذكر الحديث مفصلاً) : فهل يُكَلِّفُ عمل الطعام و دعاء القوم صغيرٌ غير مميّز ؟! و غرٌ غير عاقل ؟! و هل يؤتمن على سرّ النبوة طفلٌ ابن خمس سنين أو ابن سبع سنين ؟! و هل يُدعى فى جملة الشيوخ و الكهول إلاّ عاقلٌ لبيبٌ ؟! و هل يضع رسولُ الله صلى عليه و آله يده فى يده و يُعطيه صفقةَ يمينه بالأخوة و الوصية و الخلافة إلاّ و هو أهلٌ لذلك ؟! بالغُ حدّ التكليف ، محتملٌ لولاية الله و عداوة أعدائه ، و ما بالُ هذا الطفل لم يأنس بأقرانه ؟! و لم يلصق بأشكاله ؟! و لم يُرَمِّع الصبيان فى ملاعبهم بعد إسلامه ؟! و هو كأحدهم فى طبقته ، كبعضهم فى معرفته ، و كيف لم ينزع إليهم فى ساعةٍ من ساعاته ؟! فيقال : دعاه بعضُ الصبا ، و خاطرٌ من خواطر الدنيا ، و عملته الغرّة و الحدثة على حضور لهوهم ، و الدخول فى حالهم ، بل ما رأيناه إلاّ ماضياً على

١- ملخص لمطالب (الغدير) ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ - ٢٨٤ .

إسلامه ، مصمماً على أمره ، محققاً لقوله بفعله ، قد صدّق إسلامه بعفاهه وزهده ، ولصق برسول الله صلى الله عليه وآله من بين جميع مَنْ بحضرتة ، فهو أمينه وأليفه في دنياه وآخرتة ، وقد قهر شهوته ، وجاذب خواطره ، صابراً على ذلك نفسه ، لما يرجو من فوز العاقبة و ثواب الآخرة^١ .

بلى ، لقد كان حديث العشيرة و تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك اليوم في منصب الخلافة واضحاً و مسلماً بحيث نقله بعض المستشرقين ، و منهم : جورج سيل GEORGE SALE في كتابه (قرآن محمد) ALCORAN OF MOHAMMAD يقول فيه : لقد أظهر محمد ءانذاك محبةً و مودةً كبيرة لعلی ، فقد ضمّه الى صدره و أمر الحاضرين في المجلس أن يسمعوا له و يعتبروه خليفته و أن يطيعوا أمره ، فتفرّق اولئك القوم عن المجلس و هم يقولون لأبي طالب : صار عليك الآن أن تُطيع ابنك !

و يقول جون داقن بُرت JOHN DAVEN PORT في كتاب (محمد و القرآن) MOHAMMAD AND CORAN ص ٢١ ضمن هذه القصة : فنهض النبيّ و أظهر أخلاقه الحميدة و شمائله الكريمة ، و وهب لمن يتبعه كنزاً أبدياً (كناية عن السعادة الأبدية) ، و أورد في الختام خطبةً اشتهرت ببلاغتها و فصاحتها ضمّنها الأسئلة التالية : أيكم يوازرني على هذا الأمر ؟ أيكم يكون وصيّى و وزيرى كما كان هارون وصيّ موسى و وزيره ؟ فكان السكوت مخيماً على جماعة الحاضرين ، فلم يجرو أحد منهم على قبول تلك المهمة الخطرة التى عرضها عليهم ، الى أن قام ابن عمّ الرسول علىّ ، ذلك الشاب الشجاع فصاح : أنا أوأزرك يا أيّها النبيّ ! - الى أن

١- (الغدير) ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ .

يقول - فطوق محمدٌ بيديه ذلك الفتى الكريم و ضمّه اليه و صاح : هاكم فانظروا الى أخى و وزيرى !

و قد كتب و اشنجن ارونيك الامريكى هذه القصّة فى (« الكتاب المقدس » ترجمة الميرزا ابراهيم خان الشيرازى من الانجليزية الى الفارسيّة ، ص ٦) ضمن شرحه أحوال النّبى الى أن يقول :

قال النّبى : من يتقدّم منكم فيؤاخيني ؟ من منكم يكون وزيرى و وصيّى و خليفتى ؟ فصمت اهل المجلس مدّةً و لم يجبه أحد ، و ظلّوا ينظرون الى بعضهم و يتبسّمون فى وجوه بعضهم تعجباً او سخريّة ، الى أن قام علىّ أبى طالب بجرأة الشباب و قوّته غير مُبالٍ بأحد ، فتقدّم بقدم صادقة و قال : أنا غلامك و خادمك يا رسول الله ، و لو اننى لا زلت طفلاً لا أصلح للخدمة .

فألقي النّبى يده الى عنق ذلك الشاب الصادق و جذبّه اليه فاحتضنه و هو يقول بصوتٍ عالٍ : هاكم فانظروا الى أخى و وزيرى و وصيّى و خليفتى !

و لقد أضحكت جرأة و جسارة و تفاخر طفل كمثل علىّ فى محفل كهذا قريشاً و أثارت استهزاءهم ، فالتفتوا الى أبى طالب و هم يقولون فى سخريّة : و أنتَ بالطبع تنتظرُ منّا ان نركع فى حضور ولدك و نقوم بتعظيمه^١ .

و اجمالاً فإنّ علينا ان نتحدّث عن هذا الحديث من جهتين : الاولى فى السند ، و الثانية فى الدلالة .

فأمّا من جهة السند ، فائه - و كما ذكر - لا توجد أى شبهة أو شك

١- نقلاً عن كتاب (شيعه در اسلام) سبط ، الجزء الاول ، ص ٥ - ٧ .

تعتريه ، لأنّ سنده في نظر أهل السنّة في غاية القوّة و الإِتقان ، لم يضعّفه منهم أحدٌ إلّا ابن تيمية حيث قال بأن هذه الحديث موضوع و مفتعل . و ليس لكلام ابن تيمية اى اعتبار ، لأن الكلّ يعلم أنّه كان رجلاً متعصباً معانداً و معادياً لأهل البيت ، و كان يُنكر الأحاديث المسلّمة لمجرّد تضمّنها لفضيلةٍ من فضائل أهل بيت رسول الله . بل إنّ من المسلّم عند أهل الفنّ ان ميزان ابن تيمية في ردّ و قبول الروايات هو تضمّنها لفضائل أهل البيت أم عدم ذلك .

يقول اليافعي في (مرآة الجنان) : و لابن تيمية فتاوى عجيبة و غريبة عُدَّ بسببها مُبعداً عند أهل السنّة ، حيث قاموا بسجنه لهذه العلّة ، و من أقبح نظريّاته الحكم بجرمة زيارة قبر الرسول محمّد صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم . و العجب من الحلبي الذي نقل رواية العشيرة عن ابن تيمية ، الى قوله : فقال رسول الله : فَمَنْ يُجِيبُنِي إِلَى هَذَا الْأَمْرِ وَ يُؤَاوِرُنِي ، أَى يُعَاوِرُنِي عَلَى الْقِيَامِ بِهِ .

قَالَ عَلَى : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ أَنَا أَحَدُهُمْ سِنًا ، وَ سَكَتَ الْقَوْمُ .

ثمّ يختتم الحديث الى هذا الحدّ و لا يتطرّق الى شيء من مقامات أمير المؤمنين في سؤال النبي و جوابه عليه السلام ، فيُسقط كلمة (عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَ وَصِيّ وَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي) و جواب النبي : (فَأَنْتَ أَخِي وَ وَصِيّ وَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي) . الأعجب من ذلك قوله : و أضاف البعض كلمة (أَخِي وَ وَصِيّ وَ وَارِثِي وَ وَزِيرِي وَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي)^١ .

جنايات الطبري في حديث العشيرة :

يقول العلّامة الأميني تحت عنوان (جنايات على الحديث) : منها ما

١- (السيرة الحلبية) ، المجلد الاول ، ص ٣٢٢ .

ارتكبه الطبرى فى تفسيره (ج ١٩ ، ص ٧٤) ، فإثته بعد روايته له فى تاريخه كما سمعت ، قلب عليه ظهر المجنّ فى تفسيره فأثبتته برمته حرفياً متناً وسنداً ، غير أنه أجمل القول فيما لهج به رسول الله صلى الله عليه وآله فى فضل من يُبادر الى تلقى الدعوة بالقبول ، قال : فَقَالَ : فَأَيُّكُمْ يُوَاظِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَكَذَا وَكَذَا ؟

وقال فى كلمته صلى الله عليه وآله وءاله الأخيرة : ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَذَا أَخِي وَكَذَا وَكَذَا . (و يلاحظ مدى الجنابة الفاضحة التى ارتكبتها حين عمد ، من أجل اخفاء الحق وطمسه و من أجل اخفاء مقامات و فضائل أمير المؤمنين ، الى إجمال لفظ (وَصِيٍّ وَ خَلِيفَتِي فِيكُمْ) وإيراده على نحو الإيهام!)

جناية ابن كثير فى نقل حديث العشيرة : و تبعه على هذا التقلب ابن كثير الشامى فى البداية و النهاية (ج ٣ ، ص ٤) و فى تفسيره (ج ٣ ، ص ٣٥١) . فعل ابن كثير هذا و ثقل عليه ذكر الكلمتين (وصي و خليفتي فيكم) و بين يديه تاريخ الطبرى و هو مصدره الوحيد فى تأريخه و قد فصل فيه الحديث تفصيلاً ، لأنه لا يروق اثبات النصّ لأمر المؤمنين بالوصية و الخلافة الدينية ، والدلالة عليه و الإرشادة اليه . و هل هذه الغاية مقصد الطبرى حينما حرّف الكلم عن مواضعه فى التفسير بعد ما جاء به صحيحاً فى التأريخ على حين غفلة عنها ؟! أنا لا ادري ، لكن الطبرى يدري ، و أحسبك أيها القارىء جدّ عليم بذلك .

جناية هيكلى فى نقل حديث العشيرة :

و منها خزاية فاضحة تحملها محمد حسنين هيكلى^١ ، حيث أثبت

١ - وزير الثقافة الأسبق فى مصر ، و رئيس تحرير مجلة الأهرام

الحديث كما أوعزنا اليه في الطبعة الاولى من كتاب (حياة محمد) ص ١٠٤ بهذا اللفظ (يذكر الحديث كما ورد ثم يختمه بهذه الكيفية) :

فَأَيُّكُمْ يُؤَاذِرُنِي هَذَا الْأَمْرَ وَأَنْ يَكُونَ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ؟ فَأَعْرَضُوا عَنْهُ وَهَمُّوا بِتَرْكِهِ، لَكِنَّ عَلِيًّا نَهَضَ وَمَا يَزَالُ صَبِيًّا دُونَ الْحُلُمِ وَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْنُكَ، أَنَا حَرْبٌ عَلَى مَنْ حَارَبْتَ. فَأَبْتَسَمَ بَنُو هَاشِمٍ وَقَهَقَهُ بَعْضُهُمْ وَجَعَلَ نَظَرُهُمْ يَنْتَقِلُ مِنْ أَبِي طَالِبٍ إِلَى ابْنِهِ ثُمَّ انْصَرَفُوا مُسْتَهْزِئِينَ^١.

فائه أسقط من الحديث ولأما فرع به رسول الله صلى الله عليه و آله كلامه من قوله لعلّي: فَأَنْتَ أَخِي وَوَصِيِّي وَوَارِثِي.

ثم نسب الى أمير المؤمنين ثانياً أنه قال: (أنا يا رسول الله عَوْنُكَ، أنا حَرْبٌ عَلَى مَنْ حَارَبْتَ) ليته دلنا على مصدر هذه النسبة في لفظ أى محدث أو مؤرخ من السلف؟ وراقه أن يحكم في الحضور في تلك الحفلة بتبسم بنى هاشم و قهقهة بعضهم، و لم نجد لهذا التفصيل مصدراً يُعوّل عليه. و بما أنه لم يجد (هيكل) وراءه مَن يأخذه بمقاله، و لم يَرِ هناك من يُناقشه الحساب فى تقولاته و تصرّفاتة، أسقط منه ما يرجع الى أمير المؤمنين عليه

١- يذكر في كتاب (على و الوصية)، من ص ٤ الى ص ١٩، روايات كثيرة بطرق مختلفة مع ذكر اسنادها و العلماء الذين نقلوها في كتبهم، ثم يقوم في ص ٣٣٧ ببيان اسناد هذا الحديث بالتفصيل. ثم أنه يذكر في ص ٣٧٤ (و هي مستدركات الكتاب) تحت عنوان: الحديث الرابع، رواية عجيبة في هذا الشأن عن أبي بكر يخاطب بها العباس بن عبدالمطلب، ورد فيها لَ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: فَجَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ عَشِيرَتَهُ وَ قَالَ: فَمَنْ يَقُومُ مِنْكُمْ يُبَايِعُنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَ وَزِيرِي وَ وَصِيِّي وَ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِي؟ فَلَمْ يَقُمْ... الخ؛ و ينقل في ص ٣٧٥ نظير هذا الحديث؛ ينقل هذين الحديثين عن التاريخ المخطوط لابن عساكر الذى توجد له صورة فوتوغرافية في مكتبة الامام امير المؤمنين العامة في النجف الأشرف. كما ينقل هذا الحديث عن أبي بكر في (الناقب) لابن شهر آشوب، ج ١، ص ٥٤٤.

السلام في الطبعة الثانية^١ سنة ١٣٥٤ ، ص ١٣٩ . ولعل السر فيه لفظة منه الى غاية ابن كثير و أمثاله بعد النشر ، أو لنّ اللغظ و الصخب حول القول قد كثرا عليه هناك من مناوئي العترة الطاهرة ، فأخذته أمواج اللوم و العتب حتى اضطرته الى الحذف و التحريف ، أو لنّ العادة المطردة في جملة من المطابع عاثت في الكتاب فغض عنها الطرف صاحبه لاشتراكه معها في المبدء أو عجزه عن دفعها . و على لى فحى الله الشعور الحى ، و الأمانة الموصوفة ، و الحق المضاع المأسوف عليه^٢ .

و أمّا الجهة الثانية من البحث التى تتناول مفهوم و دلالة الحديث ، فقد جاء في هذا الحديث باختلاف المضامين التى تُقل بها جملة (أنت أخى و وصيى و خليفتى فيكم ، و اسمعوا له و أطيعوا) و هو نص من رسول الله ، بل هو نص جلى و مبين على خلافته بلا فصل و على وصايته عليه السلام ، مثل حديث غدير خم ، غاية الأمر لنّ هذا التنصيص كان في بدء النبوة و الدعوة ، و حديث الغدير فى نهايتها ، حيث وقع عند نزول جبرئيل

١- يقول الشيخ محمد جواد مغنية في كتاب (الشيعة و التشيع) ص ١٤ :

و نقل الشيخ محمد حسن المظفر في كتاب (دلائل الصدق) ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ عن كتاب (كنز العمال) ج ٦ ، ص ٣٩٧ لنّ النبي قال لعشيرته : قد جئكم بخير الدنيا و الآخرة ، و قد أمرني ربى أن أدعوكم إليه ؛ فأيتكم يوازرنى على أمرى هذا ؟ قال على : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه . فأخذ النبي برقبته و قال : إن هذا أخى و وصيى و خليفتى فيكم ؛ فاسمعوا له و أطيعوا ! فقام القوم يضحكون و يقولون لأبى طالب : قد أملك أن تسمع و تطيع لو لذك على .

ثم يقول في التعليقة : ذكر هذه الحديث محمد حسنين هيكل في كتاب (حياة محمد) الطبعة الاولى ، ثم حذفه في الثانية لقاء ٥٠٠ جنيه (الجنيه هو العملة المتداولة في مصر) و دليلنا المقابلة بين الطبعتين . انظر التعليق ص ١١٤ من (أعيان الشيعة) ج ١ ، القسم الأول ، طبعة ١٩٦٠ انتهى .

٢- خلاصة ما جاء في (الغدير) ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ الى ٢٨٩ .

و اخباره النبيّ بقرب حلول أجله ، هذا اذا ما أعرضنا عن بعض الروايات المذكورة آنفاً ، و التي ورد فيها أيضاً عنوان : وَارِثِي وَوَزِيرِي ، وَوَلِيِّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، وَ يَقْضَى دِينِي ، و لفظ (اسْمَعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا) ، التي يدلُّ كلُّ منها على ولايته و خلافته صراحةً .

و لو فرضنا أنّه لا يوجد في مجموع هذه الأحاديث غير جملة (أَخِي وَ وَصِيِّ وَ خَلِيفَتِي فِيكُمْ) ، فإنّ هذه الجملة - مع ذلك - ستدلُّ بوضوح و صراحة على تنصيبه عليه السلام في مقام الخلافة و الوصاية .

ولاية أمير المؤمنين كانت توأماً مع توحيد الله و نبوة رسول الله منذ اليوم الأوّل .

يمكن القول يقيناً بأنّ ولاية أمير المؤمنين قد بدأت منذ اليوم الأوّل مع شهادة (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ) ، و بأنّ جملة (عَلَيَّْ وَلِيُّ اللَّهِ) هي جملة متّصلة و غير قابلة للإنفكاك عن الشهادتين ؛ لأنّه و منذ اليوم الأوّل الذي دعا فيه رسول الله قومه الى الاسلام و أمرهم بإقرار الشهادتين ، فآثمه أمرهم في نفس اليوم و في نفس المجلس بإطاعة مولى الموالى أمير المؤمنين و اتّباعه^١ ، و أعلن ولايته و خلافته .

و بناءً على ذلك فإنّ الاسلام قد طلع منذ اليوم الأوّل بهذه الجمل

١- من الجدير بالذكر في هذه الرواية ، أنّه لم يعبّر أمير المؤمنين عليه السلام وليّاً و إماماً واجب الطاعة بعد رحلته فقط ، بل أنّه عبّنه كذلك في حياته أيضاً . ذلك لأنّه يقول فاسمعوا له و أطيعوا . و هذه العبارة تثبت وجوب السمع و الطاعة له عليه السلام في زمان رسول الله و تدل على عصمته عليه السلام منذ ذلك اليوم ، لأنّ هناك ملازمة بين العصمة و بين وجوب الاتّباع ، كما أنّه كان من رسول الله منذ ذلك اليوم بمنزلة هرون من موسى الّا أنّه ليس بنبيّ . و يدلّ على هذه المقولة ، كلام العلامة آية الله السيّد شرف الدين العاملي في كتاب (التّص و الاجتهاد) ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار النهج - بيروت ، ص ٣٧٦ في التعليقة الاولى.

الثلاث :

الشهادةُ باللَّه ، و الشهادةُ بنبوَّة رسول الله ، و الشهادةُ بولاية علىّ ولىّ الله ، و ما تقوله الشيعة من وجوب اتباع أمير المؤمنين هو واحد من المسائل القطعية في الإسلام ، فحقيقة التشيع هى حقيقة الاسلام . و اولئك الذين اکتفوا بالشهادتين و رفضوا ولاية و خلافة أمير المؤمنين قد رفضوا بذلك جزءاً من الاسلام ، و فى الحقيقة فانهم قد رفضوا الاسلام .

كما لّ الذين يشهدون بالتوحيد و لا يشهدون بالنبوَّة قد أقرّوا بجزءٍ من الحقيقة و أنكروا الجزء الآخر ، بل قد أنكروا الحقيقة بأجمعها .

لقد أسّس التشيع و التبعية لأهل البيت و أوصياء رسول الله منذ اليوم الأوّل للإسلام ، و على هذا الأساس فقد أضيفت للولاية تدريجاً النصوص الصريحة للآيات القرآنية و لكلام رسول الله صلى الله عليه و ءاله ، كما أضيف للتوحيد و النبوَّة تدريجاً نصوص صريحة من الآيات القرآنية و كلام حضرة الرسول .

و إضافة الى ذلك فانه يُستفاد من هذا الحديث لّ أمير المؤمنين كان شريكاً و مساهماً فى تحمّل أعباء النبوَّة و القيام بوظيفة التبليغ الخطيرة و إبلاغ الأحكام و الجهاد ، و إيصال البشرية الى المقصود الذى هو واجب الرسالة ، لأنّ مضمون الرواية ليس (كلّ من ءامن بى هو وصيّى و خليفتى) بل مضمونها (كلُّ من يعاوننى و يعاضدنى يكون خليفتى) ، لأنّ جمل الرسول التى رُويت عنه كانت : **أُنِيْكُمْ يُوَازِرُنِى عَلَى هَذَا الْأَمْرِ ؟ وَ أُنِيْكُمْ يُبَايِعُنِى عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَ صَاحِبِي وَ وَارِثِي ؟**

من منكم يُبَايِعُنِى ، اى من منكم يوطّن نفسه على الموت ، و من يشرى نفسه فيضع اختياره جانباً فيؤاخذنى و يلازمنى و يصاحبنى و يكون وارثى فى كلّ مراحل النبوَّة و فى مواجهة آلاف المشاكل و تحمّل مشاقّ

رسالتى الخطيرة ، بحيث يتحمل بعدى لوحده هذه المسؤولية ، و يقف وحيداً فى مواجهة دنيا الكفر ليبلّغ رسالتى ، فيقوم بذلك على خير وجه .

وَأَيُّكُمْ يُؤَاخِنُنِي وَ يُؤَاوِرُنِي وَ يَكُونُ وَلِيًّا وَ وَصِيًّا بَعْدِي وَ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِي يَقْضِي دِينِي ؟

وَأَيُّكُمْ يَتَدَبَّأَنَّ يَكُونُ أَخِي وَ وَزِيرِي وَ وَصِيًّا وَ خَلِيفَتِي فِي أُمَّتِي وَ وَلِيًّا كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي ؟

و يُستفاد من كلّ هذه الأحاديث أنّ الرسول صلّى الله عليه و ءاله كان يبحث عن الصاحب و المعين و الناصر الذى يُعاضده . و هذه الجملات صريحة فى التساؤل : مَنْ منكم يأتى فى وضعى هذا و حالتي هذه ، فلا يدعنى وحدى ، و يقوم بنصرة دين الله ، و يُعيننى فى حياتى و بعد مماتى فى تحمّل هذه المسؤولية ، و يصاحبنى فى حياتى ، و يقوم بوظائف الرسالة خير قيام بعد مماتى ، و يؤدّى عتّى دينى و عهدى تجاه ربّى ؟

و بناءً على هذا فإنّ أمير المؤمنين بقبوله لمثل هذا الأمر كان سهيماً مع الوجود المقدّس لرسول الله فى جميع مراحل أداء الرسالة و إيصال الناس الى منزل السعادة ، و فى الالتزام بالقيام بأعباء الخلافة و مشكلاتها .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ ، و يجب ان لا يُتصوّر أنّ المقام الذى منحه رسول الله لذلك الوجود العزيز بعنوان الأخ و الوزير و الخليفة و الوارث كان أمراً تشریفياً ، او نتيجةً و استفادةً حصل عليها مقابل موافقته ، و كأنه كان يريد أن يجزيه بإعطائه مثل هذه المناصب ، بل أنّه قد طلبه بهذه الجملات و ندبه لتحمل المشاق فى جميع الأمور .

مَنْ يتحمّل هذا الجبل العظيم الذى ينوء به الظهر ؟ مَنْ يقف معى كنفاً الى كتف فى مواجهة المشركين و دنيا الكفر و الشرك ، فلا يدعنى أحمّل لوحدى كلّ تلك الضغوط ؟

مَنْ ينهض معي و يقف الى جانبي بروحه و قلبه بكل معنى الكلمة
في جميع الحروب و الغزوات لإعلاء كلمة الحق ؟

من يهيب نفسه للوقوف بشجاعة امام المخالفات الشديدة لقريش
ولكل طوائف الكفر ؟ من يستعد للهجرة و التشرّد في الجبال و الفقار ؟
من يرضى بالنوم في فراشي ليلة المبيت ، فيرى جسده تحت سيوف
شجعان العرب مقطّعا إرباً إرباً ؟

مَنْ و من لا يهاب مواجهة منافقي أمتي حتّى بعد موتي ، و لا يسمح
لذرة من الهوى بالدخول الى قلبه ، و يتحمّل آلاف المشاكل و جبال الحزن
و الغم ، و لا يتخطّى الرسول قيد أنملة ، لا تحرّكه صرخات ابنتي الزهراء
ولا أنينها ، و لا تثير فيه الإحساسات القبلية أو القومية ، فيبقى عاملاً
بوظيفته في وقار و مهابة أشبه بالبحر الخضم العظيم ، فيعلّم و يُربّي ، ليس
فقط ذلك العصر بمفرده ، بل جميع عالم البشرية و الإنسانية الى يوم
القيامة ، بالعلم و الحلم و العظمة و الوفاء و الصفاء و الصدق و الزهد و عدم
الاعتناء بغير الله سبحانه .

فاعلموا يا أهل الدنيا إنّ أمير المؤمنين ، ذلك الطفل الصغير في ذلك
اليوم ، قد ردّ بالإيجاب على الرسول الأكرم مقابل تلكم المشكلات ، و أبعاد
بجوابه هذه الأمواج العاصفة للخطرات بصدرٍ منشرح و قلب قوى ، و أعدّ
نفسه للفداء في أخرج اللحظات و أصعبها ، و كان يرى متجلياً أمامه
كالمرأة المصاعب و المصائب خلال ثلاث و عشرين سنة تمثّل فترة
رسالة النبي ، و المصائب والمحن على مدى ثلاثين سنة بعد رحلة الرسول .
لكنّه نهض و صاح : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أنا يا رسول الله الذي يُعينك
و يصاحبك و يلازمك و ينصرك ؛ لا أغفل عنك لحظة واحدة ، أنثر تحت
قدمك المباركة روحى و مالى و شخصيتى و حيثيتى و عزّى و دنياى .

مستعدُّ أنا لأراهم يُلقون الحبل في عنقي فيفقدونني الى المسجد للبيعة ^١، فلا أدعُ لساني يتخطى جادة العفة و الصواب ، و لا الإحساسات أن تحرّكني وتُثيرني .

مستعدُّ أنا لرؤية المشركين و هم يجمعون الخطب جوار بيت ابنتك فيحرقونه ^٢، و لسماع صوت (ويلاه و احمّدها!) من قرّة عينك ؛ لكنني لن أفدى الأهم للمهم و لن اتخطى واجبي و وظيفتي حفظاً على الشريعة و بقاء القراء و إعلاء الإسلام .

أنا الذي اختار السكوت و لم يُجب في دقّ أوقات الامتحان ، و في اللحظات التي جاء فيها كبيراً قريش أبوسفیان و العباس يقولون : ابسط يدك يا عليّ لنبايعك فلا يستطيع أحد مخالفتك ^٣ فوالله إن شئت لأملأها على أبي فضيل - يعني أبابكر - خيلاً و رجلاً ^٤ .

أنا الذي لجأت الى قبرك منتحباً محزوناً من الظلم الذي لحق بابنتك ، فقلتُ : يا ابنِ اُمِّمٍ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونِي ^٥ .

لذا فإنّ عدم قيام أحد من المدعوين في مجلس العشرة لقبول هذا المعنى ، مع علمهم بصدق الرسول الأكرم ، لم يكن بغير سبب ، فلقد ترعرع رسول الله بينهم منذ طفولته ، و لم يكن غريباً أو مجهولاً في قومه ، لكنهم

١- (شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد) ، ج ٢ ، ص ١٩ ؛ و ج ١ ، ص ١٣٤ ؛ و (الإمامة و السياسة) ، ج ١ ، ص ١٢ .

٢- (شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد) ، ج ٢ ، ص ١٩ ؛ المختصر في أخبار البشر و (تاريخ أئمة) ، ج ١ ، ص ١٥٦ ؛ و (العقد الفريد) ابن عبد ربّه ، ج ٣ ، ص ٦٣ .

٣- (شرح نهج البلاغة) ابن أبي الحديد، ج ١ ، ص ١٣١ ، نقلاً عن كتاب (السقيفة) .

٤- و هذا هو كلام أبي سفيان . (شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد) ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

٥ - (الإمامة و السياسة) ، ج ١ ، ص ١٣ .

كانوا يشعرون لأن القبول بهذا المعنى يعنى تحمّل آلاف المشاكل والعُصص والمصاعب ، لذا قاموا وتركوا مجلس رسول الله الآخرين مقهقهين . وقد اشار المرحوم السيّد الحميرى في بعض قصائده الى حديث العشرة ، كهذه القصيدة :

بأبى أنتَ وأُمى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
بأبى أنتَ وأُمى وَ بَرَهْطَى أَجْمَعِينَ
الى أن يقول :

كُنْتَ فِي الدُّنْيَا أَخَاهُ يَوْمَ يَدْعُو الْأَقْرَبِينَ^١
و يقول أيضاً :

مِنْ فَضْلِهِ أَنَّهُ كَانَ أَوْلَ مَنْ
صَلَّى وَءَامَنَ بِالرَّحْمَنِ إِذْ كَفَرُوا
سِنِينَ سَبْعًا وَأَيَّامًا مُحَرَّمَةً
مَعَ النَّبِيِّ عَلَى خَوْفٍ وَمَا شَعَرُوا
وَيَوْمَ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ قَدْ عَلِمُوا
أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَدْنَى إِنْ بَصُرُوا
الى أن يقول :

مَنْ الَّذِي قَالَ مِنْهُمْ وَهُوَ أَخَذْتُهُمْ
سِنًا وَخَيْرَهُمْ فِي الذِّكْرِ إِذْ سَطَرُوا
ءَامَنْتُ بِاللَّهِ قَدْ أُعْطِيتَ نَافِلَةً
لَمْ يُعْطِهَا أَحَدٌ جَنًّا وَلَا بَشَرًا

١- هذه القصيدة المذكورة في (ديوان الحميرى) ، ص ٤٣٦ ؛ وقد نقل أصلها من

(الغدیر) ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ و (أعيان الشيعة) ، ج ١٢ ، ص ٢٦٨ ؛ و (المناقب) ، ج ٢ ، ص ٢٦

و ١٧٦ ، و ج ٣ ، ص ٥٥ .

وَإِنْ مَا قُتِلَتْهُ حَقٌّ وَإِنَّهُمْ
 إِنْ لَمْ يُجِيبُوا فَقَدْ خَانُوا وَقَدْ خَسِرُوا
 فَفَازَ قَدَمًا بِهَا وَاللَّهُ أَكْرَمُهُ
 وَكَانَ سَبَّاقَ غَايَاتٍ إِذَا ابْتَدَرُوا^١.

و يقول أيضاً في قصيدة أخرى :

عَلَيُّ عَلَيْهِ رُدَّتِ الشَّمْسُ مَرَّةً
 بِطَيِّئَةِ يَوْمِ الْوَحْيِ بَعْدَ مَغِيبِ

الى أن يقول :

وَقِيلَ لَهُ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأُولَى
 وَهُمْ مِنْ شَبَابٍ أَرْبَعِينَ وَشَيْبِ

الى أن يقول :

فَفَازَ بِهَا مِنْهُمْ عَلَيٌّ وَسَادَهُمْ
 وَمَا ذَاكَ مِنْ عَادَاتِهِ بِعَجِيبِ^٢

١- (ديوان الحميري)، ص ٢٠٣؛ وقد ذكر أصل القصيدة من (ايعان الشيعة) ج ١٢،

ص ٢٤٨؛ و (الغدير)، ج ٢، ص ٢٥٠، و (المناقب)، ج ٢، ص ٢٦.

٢- (ديوان الحميري)، ص ١١٧، وقد ذكر أصل القصيدة من (الغدير) ج ٢،

ص ٢٥١، و (المناقب) ص ٢٦، و ص ٣١٨.

الدَّرْسُ السَّادِسُ

عِصَّةُ الرُّسُلِ الْإِنْسَانِيَّةِ مَعَ اخْتِيَالِهِمْ
فِي فِعْلِ الْفَعْلِ

بسم الله الرحمن الرحيم
و صلى الله على محمد و ءاله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين
و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ
الرُّسُلِ^١.

عصمة الأنبياء عن طريق إتمام الحجّة من قبل الله :

تبين هذه الآية المباركة السبب من إرسال الأنبياء الى الناس و الغاية
من التبشير و الإنذار ، و هى إتمام الحجّة على الناس لئلا يكون لديهم عذر
فى ارتكاب الأخطاء و الذنوب ، و لئلا يُقيموا الحجّة على الله يوم القيامة
بأنهم لم يكونوا يدركون شيئاً و أنه لم يوجد من يقوم بهدايتهم .

و من الجلى ان قاطعيّة العذر و كون أفعال الأنبياء و أقوالهم حجّة
سيكون حين لا يعصون و لا يرتكبون أى زلل فى أقوالهم و أفعالهم ، و لا
يُبتلون بالخطأ عند تلقى الأحكام من قبل الله أو عند تبليغها ، و الاّ فان حجّة
الناس و عذرهم سيكونان باقيين .

و سيقولون اتنا قد عملنا بالمعاصى لأننا شاهدنا الأنبياء يرتكبونها ،

١- الآية ١٦٥ ، من السورة ٤ : النساء .

و لقد بدرت منّا الأخطاء و المعاصي بسبب أخطاء النبيّ في قوله و فعله ،
فلقد أخطأ النبيّ و لم يتلقّ الوحي بصورة صحيحة ، او أنّه تلقّاه بصورة
صحيحة لكنّه أخطأ واضطرب في تبليغه ، لذا فقد قمنا بأفعالنا نتيجة لذلك
خلافاً للحقّ .

و لذا فإنّ الأنبياء الذين بُعثوا لهذا الهدف ينبغي أن لا يقعوا في الزلل
و الخطأ ، و الّا لما تحقّق الهدف من بعثتهم ، و هذا هو معنى العصمة .
إثبات العصمة من آية أخرى :

كما يمكن استفادة العصمة من آية أخرى :

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ .^١

فكما أنّ الأنبياء يصبحون مطاعين بإذن الله ، فإنّ من يتبعونهم
سيكونون بالملازمة مطيعين بإذن الله ، و ستتعلّق إرادة الله و إذنه بأفعالهم ،
و من المعلوم أنّ التّبي لو أخطأ في تبليغه او ارتكب ذنباً فتجاوز الحقّ في
النتيجة في قوله و فعله الذين هما وسيلتان لإبلاغ الأحكام ، فإنّ الناس
الذين يتبعونه سيكونون بالتأكيد قد تجاوزوا الحقّ و عملوا خلافه .

و وفقاً للآية المباركة السابقة في تعلقّ إذن الله بأفعالهم ، فإنّ إرادة الله
و إذنه ستتعلّق أيضاً بالأفعال الباطلة . و باعتبار أنّ إرادة الله هي حقّ على
الدوام و متعلّقة بالحقّ ، فانه ينبغي الّا يرتكب نبيّ من الأنبياء شيئاً خطأ أو
معصية ، ليكون إذن الله الذي يتعلّق بفعل من يتابعهم في العمل متعلّقاً بفعل
الحقّ .

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ .^٢

١- الآية ٦٤ ، من السورة ٤ : النساء .

٢- الآية ٤ ، من السورة ٣٣ : الأحزاب .

و إضافة الى ذلك فإنّ النبي اذا ارتكب معصية إمّا في القول أو الفعل ، في حين ان المعصية مبغوضة من قبل الله و مورد نهيه سبحانه ، فإنّ تلك المعصية ستكون مبغوضة و منهياً عنها من قبل الله كما ستكون محبوبةً مأموراً بها من قبله تعالى . فمورد البُغض و النهي من جهة لّن عمله كان - حسب الفرض - معصيةً ، و كلّ معصية مبغوضة منهى عنها ؛ و امّا مورد حبّ الله و أمره ، فمن جهة لّن فعله و قوله كان - حسب الفرض - بإذن الله . و ان الهدف من الرسالة هو اطاعة الله ، و بناءً على ذلك فإنّ قوله و فعله هذا قد نشأ بإذن الله و رخصته و إرادته . و لأنّ اجتماع البُغض و الحبّ في شيء واحد من جهة واحدة ، و كذلك اجتماع الأمر و النهي في فعل واحد من جهة واحدة أمر مستحيل ، لذا فإنّ المعصية و الإثم من قبل الأنبياء أمر مستحيل ، و هذا هو معنى العصمة .

ملكة العصمة ليست سبباً في جعل الأفعال اضطرارية اجبارية :

يظنّ كثير من الناس لّن الأفعال التي تصدر من الأنبياء و الأئمة الذين يمتلكون ملكة العصمة تصدر بدون قوّة علميّة و لا إرادة اختيارية ، و ان ملائكة السماء التي جعلها الله لحفظ و حراسة قلوبهم عن الخطأ و المعصية هي كالرصد الدائم في مقام المصونيّة و المحافظة الدائمة تحذّرهم من أي اختيار أو تصرف .

و بناءً على هذا فائّه لا يجب قياس عبادتهم و مجاهدتهم مع سائر أفراد البشر ، لأنّ أفراد البشر يسلكون طريق الله اثر مجاهدتهم النفسية و يواجهون المشاكل و المشاقّ ؛ في حين أن الأنبياء يُهدّون باطمئنان بواسطة جبرئيل و سائر الملائكة ، فهم لهذه الجهة طاهرون و طيّبون ذاتاً ، و لا يرد في سيرتهم شيء غير الطهارة و الطيب . و بناءً على ذلك فإنّ كلّ ما فعلوه من التبليغ و الترويج و الإستقامة و العبوديّة و المجاهدة و الصدق لا

ينبغي توقُّعه و انتظاره من سائر الناس ، لأن سنخ وجودهم يغير سائر أفراد البشر . و بالنتيجة فإنَّ أفعالهم و أقوالهم تغاير أقوال و أفعال أفراد البشر ، و نتيجة لذلك فإنَّ عصمتهم ليست منهم ، بل من الله الذى يُسيرهم بين يديه فيتحركون بتحريكه دون أى يكون لهم لى اختيار أو أى قوَّة علميَّة قلبيَّة . و هذا الظنَّ خاطئ جدًّا و لا محلَّ له ، علاوةً على أنَّه سيفتح لأفراد الأمة طريق التناقل و التهاون ، لأنَّه من الواضح ان الأنبياء مع وجود مقام العصمة و الطهارة لديهم ، و مع وجود مصونيتهم و حفظهم بإرادته و اختياره و ملائكته ، ولكن فى نفس الوقت فإنَّ الله و إرادته تلك ليست خارجة عن وجودهم ، و أن أعمالهم لا تصدر بدون قوَّة علميَّة و إدراكيَّة ، و بدون إرادة قلبيَّة و اختيار .

و لإيضاح هذا المطلب نقول لَن جميع الحوادث التى تحدث و الموجودات التى توجد فى العالم ، مرتبطة كلَّها و منوطة بالسبب و العلَّة التى نشأت عنها ، و أنَّها تتحقَّق فى الخارج بعلَّة الصدور عن تلك العلَّة . و بناءً على هذا فإنَّ جميع الأفعال و الأقوال التى يفعلها النبىَّ على ميزان واحد ، و هى كلَّها على صواب و حقٍّ و طاعة ، و معلولة لسبب موجود فى نفس النبى ، و هو نفس الملكة و القوَّة الرادعة التى توجد فى النبى .

تماماً مثل حالنا حين نعمل عملاً ، فإننا لا نفعله دون ان نتصوَّر صورته أولاً ، و نميل اليه ثانياً ، ثم نصدر إرادة تحقِّقه . كما أنَّه يجب علينا - من اجل أن نفعل شيئاً - ان نتصوَّر فى الوهلة الاولى شكله و منظره ، ثم نجد رغبة الى ذلك العمل فى الوهلة الثانية ، ثم نوجد فى الوهلة الثالثة أنفسنا إرادة القيام بذلك العمل .

و الحال كذلك لدى الأنبياء أيضاً ، فإنَّ الأفعال التى تصدر عنهم تكون

بعد تصوّرهم للصورة العلميّة ، و بعد ميلهم و إرادتهم لتحقيق ذلك العمل .
 و لإيضاح هذه المسألة نضيف : قد تصدر ممّا نحن البشر أعمال
 حسنة أو سيّئة ، فالأعمال الحسنة ينبغي علينا أولاً أن نتصوّر صورتها
 العلمية ، ثمّ تقدم على فعلها بعد أن نجد لها في أنفسنا ميلاً و إرادة ، و الأمر
 كذلك بالنسبة للأعمال السيّئة . و لو فرضنا أنّ هناك أفراداً لا تخطر في
 أذهانهم صور يميلون إليها الّا و كانت صوراً جميلة و حسنة ، لذا فأنّه بعد
 تعلّق الإرادة بهذه الصور فأنّه سيظهر من هؤلاء على الدوام اعمال حسنة .
 وعلى العكس فإذا ما وجدت على الدوام في أذهان بعض الناس صور قبيحة
 و مناظر للخيانة و الجناية و المعصية مع توفّر الإرادة أيضاً ، فأنّه ستصدر
 منهم على الدوام أفعال قبيحة ، و هؤلاء هم أهل الشقاء ، كما أن الفئة الاولى
 هم أهل السعادة .

انّ الأنبياء هم من اولئك الفئة التي تنعكس في أذهانهم دوماً صور
 الخيرات و الأفعال الحسنة فيميلون إليها ، ثم يفعلونها بعد تحقيق إرادتهم .
 ولأنّ تلك الصور تظهر في أذهانهم بشكل متعاقب ، فإنّ حصول تلك الصور
 يتحوّل لديهم الى ملكة مثل ملكة العقّة و الشجاعة و السخاء و غيرها . و هذا
 عبارة عن ملكة العصمة فيهم . و بناءً على هذا فإنّ صدور أفعال الأنبياء
 بوصف الطاعة سيكون دائماً و باستمرار مسبباً عن الصورة العلميّة الحسنة
 الدائمّة ، و ذلك هو إدعانهم القلبي بالعبوديّة ، و المراد من الملكة هو
 رسوخ و عدم تغيّر الصورة العلمية في النفس .

أفضليّة الأنبياء بسبب وجود الاختيار في أفعالهم :

و هذا هو سبب مزيّتهم و أفضليّتهم على سائر أفراد البشر ، لأنّ
 ملكتهم النفسانية و قوّتهم العلميّة عالية جداً ، بحيث يختارون دائماً
 الخيرات و الطاعات بعلمهم و إرادتهم غير المنفكّة عنهم ، و الّا فإذا فرض

أنَّ العمل الحسن يصدر منهم بدون العلم و الاختيار المرتبط بوجودهم ،
فإنَّهم سيكونون أشبه بالساعة التي تُنصب فتتحرك دون اختيار ، او كمثل
مفتاح الباب الذى يفتح الباب دون اختيار و إرادة ، بل بسبب حركة اليد .
فأى فضيلة و شرف سيكون لهم في مثل هذه الحالة !!؟

و إضافة الى ذلك فإننا نعلم أنَّ الأنبياء يتلقَّون الوحي فلا يُخطئون في
التلقَّى و التبليغ ، و لو كان هذا التلقَّى و التبليغ غير مستند الى القوَّة النفسانيَّة
و الملكة الموجودة فيهم ، و بدون الأسباب الموجودة بوجود الأنبياء
و المقترنة بواقعيتهم و وجودهم ، لاستلزم ذلك أنَّ هذه الأفعال ستصدر
بدون علم النبيِّ و إرادته ، و بذلك فإنَّ أفعال النبيِّ ستخرج عن الاختيار ،
و هو ما يتنافى مع افتراضنا بأنَّ النبيِّ مختار كسائر أفراد البشر .

و بناءً على هذا فإنَّ كلَّ الأفعال التي تصدر عن الأنبياء قولاً و فعلاً ،
و المعجزات التي تظهر على يدهم ، كانت كلّها بسبب علمهم و اختيارهم ،
و مستنده الى ملكتهم و كفيّتهم و حالتهم القلبيَّة ، و ذلك كلّه مستند أيضاً
الى إذن الله و حفظ الملائكة الذين يحفظون بهذا الطريق حالاتهم القلبيَّة
و الاختياريَّة و صورهم العلمية و ملكاتهم النفسية .

و ينتهى هنا بحثنا عن عصمة الأنبياء ، و يتضح بشكل كامل كفيّة
إفاضة هذه الموهبة الالهية ، و يتعيّن فضلهم و شرفهم بالنسبة لسائر البشر ،
فلا بدّ - من أجل توضيح مقاماتهم و درجاتهم التي ذكرناها في الدروس
السابقة - أن نبحث عن كفيّة الخلقة و عن كفيّة حصول ملكة العصمة
فيهم ، و هذا ما يحتاج الى عدّة أبحاث .

الخلقة عبارة عن الظهور لا الولادة و الخروج :

البحث الأوّل : أنَّ عالم الخلقة بما فيه الموجودات المجردة و الماديّة ،
هو ظهورٌ لنور وجود البارئ تعالى شأنه ، و جميع الممكنات هي مظاهر

و تجليات تلك الذات المقدسة ، و لذلك فإنَّ كلَّ ممكن يقتبس بقدر سعة ماهيته و قابليته من نور وجود الحقِّ تعالى ، فيعكس شعاع ذلك النور الطاهر في مرآة وجوده ، فيتخلَّع بخلعة وجوده .

و ليس معنى الخلقة خروج شيء من ذاته المقدسة و إيجاد شيء مستقلٍّ في الخارج ، بحيث يقوم بنفسه و يستند الى نفسه في أصل الوجود ، أو في استمراره أو في الصفة و الفعل .

و بناءً على هذا فإنَّ جميع عالم الوجود - عدا ذات الربِّ - قائمٌ به و مستند اليه و معتمد عليه ، بحيث أنَّه لو فصل عن هذا الإتكاء و القيام و الاعتماد لحظةً واحدة لا نغمر عالم الخلقة في ظلمة الفناء و العدم .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۚ

و على هذا الأساس فإنَّ اظهار الأنبياء لعجزهم و مسكنتهم مقابل ساحة الله سبحانه ، و مشاهدتهم فاقتهم و فقرهم أمام الذات القدسيَّة ، و تعفيرهم سيماء التذلُّل في التراب في مناجاتهم ، لم يكن تصنعاً أو مُجامله ، بل كان حاكياً عن أمر حقيقيٍّ واقعيٍّ ، و لذلك فإننا لا نفرِّق من هذه الجهة بين الأنبياء و الأئمة و سائر الناس من لىَّ صنف أو طبقة ، فكلُّ ما يمتلكه أحد يمتلكه بالله و مع الله ، أمّا بدون الله فإنَّ الجميع لا يمتلكون شيئاً .

أساس عالم الوجود مبني على اختلاف الموجودات :

البحث الثاني : لنَّ أساس عالم الوجود مبنيٌّ على الاختلاف في الظهورات و التجليات ، و هذه المسألة كانت مشهودة في الفلسفة تحت عنوان (الواحد لا يصدُرُ مِنْهُ إِلَّا الواحدُ) وفي العرفان تحت عنوان (لَا

تَكَرَّرَ فِي التَّجَلِّي) من قبل العرفاء الأجلاء من الأولياء ذوى العزّة و المقدار ، كما كانت مورد بحث الحكماء الراشدين المسلمين .

اى أنّه يستحيل في جميع عالم الخلقة وجود موجودين متساويين من جميع الجهات . نعم ، يوجد بعض الموجودات المتشابهة في بعض الجهات ، ولكن وجود موجودين متشابهين متماثلين من جميع الجهات أمرٌ يمتنع تحقّقه .

و قد أقرّت العلوم التجريبية اليوم بهذا الأساس ، و أثبتت على ضوء القياس و الإستقراء و التجارب المستمرة بأنّه لا يوجد تشابه من جميع الجهات بين موجودين اثنين ، و لنّ لكلّ موجود مميّزات منحصرة به . حتّى أنّه لا يوجد بين أفراد الإنسان منذ خلقه ءادم أبى البشر الى يوم القيامة انسانان متشابهان من جميع الجهات ، لا من جهة الذاتيات و الصفات ، و لا من جهة الأعراض الزمانية و المكانية و الكيفية و الكمية و غيرها ، حتّى أنّه لا يوجد انسانان متشابهان في الخطوط الموجودة في بنان أصابعهما و في الخطوط المنقوشة على بدنيهما ، و يُستفاد من هذا الاختلاف في أمر تشخيص هويّة المجرمين .

بل لنّ خطوط الجلد الموجودة في لى نقطة من جسم الإنسان تختلف عن غيرها في جزء ءاخر من نفس الجسم ، فالخطوط الموجودة على أصابع الكفّ الأيمن مثلاً تختلف عن الخطوط الموجودة على أصابع الكفّ الأيسر ، و خطوط سبّابة اليد اليمنى تختلف عن خطوط بقيّة الأصابع في نفس الكف .

و لذلك ، و على أساس هذا الأصل الكلّي و الدائمى فإنّ كلّ فرد من أفراد الإنسان يختلف في تشكيل الخلقة عن الآخر ، و كما يتفاوتان في السيماء و الشكل و الشمائل ، فإنّهما يتفاوتان أيضاً الى حدّ كبير فى

الملكات و الغرائز .

و يلاحظ في مرحلة الطفولة أنّ بعض الاطفال يتفاوتون في مقدار السخاء و الايثار ، و في الحياء و العفة ، و في المتانة و الأصالة ، و في الشجاعة و الذكاء و الفهم و النباهة ، لذا فان الأنبياء و الأئمة يتفاوتون مع سائر البشر ، بل إنّ الانبياء في نفس الوقت الذى بُعثوا فيه بأجمعهم من قبل الله و أوكلت اليهم مهمّة ابلاغ الرسالة ، و مع اتّفاقهم على دعوة الناس الى مقام التوحيد ، و بعبارة مختصرة ، مع أنّهم كلّهم من مبدأ واحد و يرجعون الى مرجع واحد ، و ان مجيئهم و ذهابهم من مكان واحد و الى مكان واحد ، يشهد على ذلك قوله تعالى على لسان المؤمنين :

لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ

فإنهم في نفس الوقت يختلفون و يتفاوتون من جهة سعتهم الوجودية ، التى يتبعها تفاوتهم فى الغرائز و الصفات و المواهب الالهية .
 تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۚ
 و هذا الاختلاف واضح و مشهود فى هذه الآيات المباركة التى تشرح قصص الأنبياء و صفاتهم .

جميع الموجودات التى تحمل القوة و الاستعداد تتحرّك باتجاه الكمال :

البحث الثالث : إنّ هناك حركة نحو الكمال فى جميع الموجودات التى تمتلك قوّة و استعداداً ، و التى ينبغى ان توصل قابلياتها الى مرحلة

١- الآية ٢٨٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- صدر الآية ٢٥٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

الفعليّة . و نتيجة هذا السير و الحركة هى العبور من مراحل الكمون و الاستعداد و الوصول الى مراحل ظهور الكمال و الفعليّة . و هذه الحركة موجودة فى جميع موجودات عالم الطبع ، بما فيها الانسان و الحيوان و النبات و الجماد ، كما أنّ السير و العبور من المراحل البدائية الى المراحل النهائية أمر مشهود .

و لأنّ الأنبياء و الأولياء هم كسائر أفراد البشر غير مستثنين من هذه القاعدة ، فاننا نرى أنّ مراحل تكوينهم تبدأ فى هذا العالم من سلالة من ماء مهين ، ثم تطوى مراحل استعدادها و فعليّاتها المختلفة ، و تتخطى مراحل الاستعداد واحداً بعد آخر ، من نطفة و علقة و مضغة و تشكّل العظام و إكسائها باللحم ، ثم انشاء خلقه الروح و تبديل المادة الى النفس المجردة الناطقة ، فتستقبل مراحل الفعلية واحدةً بعد أخرى ، الى أن تصل الى مرحلة الفعلية النامة :

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ^١.

كما أنّ الأنبياء هم - من جهة السير و الحركة الطبيعية و الطبيّة و الماديّة - كسائر أفراد البشر فى حركة من الصّغر الى الكبر ، و من الضعف الى القوّة ، و من صغر الجسم الى كبره ، يدلّ عليه قوله تعالى :

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ^٢.

و قوله تعالى فى آية أخرى :

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَ اتَّرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ

١- الآية ٦ ، من السورة ٨٤ : الانشقاق .

٢- الآية ١١٠ ، من السورة ١٨ : الكهف .

مِمَّا تَشْرَبُونَ^١

سكما اتهم من وجهة نظر الكمالات الروحية و بروز القابليات و الغرائز و الصفات الباطنية و الملكات في سير و حركة ، شأنهم شأن سائر أفراد البشر ، حيث يقومون مدة عمرهم بإيصال تلك الجواهر المكنونة الى مرحلة الظهور و الفعلية النامة .

كمال كل موجود هو فعلية القابليات الموجودة فيه .

البحث الرابع : لَنَ حصيلة و نتيجة إيصال القابليات الى مرحلة الفعلية أمرٌ يتبع مباشرة للقابليات نفسها ، ففعلية الانسان مثلاً تابعة للقابلية الانسانية ، و فعلية الحيوان تابعة لقابلية ذلك الحيوان ؛ فالنعامة لن تصل في سيرها التكاملية أبداً الى فعلية صقر الصيد ، كما لَنَ فعلية و كمال الحروف لن تظهر قابليات الجمل و الحصان . فكل واحد من هذه الانواع المختلفة و الأصناف المتفاوتة من الحيوانات يتحرك في جهة تلك الغريزة و القابلية ، و يُظهر تلك القوة و القابلية الكامنة في ذاته ، و يوصلها الى مقام الظهور و البروز و الفعلية و التمامية .

على لَنَ جميع البشر ، كما اتهم من وجهة نظر المادة و الطبع و من جهة تكاملهم و تماميتهم في سير و حركة ، فاتهم إلزاماً في حركة و سير من وجهة نظر الكمالات الروحية ، و وفقاً للغرائز و الصفات التي وهبت لهم ، من أجل إكمال أنفسهم و إيصالها الى الفعلية المحضة . لذا يستحيل ان تكون فعلية فردين من افراد البشر متساوية و متماثلة من جميع الجهات . و هكذا فان عيسى لن يكون موسى ، و موسى لن يكون عيسى ، لكنهما في حال النبوة و في حال الموت غيرهما في حال النطفة أو في حال

١- الآية ٣٣ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

الجنين او في حال الطفولة . و عيسى على نبينا و ءاله و عليه السلام مع انه قد بُعث نبياً بينما كان طفلاً يتكلّم في المهد ، فائه في حال نزول الانجيل و بروز المعجزات الالهية و دعوة بنى اسرائيل ، من شفاء الأبرص و إحياء الموتي و شفاء العمى منذ ولادتهم ، كان غير عيسى الذى كان في بطن أمّه مريم ، و هكذا الحال بالنسبة الى باقى الأنبياء .

انتظار الله سبحانه و عالم الوجود من كلّ فرد هو كماله المطلوب لا كمال غيره :

البحث الخامس : ان انتظار عالم الواقع و الخارج من كلّ فرد هو كماله المطلوب لا كمال غيره ، فالعوالم المجردة و غير المجردة من العقول و الملائكة و الكواكب ، و سيّارات الشمس و القمر ، و الليل و النهار تتوقّع و تنتظر من كلّ فرد اىصال ثرواته الالهية على نحو حسن الى مرحلة الفعلية ، و أن لا يُهدرها أو يُفسدها ، و لا تنتظر منه أن ينال في مسيرته و حركته المراحل الفعلية لسائر الموجودات التى تختلف عنه في اعطاء الغرائز و الصفات الالهية :

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ^١

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا ^٢

انّ الله هو العدل المحض ، لذا فائه لا يظلم مثقال ذرة :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ^٣

لأنّ الظلم يعنى الانتظار و التوقّع من النملة و تكليفها بالقفز كما تفعل

١- الآية ٢٨٦ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- الآية ٧ ، من السورة ٦٥ : الطلاق .

٣- الآية ٤٤ ، من السورة ١٠ : يونس .

الجرادة ، فإن خالفت عُدَّتْ و عوقبت ، أما اذا انْتظِرَ من النملة ، حسب شعورها و إدراكها ، أن لا تسلب ظلماً حَبَّةً من فم نملة أصغر ، فإن هذا ليس بظلم ، و هذا التكليف تكليف بالحقِّ بمقدار القابليَّة و الفهم و الإدراك ، و متلائم و السعة و الطرقيَّة الوجوديَّة للنملة ، و هو عين العدل المحض .

و اذا ما كَلَّفَ الله أفراد الأُمَّة بمثل التكليف الذى كَلَّفَهُ للأنبياء فإنَّ هذا سيكون ظلماً ، اما اذا انتظر من كلِّ فرد من أفراد الأُمَّة ظهور و بروز استعداداتهم و قابلياتهم فى طيِّ طريق اللّٰه و لقاء حضرته ، و كَلَّفَهُم بالمجاهدة و الصبر و العبودية قدر سعتهم و ظرفيَّتهم فى متابعة ذلك النبيِّ ، فإنَّه لن يكون ظلماً أبداً .

الأنبياء يمتلكون العلم و الاختيار فى جميع أفعالهم ، معجزةً كانت أم غير معجزة :

البحث السادس : لَ الأنبياء يمتلكون علماً و اختياراً شأنهم شأن سائر افراد البشر ، و الافعال التى تصدر عنهم بعنوان المعجزة أو الوحي الالهى الذى يبلغونه للناس ، او فى مقام العبودية و الاستكانة عندما يعفِّرون وجوههم بتراب المذلة امام الله ، هى كلها نابعة من علمهم و اختيارهم ، فلا يصدر شىء منهم اضطراراً أو إجباراً ، لكنَّ التزكية و الطهارة و العلم و القدرة الفكرية و العملية تترشحَّ كُلُّها بإذن اللّٰه من كيانهم ، و يظهر - تبعاً لذلك - ءثار و خواص عجيبة و خارقة للعادة .

و الآن و قد أصبحت هذه الأبحاث واضحة و معيَّنة ، فقد اتَّضح كذلك كيفية خلقه الأنبياء و الأئمة عليهم السلام و كيفية عصمتهم .

فأولاً لَ ملكة العصمة فى الأنبياء التى تحذِّرهم من أى خطأ أو

معصية ، كانت اثر الموهبة الالهية ، و منسجمة كاملاً مع عنوان الوراثة

و التأييد بروح القدس ، لكنَّ هذه العصمة كانت كذلك فى المراحل الاولى

بعنوان القوة والقبليّة ، وهى معهم في كلّ الأحوال ، في النوم واليقظة والتجليّات ، وقد وصلت ؛ على اثر المجاهدة والعبوديّة التامة والابتلاءآت الثقيلة والامتحانات الكثيرة ؛ الى مرحلة الفعلية والتامة .

عيناً مثل سائر الملكات المكتسبة لأفراد البشر من العلوم والفنون والصنائع ، التى تبقى - بعد حصول الملكة - فى أعلى درجاتها لا تفصل عنهم أبداً ، وتبقى فى كلّ حال ملازمة لوجودهم .

ان فعلية و تامة هذه الملكة أمر اكتسابى ، لكن أصلها (أى القابلية والاستعداد) موهبة تختصّ مراحلها العالية بالأنبياء والأئمة ، كما وهبت سائر مراحلها لأولياء الله والمقربين له بحسب اختلاف درجاتهم .

ثانياً : ان ملكة العصمة فضيلة و شرف علمى اختيارى ، وهى من صفات نفوس الأنبياء ، و التى أصبحت على هذا الأساس سبباً فى كرامتهم وشرفهم ، و ميّزتهم عن سائر أفراد الأئمة ، عيناً مثل ملكة علم الطبّ والرياضيّات و الفلك التى تميّز عالم الطب و عالم الرياضيات و عالم الفلك عن سائر الأفراد ، مع هذا الاختلاف لّ ملكة العصمة هى ملكة الواصل الى الواقع و متن الحقيقة ، و العلم الحضورى بالنسبة الى الأشياء ، و الوصول الى حقيقتها الخارجيّة ، و بالطبع فكما لّ الخطأ و الذنب ليس له معنى فى متن الخارج ، فان الذنب و الخطأ كذلك لا معنى له لدى الأنبياء .

بيد لّ ملكة علم الطب و الرياضيات ليست كذلك ، فهى تمنح القوة فقط لنفس الطبيب و عالم الرياضيات فى مجال معيّن ، بحيث يمكنه الاستفادة من ملكته و اظهار اثارها فى الخارج فى لى لحظة يشاء .

ثالثاً : ان إعطاء هذه الملكة للأنبياء و عدم إعطائها لغيرهم ليس ظلماً ولا جوراً ، لأن الظلم سيكون حين يُنتظر من موجودٍ ما نضح اثار تزيد عن حدّ وجوده ؛ و الله سبحانه لم يكلف غير الأنبياء بالتكليف الذى حمّلهم

أيّاه حسب السعة الوجوديّة لنفوسهم لئلاّ يكون ذلك ظلماً ، بل أنّه كلّف كلّاً حسب قابليّته و استعداده ، علماً بأنّ قابليّة و استعداد الموجودات ليسا خارجين عن إحاطة قدرة الله بل هي بإعطائه ، و كلام ابن سينا (مَا جَعَلَ اللَّهُ الْمُسْمِشَةَ مُسْمِشَةً بَلْ أَوْجَدَهَا) له دلالة جيّدة على ذلك .

و بناءً على هذه فإنّ الخالق العليم قد خلق الموجودات ، و من جملتها أفراد الإنسان مختلفة متفاوتة دون أيّ ذرّة من الاستحقاق الذاتي ، و ابتلى كلّاً منها في طريق تكاملها ، و من جملتهم الأنبياء الذين ابتلاهم - بسبب تفوّق قابليّتهم التي وهبها الله لهم على قابليّات الآخرين - بابتلاءات أعجب و امتحانات أصعب و مجاهدات أشقّ ، فسلكوا هذا الدرب و طووا هذا السبيل بقدّم الطاعة و الاختيار . و أخيراً ، و لأنّ الكمال مختصّ بالله وحده ، فإن مرجع الكمالات من الأنبياء أو غيرهم ، الى الله وحده .^١

لقد تجلّى الله سبحانه و تعالى في الأنبياء تجلياً تاماً ، و تجلّى في نبيّ الاسلام تجلياً أتمّ و أكمل ، كما تجلّى في سائر الموجودات تجليّات متفاوتة ، و لا يعنى هذا أنّ الله أخرج شيئاً من وجوده فأدخله فيهم ، أو أنّه

١- يقول الشيخ محمد جواد مغنّية في كتاب (الشيعة و التشيع) ، طبع مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبناني - بيروت ، حى ٣٧ و ٣٨ : العصمة قوّة تمنع صاحبها من الوقوع في المعصية و الخطأ ، بحيث لا يترك واجباً و لا يفعل محرّماً ، مع قدرته على الترك و الفعل ، و الّا لم يستحقّ مدحاً و لا ثواباً ، أو قل : إنّ المعصوم قد بلغ من التقوى حدّاً لا تغلب عليه الشهوات و الأهواء ، و بلغ من العلم في الشريعة و أحكامها مرتبةً لا يخطئ معها أبداً .

و يقول في التعليقة : قال الإمام يصف نفسه : مَا وَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ ، و لا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ ؛ وَكُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرِ أَمِّهِ . يَرْفَعُ لِي كُلَّ يَوْمٍ نَمِيراً مِنْ أَخْلَاقِهِ ، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْدَاءِ بِهِ . و هذا معنى العصمة عند الشيعة ، لا كذب في قول و لا زلّة في فعل .

سلب ملكية صفة و ملكة ما فنقلها اليهم .

لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ^١

فلا يوجد في عالم التوحيد موجود غير ذاته الأحدية المقدسة ، له بنفسه شيء يستحق المدح ، لا الأنبياء و لا غيرهم ، بل لَنَ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ اللَّهِ وَ راجع اليه .

لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَ الْآخِرَةِ^٢

الحمد و الشكر مختصان بذات الخالق المقدسة في النشئة الاولى وفي النشئة الاخرى .

بلى ، هذا المدح و الفضيلة و الشرف في عالم الكثرة و ظهور الموجودات على حسب اختلاف الكثرات و الاعتبارات ، و من الواضح أن الأنبياء هم أفضل و أشرف جميع الموجودات لأن سعتهم الوجودية أكثر من جميع الموجودات ، و لأن إدراكهم و علمهم أعلى ، و مجاهدتهم و ابتلاء آتهم أكثر ، وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ لَا وَ آخِرًا وَ ظَاهِرًا وَ بَاطِنًا .
كانت هذه مطالب بيناها في شأن العصمة الكلية للأنبياء .

إثبات عصمة أمير المؤمنين عن طريق اتحاد نفسه مع نفس رسول الله .

ان أمير المؤمنين له حكم نفس رسول الله بمقتضى النصوص الصريحة ، و لذلك فإن قلبه المبارك له ملكة العصمة القدسية . و الروايات الواردة في اتحاد روحه عليه السلام مع روح رسول الله صلى الله عليه و ءاله ، عن طريق أهل السنة كثيرة ، و نذكر بعضها كنماذج :

١- الآية ٣ و ٤ ، من السورة ١١٢ : الإخلاص .

٢- الآية ٧٠ ، من السورة ٢٨ : القصص .

يقول القندوزي الحنفى :

و فى المناقب عن على بن الحسن ، عن على الرضا ، عن ابيه ، عن أمير المؤمنين على عليهم التحية والسلام .

قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَطَبَنَا فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ قَدْ أُقْبِلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللَّهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ ، وَذَكَرَ فَضْلَ شَهْرِ رَمَضَانَ ثُمَّ بَكَى ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يُبْكِيكَ ؟

فَقَالَ : يَا عَلَى ! أَبْكَى لِمَا يُسْتَحَلُّ مِنْكَ فِي هَذَا الشَّهْرِ ؛ كَأَنِّي بِكَ وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُصَلِّيَ ، وَقَدْ انْبَعَثَ أَشَقَى الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، شَقِيقٌ عَاقِرٌ نَاقَةٌ صَالِحٌ ، يَضْرِبُكَ ضَرْبَةً عَلَى رَأْسِكَ ، فَيَخْضِبُ بِهَا لِحْيَتَكَ .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ ذَلِكَ فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِي ؟

قَالَ : فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِكَ .

قُلْتُ : هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ .

ثُمَّ قَالَ : يَا عَلَى ! مَنْ قَتَلَكَ فَقَدْ قَتَلَنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَكَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي ، وَمَنْ سَبَّكَ فَقَدْ سَبَّنِي ، لَأَنْتَ مِنِّي كَنَفْسِي ، رُوحُكَ مِنْ رُوحِي ، وَطَيْتُكَ مِنْ طَيْتِي ، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَنِي وَخَلَقَكَ مِنْ نُورِهِ ، وَأَصْطَفَانِي وَأَصْطَفَاكَ ، فَاخْتَارَنِي لِلنُّبُوَّةِ وَاخْتَارَكَ لِلْإِمَامَةِ .

فَمَنْ أَنْكَرَ إِمَامَتَكَ فَقَدْ أَنْكَرَ نُبُوَّتِي . يَا عَلَى أَنْتَ وَصِيِّي ، وَوَارِثِي ، وَأَبُو وَلَدِي ، وَزَوْجُ ابْنَتِي ، أَمْرُكَ أَمْرِي ، وَنَهْيُكَ نَهْيِي ، أَقْسَمُ بِاللَّهِ الَّذِي بَعَثَنِي بِالنُّبُوَّةِ ، وَجَعَلَنِي خَيْرَ الْبَرِيَّةِ ، إِنَّكَ لَحُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَآمِينُهُ عَلَى سِرِّهِ وَخَلِيفَةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ .^١

و قد وردت فى هذه الرواية فقرات صريحة فى اتحاد روح على عليه

١- (ينابيع المودة) ، ص ٥٣ .

السلام المقدسة مع روح النبي، و أكثر ما يستحق التأمل و الاهتمام قوله صلى الله عليه و ءاله : فَمَنْ أَنْكَرَ إِمَامَتَكَ فَقَدْ أَنْكَرَ مُبُوتِي .

اذ يتضح منها أنّ مسألة الإمامة هي روح الإسلام و حقيقة الإيمان ، الى الحد الذي يصبح الإنسان بدونها عارياً عن الإيمان و منكراً للنبوّة ، و لو اعترف ءالاف المرات بالنبوّة .

يقول في (السيرة الحليّة) : قَالَ أَبُو بَكْرٍ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَ سَلَّمَ يَقُولُ : عَلَيَّ مِنْ بِيْعَتِي مِنْ رَبِّي ^١ .

و يقول القندوزي : عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءاله : عَلَيَّ مِنْ بِيْعَتِي مِنْ رَبِّي ، وَ هُوَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ بَعْدِي . رواه صاحب الفردوس ^٢ .

كما يروى عن سلمان قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءاله : لِكُلِّ نَبِيٍّ صَاحِبٌ سِرٌّ وَ صَاحِبُ سِرِّي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . رواه صاحب الفردوس ^٣ .

و يقول أيضاً : عَلَى عَلَيْهِ السَّلام رفعه عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءاله : خُلِقْتُ أَنَا وَ عَلِيٌّ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ ^٤ .

و يروى كذلك عن أنس قال : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ جَالِساً مَعَ عَلِيٍّ فَقَالَ : أَنَا وَ هَذَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ . رواه صاحب الفردوس ^٥ .

و يروى كذلك عن عبد الله بن مسعود قال : قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

١- (السيرة الحليّة) ، ج ٣ ، ص ٤٠٠ .

٢- (ينابيع المودة) ، ص ٢٣٤ .

٣- (ينابيع المودة) ، ص ٢٣٥ .

٤- (ينابيع المودة) ، ص ٢٥٦ .

٥- (ينابيع المودة) ، ص ٢٣٩ .

[وإيثاره] و سلم : أَنَا وَ عَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ وَالنَّاسُ مِنْ أَشْجَارٍ شَتَّى . رواه صاحب الفردوس ^١ .

و يقول أيضاً : يروى صاحب كتاب (مودة القربى) عن ابن عباس رضي الله عنه رفعه : خُلِقْتُ أَنَا وَ عَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ وَالنَّاسُ مِنْ أَشْجَارٍ شَتَّى .

و في رواية عنه : خَلَقَ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ أَشْجَارٍ شَتَّى وَ خَلَقَنِي وَ عَلِيًّا مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَأَنَا أَصْلُهَا ، وَ عَلِيٌّ فَرْعُهَا ، وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ ثِمَارُهَا ، وَ أَشْيَاءُ غَنَّا وَ رَأَقُهَا ، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِهَا نَجَى ، وَ مَنْ زَاغَ عَنْهَا هَوَى ^٢ .

إيثار و تضحية أمير المؤمنين لرسول الله :

لقد لازم أمير المؤمنين عليه السلام النبي في جميع المراحل ، و كان يفديه بروحه و لا يتوانى دقيقة عن الإيثار ، و كان كفار قريش يعذبون المسلمين كثيراً حتى أجبروهم على الهجرة الى الحبشة بإذن رسول الله .

و قد ذهب الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله مرة الى الطائف لطلب النصرة و المساعدة و استنصرهم قائلاً : لا أكره أحداً منكم ، إنما أريد

١- (ينابيع المودة) ، ص ٢٣٦ . و أورد هذه الرواية أيضاً في بحار الأنوار ج ٣٨ ، ص ٣٠٩ الطبعة الحروفية ، عن (كشف الغمّة) ، عن (المناقب) للخوارزمي . و أوردتها في ص ٣٢٤ و ٣٢٥ عن (الأمل) للشيخ الطوسي ، أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال : يا عليّ خلق الله الناس من أشجار شتى ، و خلقتي و أنت من شجرة واحدة أنا أصلها و أنت فرعها ، فطوبى لعبدٍ تمسك بأصلها و أكل من فرعها .

كما أورد في ج ٣٥ عن (بحار الأنوار) ص ٣٥ نقلاً عن (عيون أخبار الرضا) أنه عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه و آله لعليّ [عليه السلام] : الناس من أشجار شتى و أنا و أنت من شجرة واحدة

٢- (ينابيع المودة) ، ص ٢٥٦ .

ان تمنعوني ممّا يُراد بي من القتل حتى ابلغ رسالات ربّي^١ .
 فلم يقبله أحد ، و قعدوا له صفّين ، فلمّا مرّ رسول الله رجوه
 بالحجارة حتّى أدموا قدمه ، ثم أخرجوه من الطائف .
 و لمّا توفّي أبوطالب اجترأت قريش على رسول الله ، فلم يعودوا
 يتورّعون عن إصابته بكلّ أنواع الأذى ، و كانوا يرجمون بيته يوماً
 بالخشب و الحجارة ، و يهيلون عليه التراب في الطريق .
 و عاد رسول الله الى بيته يوماً و اثار التراب على رأسه و وجهه ،
 فكانت احدى بناته تغسل التراب عن رأسه و وجهه و تبكى فيقول لها :
 لا تبكى يا بُنَيَّة ! إنّ الله مانعٌ أباك !^٢ .
 ثم إنّ الانصار قدموا الى رسول الله و ءامنوا به و بايعوه على أنّه اذا
 ذهب اليهم في المدينة لحفظوه ممّا يحفظون منه أنفسهم و أولادهم ،
 و لمنعوه من عدوّه .
 و من جانب آخر فقد رأى كفّار قريش بأنّهم عجزوا عن الوقوف
 أمام دعوته بمختلف الحيل ، و لو بالوعد و الوعيد ، و إنّ عدد المسلمين كان
 يتزايد يوماً بعد آخر ، حتّى صمّموا في النهاية أن يجتمعوا في دار الندوة
 ليأخذوا قرارهم النهائي في شأنه ، فاجتمع منهم في دار الندوة أربعون رجلاً
 مجرّباً ، ثم صمّموا على قتل النّبى بعد مناقشات طويلة ، فاختاروا من كلّ
 قبيلة رجلاً للإشتراك في قتله ، على أن يضربوه ضربة رجل واحد فيضيع
 دمه بين القبائل ، و لا يستطيع بنو هاشم ان يحاربوا كلّ هذه القبائل فيقنعوا
 بالدية ، فلا يضيرهم أن يسلموا الدية الى بنى هاشم .

١- (تاريخ يعقوبى) ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

٢- (تاريخ الطبرى) ، ج ٢ ، ص ٨٠ .

لقد اتفقوا على موعد معين ، فاختاروا من كل قبيلة رجلاً شجاعاً ليتسللوا الى بيت الرسول ليلاً دون أن يعلم بهم أحد فيقطعونه بسيوفهم إرباً إرباً .

و كانوا جادين في قرارهم غاية الجدّ ، و كتموا ذلك عن الجميع فلم يخبروا به أحداً ، و عندما حلّ الموعد المعين ، و كانوا يتأهبون لاقترام منزل النبي ليلاً ، نزل عليه جبرئيل فأطلعه على الأمر :

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ^١ .

و أمره أن يترك عليّاً أمير المؤمنين مكانه و يهاجر الى المدينة ، فأرسل الرسول الأكرم الى عليّ و قال له : يا عليّ ، ... انه قد اوحى الى جبرئيل عن ربّي عزّوجل أن أهجر دار قومي ، و انه أمرني ان ءامرك بالمبيت على مضجعي لتخفي بمبيتك عليهم أثري ، فما أنت قائل أو صانع ؟ فقال عليّ عليه السلام : أو تسلمنّ بمبيتي هناك يا نبيّ الله .

قال نعم .

فتبسّم عليّ عليه السلام ضاحكاً ، و أهوى الى الأرض ساجداً شكراً لما نبأه رسول الله صلى الله على و ءاله من سلامته . فكان عليّ عليه السلام أوّل من سجد لله شكراً ، و أوّل من وضع وجهه على الأرض بعد سجده من هذه الأمة . روى ابن الأثير بإسناده عن ابن اسحق قال : و أقام رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم ، يعنى بعد أن هاجر أصحابه الى المدينة ، ينتظر محيىء جبرئيل عليه السلام و أمره له أن يخرج من مكّة ، بإذن الله له في الهجرة الى المدينة ، حتّى اذا اجتمعت قريش فمكرت بالنبيّ و أرادوا

١- الآية ٣٠ ، من السورة ٨ : الأنفال .

برسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم ما أرادوا ، أتاه جبرئيل عليه السلام وأمره أن لا يبيت في مكانه الذي يبيت فيه . فدعا رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم علي بن أبي طالب فأمره أن يبيت على فراشه و يتسجى ببرد له أخضر ففعل ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم على القوم و هم على بابه ^١ .

و روى كذلك بإسناده عن أبي رافع قال : و خلفه رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم ، يعنى خلف علياً يخرج اليه بأهله ، و أمره أن يؤدي عنه أمانته . و وصايا من كان يوصى اليه ، و ما كان يؤتمن عليه من مال ، فأدى علياً أمانته كلها ، و أمره أن يضطجع على فراشه ليلة خرج و قال : إن قريشاً لم يفقدوني ما رأوك ! فاضطجع على فراشه ، و كانت قريش تنظر الى فراش النبي صلى الله عليه [وآله] و سلم فيرون عليه علياً فيظنونونه النبي صلى الله عليه [وآله] و سلم ، حتى اذا أصبحوا رأوا عليه علياً فقالوا : لو خرج محمد لخرج بعلي معه ، فحبسهم الله بذلك عن طلب النبي حين رأوا علياً .

نزف الدم من أقدام علي عند الهجرة الي المدينة :

و أمر النبي صلى الله عليه [وآله] و سلم علياً أن يلحقه بالمدينة ، فخرج علي في طلبه بعدما أخرج اليه أهله ، يمشى الليل و يكمن النهار حتى قدم المدينة ، فلما بلغ النبي صلى الله عليه [وآله] و سلم قال : أدعوا لي علياً قيل : يا رسول الله لا يقدر أن يمشى ، فأتاه النبي صلى الله عليه [وآله] و سلم ، فلما رآه اعتنقه و بكى رحمة لما بقدميه من الورم و كانتا تقطران دماً ، فتفل النبي صلى الله عليه [وآله] و سلم في يديه و مسح بهما

١- (أسد الغابة) ، ج ٤ ، ص ١٨ و ١٩ .

رجليه و دعا له بالعافية ، فلم يشتكهما حتى اشهد [عليه السلام] .^١

مباهاة الله ملائكته بإيثار أمير المؤمنين رسول الله بنفسه :

يقول اليعقوبى ^٢ ، و يروى القندوزى كذلك ^٣ قال : روى الثعلبى فى تفسيره ، و ابن عقبة فى (ملحمته) ، و أبو السعادات فى (فضائل العترة الطاهرة) و الغزالى فى (إحياء العلوم) بسندهم المتصل عن ابن عباس ، و عن أبى رافع ، و عن هند بن أبى هالة ربيب رسول الله و أمه خديجة أم المؤمنين ، أنهم قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه و ءاله : أوحى الله إلى جبرئيل و ميكائيل : إني قدء أخيت بينكما و جعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه ، فأياكما يؤثر أخاه عمره ؟

فكلاهما كره الموت ، فأوحى الله إليهما : إنيء أخيت بين على و لى و بين محمد نبي ، فأثر على حياته لنبي ، فرقد على فراش النبي يقيه بمهجته . اهبطا إلى الأرض و اخطاه من عدوه . فهبطا فجلس جبرائيل عند رأسه و ميكائيل عند رجله ، و جعل جبرائيل يقول : يخ بخ من مثلك يابن أبى طالب ، والله عز وجل يباهى بك الملائكة ، فأنزل الله :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ^٤ .

١- (أسد الغابة) ، ج ٤ ، ص ١٩ .

٢- (تاريخ اليعقوبى) ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

٣- (ينابيع المودة) ص ٩٢ ؛ كما ورد أيضاً فى (تذكرة الخواص) للسبط ابن الجوزى ص ٢١ ، و فى (أسد الغابة) ج ٤ ، ص ٢٥ ، و رواه ابن الصباغ فى (الفصول المهمة) ص ٣٣ عن الغزالى .

٤- الآية ٢٠٧ ، من السورة ٢ : البقرة .

و جاء في الروايات أن الرسول صلى الله عليه و آله توجه عند خروجه من مكة الى غار (ثور) مباشرة فمكث فيه ثلاثة أيام ، فجاءت العنكبوت فנסجت بيتاً على فوهة الغار ، و جاءت حمامة فوضعت بيضها في باب الغار ، ثم جاء الكفار يقتفون آثار الرسول صلى الله عليه و آله حتى و صلوا باب الغار ، لكن الله صرفهم عن الدخول الى الغار .

و في ليلة المبيت اجتمع الرجال من العشائر المختلفة يريدون قتل الرسول صلى الله عليه و آله ، و أرادوا الدخول الى بيته ليقطعوه إرباً إرباً ، غير أن أبا لهب لم يسمح لهم بالدخول و قال لن في هذه الدار نساء بنى هاشم و بناتهم فاقعدوا بنا على الباب نحرس محمداً في مرقده لئلا يفلت من أيدينا .

و أصبح الصباح فاقتحم الرجال البيت فوثب على رافعاً البردة الخضراء عن وجهه ، فقالوا له : أين محمد ؟ فقال : أجعلتموني عليه رقيباً ؟ ثم اتهم لما أدركوا خروج النبي صاروا في صدد البحث عنه و ملاحقته ، فسان الله نبيه بحوله و قوته .

يقول السبط بن الجوزي : قال أحمد في الفضائل : حدثنا يحيى بن حماد ، حدثنا أبو عوانه ، حدثنا أبوبكر بن محمد ، عن عمرو بن ميمون قال : إني لجالس الى ابن عباس إذ أتاه رهط يقعون في على بن أبي طالب عليه السلام ، فرد عليهم ابن عباس قال :

لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و آله] و سَلَّمَ ، لَبَسَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَوْبَهُ وَ نَامَ عَلَى فِرَاشِهِ ، وَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و آله] و سَلَّمَ . إلی أن قال :

وَ بَاتَ الْكُفَّارُ يَرْمُونَ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْحِجَارَةِ وَ هُوَ يَتَضَوَّرُ قَدْ لَفَّرَ أَسَهُ فِي الثَّوْبِ إِلَى الصَّبَاحِ .

الى أن يقول : قال ابن عباس : أنشدني أمير المؤمنين شعراً قاله في تلك الليلة :

وَقَيْتُ بِنَفْسِي خَيْرَ مَنْ وَطَأَ الْحَصَا
وَمَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَبِالْحِجْرِ
رَسُولُ إِلَهٍ خَافَ أَنْ يَمْكُرُوا بِهِ
فَنَجَّاهُ ذُو الطَّلُولِ الْعَلِيِّ مِنَ الْمَكْرِ
وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْغَارِ آمِنًا
مُوقًّا وَفِي حِفْظِ الْإِلَهِ وَفِي سِتْرِ
وَبِتَاءٍ رَاعِيهِمْ وَمَا يُثْبِتُونَنِي
وَقَدْ وَطَّئْتُ نَفْسِي عَلَى الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ^١
وَأَنشَدَ حَسَّانَ فِي لَيْلَةِ الْمَبِيتِ عَلَى مَا نَقَلَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ :
مَنْ ذَا بَخَاتِمِهِ تَصَدَّقَ رَاكِعًا
وَأَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ إِسْرَارًا
مَنْ كَانَ بَاتَ عَلَى فِرَاشِ مُحَمَّدٍ
وَمُحَمَّدٌ أُسْرَى يَوْمَ الْغَارِ
مَنْ كَانَ فِي الْقُرْءَانِ سُمِّيَ مُؤْمِنًا
فِي تِسْعِ آيَاتٍ تُلِينُ غَزَارًا^١

ثم يقول ابن الجوزي : وقد أشار في هذا البيت الى قول ابن عباس :
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةً فِي الْقُرْءَانِ إِلَّا وَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمِيرُهَا وَ
رَأْسُهَا^٢.

١- (تذكرة الخواص) ، ص ٢١ .

٢- (تذكرة الخواص) ، ص ١٠ .

و يقول السيد الحميرى :

وَسَرَى بِمَكَّةَ حِينَ بَاتَ مَبِيتُهُ
وَمَضَى بِرَوْعَةٍ خَائِفٍ مُتَرَقِّبٍ
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ هَارِباً مِنْ شَرِّهَا
بِاللَّيْلِ مُكْتَتِماً وَلَمْ يَسْتَصْحَبِ
بَاتُوا وَبَاتَ عَلَى الْفِرَاشِ مُلَفَّقاً
فَيَرُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَذْهَبِ^١

١- (ديوان الحميرى) ، ص ٩٣ ؛ وقد ذكر في التعليقة من ص ٩٣ الى ص ١٠٠

الدَّرْسُ السَّابِعُ

مَنْصِبُ الْأَمَلِ عَلَى مَنْصِبِ النَّبُوَّةِ

بسم الله الرحمن الرحيم
و صلى الله على محمد و ءاله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين
و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بِنَايَتِنَا يُوقِنُونَ^١.
منصب الإمامة أعلى من النبوة :

ينبغي أن نبحث في هذه الآية المباركة عن المراد بالإمام ؟ و عن
المراد بالهداية بأمر الله ؟ و عن العلاقة بين تعليل الإمامة بالصبر و الإيقان
بآيات الله و بين الإمامة نفسها ؟
و لتوضيح معنى الإمام نقول :

ان الله تعالى يقول :

وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ
إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ^٢.

و الإمامة التي أعطاها الله لإبراهيم كانت في زمن شيخوخته ، و بعد
أن اجتاز جميع الاختبارات و من أهمها ذبح ولده اسماعيل ، فقد كان الله

١- الآية ٢٤ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

٢- الآية ١٢٤ ، من السورة ٢ : البقرة .

سبحانه وهبه على الكبر اسماعيل واسحق :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ^١.

ولأن إبراهيم عليه السلام حين أُعطى الإمامة فائه سألها لذريته ، لذا فإن هذا الإعطاء و هذا السؤال حصلا حين امتلك ذرية في كبره . فهذا السؤال و الطلب لم يكن له من محلّ - في ظاهر الحال - قبل حصوله على الذرية ، و مع يأس إبراهيم و انقطاع أمله فيها . إذ كيف يمكن للإنسان اليأس من الحصول على الذرية أن يسأل الله الإمامة لذريته من بعده ؟ لقد كان عليه ان لا يتعرّض الى هذا الطلب ، أو كان عليه على الأقل أن يقول : **إِنْ رَزَقْتَنِي ذُرِّيَّةً ؛ إِنْ تَعَلَّقَتْ إِرَادَتُكَ بَعْدَ هَذَا - مَعَ يَأْسِي - فَأَعْطَيْتَنِي أَوْلَاداً** فهل ستجعلهم أئمة أم لا ؟

و الدليل على يأس إبراهيم عليه السلام من الحصول على ذرية هو آيات القرآن الكريم :

وَنَبَّهَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمِ بَشَرْتُمْ * قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِّنَ الْقَانِطِينَ^٢.

و كانت سارة زوجة إبراهيم يائسة هي الأخرى من إنجاب الأولاد :
وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ

١- الآية ٣٩ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

٢- الآية ٥١ - ٥٥ ، من السورة ١٥ : الحجر .

عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ^١.

و يتّضح لدينا جيداً من هذه الآيات القرآنية أنّ إبراهيم كان يائساً من الحصول على الأولاد في آخر عمره ، لذا فإنّ سؤاله الإمامة لأولاده كان حين وهبه الله الإمامة ، و ذلك في سني الشيخوخته بعد أن وهبه الله اسماعيل و اسحق .

و نستنتج - بناءً على ذلك - أنّ إمامة إبراهيم كانت بعد نبوّته ، و بعد أن أصبح شيخاً كبيراً ، أي أنّ الإمامة تختلف عن النبوة ، بل هي مقام أعلى و أسمى .

و على هذا الأساس فإنّ المراد بثاية إنّني جاعلك للنّاس إماماً . أنّي سأجعلك قدوة يقتدى بها أفراد البشر في القول و العمل ، فالإمام إذن هو الذي يجب ان يتبعه الناس في أفعالهم و أقوالهم و سلوكهم ، و في النهاية في أفكارهم و عقائدهم و ملكاتهم .

و من هنا أخطأ بعضُ المفسّرين فتصوّروا أنّ المراد بالإمامة في هذه الآية الشريفة هو نفسه معنى النبوة ، لأنّ الناس يقتدون بالنبيّ في دينهم ، ثمّ أوردوا هذه الآية دليلاً على ذلك : وَ مَا رُسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ^٢.

و هو توهم لا محلّ له أبداً ، لأنّ لفظ (إماماً) في قوله تعالى (إنّني جاعلك للنّاس إماماً) وقعت مفعولاً تانياً لجاعلك ، و لأنّ (جاعل) اسم للفاعل لا يعمل اذا كان المعنى دالّاً على الماضي و لا يأخذ مفعولاً ، لذا فإنّ

١- الآية ٧١ - ٧٣ ، من السورة ١١ : هود .

٢- الآية ٦٤ ، من السورة ٤ : النّساء .

من المسلّم أنه سيكون بمعنى الحال و الاستقبال . أى : يا ابراهيم ائى سأجعلك إماماً . و لأنّ ابراهيم فى هذا الخطاب كان فى منصب النبوة ، لذا فان من المسلّم أن الإمامة هى غير النبوة . و إضافة الى ذلك فان الخطاب نفسه : (إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) كان وحياً من السماء ، و لا يمكن أن يحصل دون وجود منصب النبوة ، لذا فان ابراهيم عليه السلام كان نبياً قبل منصب الإمامة ، و لّ الإمامة لن تكون هنا بمعنى النبوة .

لقد كانت هذه الإمامة بعد الإبتلاءات التى مرّ بها ابراهيم ، و من جعلتها ذبحه لولده اسماعيل ، و كانت عند كبر ابراهيم و شيخوخته ، فقد مرّ عليه - قبل ان يُرزق أولاداً - الملائكة الذاهبون لإهلاك قوم لوط ، و كان ءانذاك نبياً مرسلًا ، و نتيجة لذلك فان إمامته كانت بعد درجة النبوة .

و علّة خطأ هؤلاء المفسّرين كثرة استعمال لفظ الإمام فى غير الموارد الصحيحة بتسامحات عرفية ، بحيث حصل تصوّر بائه يمكن إطلاق إسم الإمام على كلّ من يمتلك رئاسة أو تفوّقاً ؛ و لأنّ النبى مطاع و متفوّق ، فقد عبّر عنه بالإمام .

لذا فقد فسّر البعض لفظ (إماماً) فى هذه الآية المباركة بالنبىّ ، و البعض بالرسول ، و البعض بالمطاع ، و فسّره البعض الآخر بالوصىّ و الخليفة و الرئيس و القائد ، و جميعها غير صحيح ، لأنّ معنى (النبىّ) من النبأ ، و النبأ بمعنى الخبر . فالنبىّ هو الذى يخبره الله سبحانه فى باطنه ، و هو غير معنى الإمام . كما ان (الرسول) هو المكلف بوظيفة التبليغ ، و لا يستلزم ذلك أن يعتبره الناس قدوةً فيتبعونه فى الظاهر و الباطن ، أو يسمعون كلامه فيعملون به ، و لذلك فان معنى الرسول هو أيضاً غير الإمام .

أمّا (المطاع) فهو الإنسان الذى له من الاحترام و الحيشية بحيث يُطيعه الناس ، و هو من لوازم النبوة و الرسالة و مختلف عن معنى الإمامة .

وَأَمَّا (الخليفة) و (الوصى) فمعناها النيابة لا الإمامة ؛ كما أن (الرئيس) يُقال للشخص الذى يكون مصدراً للحكم ، و يستلزم ذلك أن يكون مطاعاً ، و ليس لإى منها معنى الإمام .

الإمام من مادة لَمْ يَوْمٌ ، و هو - كما ذكر - كونه قدوة ، و الامام هو مطلق مَنْ يجب على الناس متابعته و النظر اليه و مشايعته فى جميع أثاره فى جميع الشؤون ، من الحركة و السكون ، النوم و اليقظة ، الظاهر و الباطن ، القول و العمل ، و الأخلاق و الملكات و ...

لذا نرى لَ هذا المعنى للإمام فى هذه الآية المباركة فى غاية المناسبة و الحسن ، أن يخاطب الله تعالى إبراهيم فيقول : بعد أن جعلتك فى مقام النبوة و الرسالة ، اى فى مقام تلقى الوحي السماوى و إبلاغه الى أفراد الإنسان ، فقد جعلتك الآن قدوة يجب ان يتبعوا شؤونها فى جميع الجهات . لكننا لو وضعنا أياً من تلك المعانى السابقة المذكورة فى مكان الإمام لما صحَّ المعنى ، فليس صحيحاً أن نقول : اتى جاعلك - بعد امتلاك مقام النبوة و الرسالة - نبياً أو رسولاً أو خليفة أو وصياً أو رئيساً .

و ينبغى أن يُعلم أيضاً أن مخالفة معنى الإمام لمعانى هذه الالفاظ ليس مجرد عناية لفظية و اعتبارات كلامية ، بل هو اختلاف فى حقائق معانيها ، ففى معنى الإمام حقيقة لا يمتلكها لى من تلك المعانى .

و لننصرف الآن و قد اتضح المطلوب الى تفسير الآية المباركة :

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بَايِتِنَا يَؤْقِنُونَ .

حيث يلاحظ هنا أن الله تعالى جعل مع كلمة الأئمة صفة تلازمها ، ألا

و هى الهداية بأمر الله ، كما أن هذه النكتة مشهودة فى آية اخرى فى قصّة

سيدنا إبراهيم : وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ نَافِلَةً وَ كُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ *

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَاةِ

وَإِتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ^١.

و يُلاحظ هنا أنه قد ذكر صفة ملازمة لكلمة الأئمة ، أو بعبارة أخرى ان جملة (يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) جملة تفسيرية لمعنى الأئمة . لذا يجب ان يكون للإمامة عنوان الهداية أولاً ، و ان هذه الهداية هى بأمر الله ثانياً ؛ أى لنّ الامام هو الذى يهدى الناس بأمر الله . و المراد بأمر الله هو الذى ذكر حقيقته فى هذه الآية :

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ
مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ^٢.

و فى الآية : وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ^٣.

حيث يُستفاد من هذه الآيات أنّ أمر الله واحد لا تعدّد له ، اضافةً الى أنّه ليس له زمان أو مكان ، و ثانياً أنّ أمره هو إرادته ، فبمجرّد إرادته فانّ الموجود سيرتدى لباس الوجود ، و ذلك نفسه هو ملكوت كلّ موجود . وحين يريد الله إيجاد موجود بأمره ، أى ملكوت ذلك الموجود ، فأنّه يوجدّه .

و من الجلّى أنّ الأمر هو نفس الجانب الثبوتى مقابل الخلق الذى يمثّل جانب التغيّر و الزوال و الفساد . قال تعالى : أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ
تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ^٤.

و بناءً على هذا فانّ الموجودات لها وجهتان : وجهة خلقية ، و هى التى يُشاهد فيها التغيّر و الفساد و التدريج و الحركة ، و وجهة الأمر التى

١- الآية ٧٢ و ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٢- الآية ٨٢ و ٨٣ ، من السورة ٣٦ : يس .

٣- الآية ٥٠ ، من السورة ٥٤ : القمر .

٤- الآية ٥٤ ، من السورة ٧ : الأعراف

سيكون فيها الثبات و عدم التغيّر ، و تلك الوجهة الأُمريّة تسمّى بالملكوت ، و هى حقيقة و واقعيّة الموجودات ، و التى تقوم بها الوجهة الخلقية . و مع التغيرات و التبدّلات المشهودة فى هذه الوجهة فإنّ تلك الوجهة لا تتغيّر و لا تتبدّل .

هداية الموجودات على يد الإمام :

و على هذا فإنّ الأئمة الذين يهدون بأمر الله لهم تعامل مع ملكوت الموجودات ، فهم يهدون كلّ موجود الى الله و يوصلونه من وجهته الأُمريّة - و ليس فقط من وجهته الخلقية - الى كمال الله تعالى .

إنّ قلب الموجودات بيد الإمام ، فهو يهديهم الى الله تعالى من جهة السيطرة و الإحاطة بقلوبهم ؛ فالإمام - إذاً - هو الذى يهدى الناس الى الله ، يهديهم بالأمر الملكوتى الموجود و الملازم له دائماً ، و هذه فى الحقيقة هى الولاية بحسب الباطن فى أرواح و قلوب الموجودات ، نظير ولاية كلّ فرد من أفراد البشر عن طريق باطنه و قلبه بالنسبة الى أعماله ، و هذا هو معنى الإمام .

أمّا فى الآية الشريفة فإنّ الله تعالى يبيّن علّة منح هذا المنصب بهذه الكيفيّة :

لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بَايَاتِنَا يُوقِنُونَ^١

أحدها الصبر فى طريق الله ، و المقصود بالصبر الإستقامة و الثبات فى جميع الامتحانات و الابتلاءات التى تعرض للعبد فى طريق العبوديّة و الوصول الى المراد ، و الآخر أن يكونوا قد وصلوا الى مرحلة اليقين قبل ذلك .

١- الآية ٢٤ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

و نرى في آيات من القرآن المجيد أنها تعدُّ علامةً اليقين كشفَ الحجب الملكوتية ، فصاحب اليقين هو الذى يدرك حقائق الموجودات و ملكوتها ، و المحجوب هو الذى يغطى قلبه ستار يمنعه من مشاهدة الأنوار الملكوتية ، مثل قوله تعالى :

وَ كَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ^١.

و هذه الآية تشير الى ان إرادة ملكوت السموات و الأرض كان مقدّمة لإفاضة اليقين على قلب ابراهيم ، و من هنا فإنّ اليقين لن ينفصل عن مشاهدة الانوار الملكوتية .

و كقوله تعالى : كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ^٢.

لو كنتم تعلمون كعلم أصحاب اليقين ، لرأيتم الجحيم و لشاهدتم حقيقة جهنّم أى ملكوت الأفعال القبيحة و معصية الله و النفس الأمّارة .

و كقوله تعالى : كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ * وَ مَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ^٣.

و يُستفاد من الآيات المتقدّمة أنّ المقربين - أى أصحاب اليقين - هم الذين ارتبطوا بالملكوت و بحقائق العالم ، و اجتازت قلوبهم جانب المشاهدة الخلقية ، فلم يعودوا محجوبين عن الله ، لا يحجبهم عنه الحجاب القلبى من المعصية و الجهل و الشكّ و النفاق ، و اولئك هم أصحاب اليقين الذين يرون العليين و الحقائق الملكوتية للأبرار و الأخيار ، كما أنهم

١- الآية ٧٥ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٢- الآية ٥ و ٦ ، من السورة ١٠٢ : التكاثر .

٣- الآية ١٨ - ٢١ ، من السورة ٨٣ : المطففين .

يشاهدون الحقيقة الملكوتية للأشرار و أهل المعاصي التي هي (الجحيم) .
 و بناءً على هذا فإن الإمام و هو الهادي الى أمر ملكوتي ، يجب أن
 يكون قد وصل حتماً الى مقام اليقين و انكشف له عالم الملكوت ، و صار
 متحققاً بكلمات الله ؛ و كما ذكر فإن الملكوت هو الوجهة الباطنية
 للموجودات ، لذا فإن هذه الآية الشريفة وَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا^١
 تشير بوضوح الى أن كل ما يتعلق بأمر الهداية ، أى القلوب و الأعمال ، فإن
 باطنها و حقيقتها بيد الإمام ، و وجهتها الملكوتية و الأمرية حاضرة بمشهد
 من الإمام لا تخفى عنه لحظة واحدة .

تحقق أمير المؤمنين بمقام الإمامة و الولاية :

إن الألقاب التي منحها رسول الله صلى الله عليه و ءاله لأمر المؤمنين
 عليه السلام تدل جميعها على حصول أمير المؤمنين على هذه الدرجة .
 فقد روى القندوزي أن رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلم قال :
 يَا عَلِيُّ أَنْتَ تَبْرَأُ ذِمَّتِي وَأَنْتَ خَلِيفَتِي عَلَى أُمَّتِي^٢ .
 و يجب ان نعلم أن ابراء الذمة ليس المفهوم منه ان يقوم
 أمير المؤمنين بقضاء دين رسول الله بأدائه بعض الدراهم مثلاً ، بل ان
 المقصود به هو الوفاء بالعهد الذي قطعته لله في أداء الرسالة و إيصال الحق
 الى الناس و هدايتهم الى الله ،

فيا علي ! أنت الذي تؤدى هذا الدين ، أنت الذي عقدت العزم على
 إنجاز هذا الأمر ، فأنت تتعامل بواسطة نفسك القدسية مع قلوب و أرواح
 الناس من الباطن و مع أفعالهم و أقوالهم في الظاهر .

١- الآية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٢- (ينابيع المودة) ، ص ٢٤٨ .

و نظير هذا المعنى الروايات الدالة على : يَا عَلِيُّ أَنْتَ تَقْضِي دِينِي ؛
و هذه المجموعة من الروايات كثيرة أيضاً .

يروى ابن الجوزي بإسناده عن أحمد بن حنبل ، بسنده المتصل عن
أنس يقول :

قلنا لسلمان الفارسي : سَلْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] و سَلِّمْ
مَنْ وَصِيَّهُ ؟

فسأل سلمانُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم ، فقال : مَنْ كَانَ
وَصِيَّ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ؟ فقال : يُوشَعَ بْنِ نُونٍ ، قال : إِنَّ وَصِيَّيَّ وَ وَارِثِي
وَ مُنْجِزَ وَعْدِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلام .

ثم يقول : و الحديث الذي ذكرناه رواه أحمد في الفضائل و ليس في
إسناده ابن زياد و لا هذه الزيادة ، فذاك حديث و هذا حديث ^١ .

حديث أنس في ولاية أمير المؤمنين :

يروى أبو نعيم الحافظ الاصفهاني و شيخ الاسلام الحموي عن أنس
قال :

قال رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] و سَلِّمْ : يَا أَنْسُ ! اسْكُبْ لِي
وُضُوءاً ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ .

ثُمَّ قَالَ : يَا أَنْسُ ! وَلِّ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَ سَيِّدَ الْمُسْلِمِينَ ، وَ قَائِدَ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ ، وَ خَاتَمَ الْوَصِيِّينَ .

قَالَ أَنْسُ : قُلْتُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَ كَتَمْتُهُ ، إِذْ جَاءَ
عَلِيٌّ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا يَا أَنْسُ ؟

فَقُلْتُ : عَلِيٌّ ، فَقَامَ مُسْتَبْشِرًا فَاعْتَنَقَهُ ، ثُمَّ جَعَلَ يَمْسَحُ عَرَقَ وَجْهِهِ

١- (تذكرة الخواص) ، ص ٢٦ .

بَوَجْهِهِ ، وَ يَمْسَحُ عَرَقَ عَلَى بَوَجْهِهِ .
 قَالَ : عَلَى : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتَكَ صَنَعْتَ شَيْئًا مَا صَنَعْتَ بِي مِنْ
 قَبْلُ .
 قَالَ : وَ مَا يَمْنَعُنِي وَ أَنْتَ تُؤَدِّي عَنِّي ، وَ تَسْمِعُهُمْ صَوْتِي ، وَ تَبَيِّنُ
 لَهُمْ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ بَعْدِي .^١

و يروى أبو نعيم الحافظ بسنده عن أبي برزة الأسلمي قال :
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَ ءَالِهِ] وَ سَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَهْدَ
 إِلَيَّ عَهْدًا فِي عَلِيٍّ ، فَقُلْتُ : يَا رَبِّ بَيِّنْهُ لِي
 فَقَالَ : اسْمَعْ ! فَقُلْتُ : سَمِعْتُ ! فَقَالَ : إِنَّ عَلِيًّا رَايَةُ الْهُدَى ، وَ إِمَامُ
 أُولِيائِي ، وَ نُورٌ مِّنْ أَطَاعَنِي ، وَ هُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَلَزَمْتُهَا الْمُتَّقِينَ ^٢ ، مَن أَحَبَّهُ
 أَحَبَّنِي ، وَ مَن أَبْغَضَهُ أَبْغَضَنِي ، فَبَشَّرُهُ بِذَلِكَ ، فَجَاءَ عَلِيٌّ فَبَشَّرْتُهُ ،
 فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، وَ فِي قَبْضَتِهِ ، فَإِنْ يُعَذِّبْنِي
 فَبَذْنِي ، وَ لَنْ يَتِمَّ لِي الَّذِي بَشَّرْتَنِي بِهِ ، فَاللَّهُ أَوْلَى بِي .
 قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَ ءَالِهِ] وَ سَلَّمَ : اللَّهُمَّ أَجِّلْ قَلْبَهُ ، وَ اجْعَلْ ^٣ رِبْعَهُ

١- (حلية الأولياء) ، ج ١ ، ص ٦٣ ؛ و (فرائد السمطين) ج ١ ، ص ١٤٥ و (مطالب
 السؤل) ، ص ٢١ عن الحافظ أبي نعيم في حليته ؛ و أورده كذلك في (غاية المرام) ، ص ١٦ ،
 إلا أنه ينقله في ص ١٨ عن ابن شاذان عن طريق العامة بأسناده عن أنس باختلاف في التعبير ،
 و يقول في ذيله : أنت متى تؤدى عني و تؤدى ديني و تبلغ رسالاتي . فقال علي عليه السلام :
 يا رسول الله ! أما أنت تبلغ الرسالة ؟ قال : بلى ولكن تعلم الناس من بعدى من تأويل القرآن
 ما لا يعلمون و تخبرهم بذلك . و سنبحث هذا الحديث بالتفصيل في المجلد الثاني من
 (معرفة الإمام) .

٢- إشارة للآية الكريمة ٢٦ في سورة الفتح : (وَ أَلَزَمَهُمْ كَلِمَةَ اتَّقَوْى وَ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَ
 أَهْلَهَا) .

٣- و ورد في (مطالب السؤل) بلفظ (و جعله ربيع الإيمان) .

الإيمان .

فَقَالَ اللَّهُ [تَبَارَكَ وَتَعَالَى] : قَدْ فَعَلْتَ بِهِ ذَلِكَ ، ثُمَّ إِنَّهُ رُفِعَ إِلَى أَنَّهُ سَيُخْصَهُ بِالْبَلَاءِ بِشَيْءٍ لَمْ يَخُصَّ بِهِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي .

فَقُلْتُ : يَا رَبُّ ! أَخِي وَصَاحِبِي .

فَقَالَ تَعَالَى : إِنَّ هَذَا شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ ، إِنَّهُ مُبْتَلَى وَ مُبْتَلَى بِهِ .^١

مَكْرُ قَرِيشَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :

يروى القندوزي الحنفى عن كتاب (المناقب) للموفق بن أحمد الخوارزمي ، و الحمويى باسناده عن أبى عثمان النهدي عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ،

قال : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَهْلِهِ] وَ سَلَّمَ ، فَأَتَيْنَا عَلَى حَدِيقَةٍ فَاعْتَنَفَنِي وَ أَجْهَشَ بَاكِئًا ، فَقُلْتُ : مَا يُبْكِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

فَقَالَ : أَبْكِي لِضَغَائِنَ فِي صُدُورِ قَوْمٍ لَا يُبْدُونَهَا لَكَ إِلَّا بَعْدِي .
فَقُلْتُ : فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِي ؟ (أى غير مُبْتَلٍ بهوى النفس ، فَأَرْجَحُ فِي انتقامى منهم هوى نفسى و الرئاسة على رضا الله ، و هل سأكون على هذا النهج و الصراط المستقيم؟)

فَقَالَ : فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِكَ .^٢

و روى فى ديوانه أشعاراً له عليه السلام ، قال : و فى ديوانه كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ :

١- (حلية الأولياء) ، ج ١ ، ص ٦٦ و ٦٧ ؛ و نقلها فى (مطالب السؤل) ص ٢١ عن

حلية الأولياء .

٢- (ينابيع المودة) ، ص ١٣٤ .

تَلَكُمُ قُرَيْشٌ تَمَنَّانِي لَتَقْتُلَنِي
 إِمَّا بَقِيتُ فَإِنِّي لَسْتُ مُتَّخِذًا
 قَدْ بَايَعُونِي فَلَسْتُ يُوَفُّوهُمُ بَيْعَتِهِمْ
 فَلَا وَرَبِّكَ مَا بَزُّوا وَلَا ظَفَرُوا
 أَهْلًا وَلَا شَيْعَةً فِي الدِّينِ إِنْ فَجَرُوا
 وَمَا كَرُونِي فِي الْأَعْدَاءِ إِنْ مَكَرُوا^١

١- (ينابيع المودة)، ص ١٣٥.

الدَّرْسُ الثَّامِنُ

الْوَرْدَةُ التَّيَكُونِيَّةُ لِلْإِمَامِ نَابِيَةِ الزَّمَانِ أَلَيْهِ السَّلَامُ

عَلَى نَفْسِهِ سِرِّ السَّعَادَةِ وَالْإِشْقِيَاءِ

بسم الله الرحمن الرحيم
و صلى الله على محمد و آله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين
و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينِهِ فَأُولَئِكَ
يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا .

ان كل موجود من الموجودات الخارجيّة ، و حتّى أفعال الإنسان ، له
وجهتان ، وجهة ظاهريّة مشهودة و محسوسة تُدعى بالوجهة الخلقية
و الملكيّة ، و وجهة باطنيّة غير مشهودة و لا محسوسة تُدعى بالوجهة
الأمريّة و الملكوتية .

و الوجهة الملكوتية و الأمريّة هي التي تظهر بواسطتها الوجهة
الخلقية و الملكيّة ، مثل إرادة الانسان التي يقوم بواسطتها بفعل الأفعال في
الخارج .

و الإمام هو الذي يستطيع هداية البشر الى الله من الوجهة الملكوتية ،
و تلك هي الهداية بالأمر و ليست زمانية و لا مكانية . و الآية الشريفة :

١- الآية ٧١ و ٧٢ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

وَجَعَلْنَهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا^١ تَعْرِفَ أَوْلَئِكَ الْفُرَادَ .

و تشير هذه الآية إلى أن كل ما يرتبط بأمر الهداية ، أى القلب و العمل ، فإن باطنه و حقيقته بيد الإمام ، و ذلك الباطن و الحقيقة - وهى الوجهة الأمرية لتلك الأمور - حاضر دوماً عند الإمام لا يغيب عنه . و هذا المقام يستلزم الاطلاع على أسرار الملكوت الذى سيكون اليقين من لوازمه . و بناءً على هذا فإن مقام الإمامة أشرف من النبوة .

مقام الإمامة أشرف من النبوة :

ورد فى (الكافى) عن الإمام الصادق عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيًّا ، وَ إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا ، وَ إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلًا ، وَ إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَامًا ، فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ الْأَشْيَاءَ قَالَ : إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا .

قَالَ : فَمِنْ عِظَمِهَا فِى عَيْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : وَ مِنْ ذُرِّيَّتِى ؟ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ .

قَالَ : لَا يَكُونُ السَّفِيهُ إِمَامَ التَّقَى^٢ .

و ذلك لأن معنى النبوة إتصال القلب بعالم الملكوت ، و تلقى الوحي من جبرئيل ، و هذا المعنى أقوى فى الرسول ، كما أنه سيكون هناك أيضاً مشاهدة الملائكة و ملائكة الوحي ، لكنه يمكن فى نفس الوقت أن لا يكون لكل منهم سيطرة على ملكوت بنى آدم أو إحاطة بالقلوب ليسيروا بهم الى الكمال و الى مقامهم الواقعى ،

١- الآية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٢- (أصول الكافى) ، المجلد الاول ، ص ١٧٥ .

فمقام الأنبياء و المؤمنين و العلماء هو مقام الإرشاد و التبليغ و إراءة الطريق فقط .

قال الله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ^١.

و تبين هذه الآية دائرة مأموريتهم ، و هي مجرد البيان و الدلالة على الطريق ، و أمّا الإضلال و الهداية فهي بيد الله تعالى و ليس بيد الأنبياء منها شيء ، خلافاً للإمام الذى يهدى بنفسه بإذن الله . يقول فى هذا الشأن : وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ^٢.

و قال أيضاً : فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ^٣.
نعم هذا كله دلالة على الطريق و ليس منصباً للإمامة .

معنى الإمام :

و بناءً على هذا فإن أقوال و أحاديث الفقهاء هي فقط من باب نقل الرواية و بيان الحكم ، لا من جهة حجّية الرأى و الفعل و القول ؛ و من الخطأ أن يُطلق عليهم اسم الإمام . فالإمام هو الذى صار له - بوصوله الى مقام اليقين و كشف الملكوت - الهيمنة على عالم الأمر ، و صار باطن الأفعال مكشوفاً له ، و صار بإمكانه - بسيطرته على الباطن - أن يهدى القلوب الى المقاصد و الغايات .

و الأمر هو الإذن الذى تصدر المعجزة بواسطته من الأنبياء العظام ،

١- الآية ٤ ، من السورة ١٤ : ابراهيم .

٢- الآية ٣٨ ، من السورة ٤٠ ، المؤمن .

٣- الآية ١٢٢ ، من السورة ٩ : التوبة

فأحيوا به الموتى و قاموا بالأعمال الخارقة للعادة .

لقد قال عيسى بن مريم ، على نبينا و ءاله و عليه السلام ، لبنى اسرائيل :

أَنْتِ قَدْ جِئْتِكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُتْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُونُ وَ مَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ^١.

ففى هذه الآيات تعدّ خوارق العادات المنسوبة الى عيسى بن مريم منوطة بإذن الله تعالى ، و لإنّ إذن الله ليس إجازة و أمراً اعتبارياً و ترخيصاً خارجاً عن الملكوت ، لذا فقد اعطى عيسى بن مريم قوّة التصرف فى أمر الملكوت ، بحيث يتصرّف فى ملكوت الأشياء بإرادته الملكوتية ، و بحيث يستطيع تغيير ماهية الأشياء ، فصار يحيى الموتى و يُبرئ الأبرص و الأعمى دون أسباب و دون إعداد المقدمات فى الخارج .

يجب أن يكون لدى الإمام قوّة ملكوتية فى الأمور :

و ينبغى ان يوجد لدى الأئمة عليهم السلام هذه القوّة حتماً ، ليكونوا قدوةً للبشر من جانب الظاهر و الباطن ، و ليقودوا الأمة الى كمال التكوين و التشريع .

و الأئمة الأطهار لا يهدون فقط الأفراد الصالحين فيوصلونهم الى كمالهم ، بل انهم يهدون الأشقياء و أصحاب الأعمال السيئة أيضاً و يوصلونهم الى كمالهم .

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ

١- الآية ٥٠ ، من السورة ٣ : ءال عمران .

يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلُمُونَ فِتِيلًا * وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ¹.

و هذه الآية تبين أولاً أنّ الناس جميعاً في كلّ زمان و مكان يمتلكون
إماماً ، و ذلك لأنّ الآية تقول على نحو الإطلاق و العموم بأننا سندعوا جميع
افراد البشر يوم القيامة بإمامهم ، لذا فإنّ هناك إماماً في كلّ زمان و مكان هو
مربّي أمّته ، و بواسطته يدخل السعداء الجنّة ، و الأشقياء النار ، فهناك فئة من
الأمّة هم أصحاب اليمين ، أى أهل السعادة ، و فئة أخرى عمى و هم
أصحاب الشقاء ، و المراد بهذه الفئة أصحاب الشمال ، حيث صرّحت بذلك
بعض آيات القرآن :

فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ².
وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ³.

و هاتان الفئتان هما أصحاب اليمين و أصحاب الشمال الموجودون
في كلّ مجتمع من المجتمعات ، والذين سيصلون الى هذه المراحل بواسطة
إمامهم ، لذا فإنّ المراد بهاتين الفئتين جميع افراد الأمّة باستثناء الإمام . أمّا اذا
أردنا أن نقسم البشر بحيث يكون الامام ضمنهم ، فإنّ علينا بتقريب آخر
أن نقسم الناس الى ثلاثة أقسام :

الجماعة الاولى : المقربون .

و الثانية : أهل السعادة و أصحاب اليمين .

و الثالثة : أهل الشقاء و أصحاب الشمال .

١- الآية ٧١ و ٧٢ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٢- الآية ٧ و ٨ ، من السورة ٨٤ : الإنشقاق .

٣- الآية ١٠ و ١١ ، من السورة ٨٤ : الإنشقاق .

فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا
أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي
جَنَّاتِ النَّعِيمِ ١

هؤلاء الذين سبقوا في السير الى الله ، اولئك المقربون من ساحة الله تعالى ، و الذين تخطوا الحساب و الكتاب و العرض و السؤال و الميزان و الصراط و جهنم ، فصاروا من المقربين الى الله ، و اختاروا السكنى في حرم الأمن و الأمان الالهى .

فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ٢

و هؤلاء هم الذين اجتازوا هذه العقبات في الدنيا ؛ و في الوقت الذي كان البشر فيه منهمكين في شهواتهم النفسانية ، كان المقربون مشغولين في تصفية حساباتهم ، و كانوا يناجون ربهم سرّاً و علانية ، و سيكون الأئمة عليهم السلام بالتأكيد ضمن هذه الفئة .

أما أصحاب اليمين فهم الصالحون الذين كانت أعمالهم موافقة للعقل و لأمر الإمام ، فلا يبتعدون عن الحقّ و الصدق و الأمان و العبادة و الكسب و الأعمال الحسنة ، لذا فإن هؤلاء هم أهل الجنة الذين سيُعطون كتاب أعمالهم يبينهم كناية عن السعادة و الفوز و النجاة ، و لكن باعتبار أنهم لا يزالون محجوبين بالحجب القلبية ، فلم يتمكنوا أن ينسوا غير الخالق بشكل كامل ، و أن يطاءوا بأقدامهم على عالم الباطل و زينة الدنيا الخادعة ، فأنهم يجب أن يُحاسبوا ، كما ل مقامهم و منزلهم ليس مقام و محلّ المقربين .

١- الآية ٨ - ١٢ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٢- الآية ٥٥ ، من السورة ٥٤ : القمر .

أما أصحاب الشمال فهم الذين لم يعملوا وفق أوامر العقل والأنبياء ، فواجهوهم ولم يتورعوا عن ظلم أنفسهم ، وهؤلاء هم أهل الفسق والفجور والخيانة والكذب والجناية ، وبالطبع فأنهم سيُعطون كتابهم بشمالهم كنايةً عن العذاب والظلمة والشقاء وجهنم .

ولأنّ ظهور و بروز هذه الخيرات والبركات في المؤمنين ، وهذا الفجور والخينات في الفاسقين قد كان بسبب ظهور ولاية الإمام ، لذا فإنّ جميع افراد الأئمة يذهبون بواسطة إمامهم الى الجنة أو الى جهنم .

لذا فقد ورد في روايات كثيرة : **عَلِيٌّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ**^١ . وهذه الروايات لم ترد عن طريق أهل البيت عليهم السلام فقط ، بل أنّه قد روى عن طريق العامة أيضاً روايات من هذا القبيل .

و سنأتى بثلاث معانٍ لهذه الروايات هي الاخرى مترتبة (إحداها على الأخرى) ، أي اننا سنفسرها في ثلاث مراحل متفاوتة من وجهة نظر ظهورها وخفائها .

معنى الروايات الواردة في أنّ علياً قسيم الجنة والنار :

الأول من وجهة نظر العمل ، وهو أنّ أمير المؤمنين كان له مقام الولاية والإمامة من قبل الله ، و فعله و قوله حجة ، أي ان جميع أفراد البشر يجب أن يقتدوا به في جميع شؤون حياتهم .

و بناءً على ذلك ، فإنّ كلّ من يتبعه سيكون حقاً من أهل الصدق والصفاء والعبادة والتسليم والجهاد والجود والإيثار ، و من الواضح أنّ شخصاً كهذا هو من أهل الجنة ، وذلك لأنّ الجنة هي ظهور الأفعال والملكات الحميدة في العوالم الأخرى ، و كلّ من يرفض دعوته عليه

١- (ينابيع المودة) ، ص ٨٣ - ٨٦ .

السلام ولا يقتدى بسيرته ، و ينصرف الى الكذب و الخيانة و التطفيف في الميزان و أكل الربا و التكاثر في الأموال و عبادة الشهوة و السعى وراء المنفعة و اتباع الهوى و الإعراض عن ذكر الله ، فإن من المسلم أنه سيكون من أهل النار ، لأن جهنم هي ظهور الملكات و الأفعال القبيحة في تلك العوالم .

و ما أوجب تفرق هاتين الفئتين و انفصلهما عن بعضهما هو أمر و نهى مقام الولاية ، الذي قبلته فئة و رفضته أخرى . لذا فانه سيكون قسيم الجنة و النار ، شأنه شأن معلم يربى تلاميذه و يعلمهم الدروس ، فهناك فئة من التلاميذ يحدون و يسعون فيتعلمون تلك الدروس ، و فئة أخرى تتكاسل و تأبى التعلم ، فيقوم المعلم بإنجاح الفئة الاولى و بإفشال و إبقاء الفئة الأخرى في مكانها السابق ، و كما أن من الصحيح أن نقول أن المعلم رفع فئة الى مقام أعلى و حبس أخرى في مكانها السابق ، فإن من الصحيح كذلك أن نقول : عَلَى قَسِيمِ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ .

الثاني : من وجهة نظر الحب و البغض ، لأن نتيجة روح العمل هي المحبة ، لذا فإن الذين يفتقرون هذه المحبة ، بل أولئك الذين يربون - و العياذ بالله - بغضه (عليه السلام) في قلوبهم ، هم في غاية البعد عن الحقيقة و الواقع ، فالذي يحب شيئاً سيكون مسلماً أن يحب إثارة أيضاً ، و الذين يحبون أمير المؤمنين سيحبون أفعاله و أقواله و سيرته ، و ستكون لهم محبة لهذه الآثار . و على العكس فإن أعداءه و مبغضيه سيُبغضون سيرته و سنته ، لذا فإن أعماهم ستكون طبعاً أعمالاً خسنة و سيئة .

و لأن الأفعال الحسنة توجد المحبة و الصفاء و النور في الإنسان ، كما ان الافعال القبيحة توجد ظلمة القلب و قساوته ، فإن محبى أمير المؤمنين - بناءً على ذلك - هم طبعاً أصحاب الحقيقة و الصفاء و المحبة ، قلوبهم

أطيب وأكثر نوراً ، وأنفسهم أخف ، بينما أعداء أمير المؤمنين هم بالطبع بعيدون عن الحقيقة والصفاء ، قلوبهم مظلمة وأنفسهم متعبة وثقيلة وأرواحهم مكدسة .

ولأن نتيجة الأعمال الحسنة هي ذلك الصفاء والنورانية والمحبة لله ، كما أن نتيجة الأعمال القبيحة هي الظلمة والقساوة والإعراض عن الله ، لذا فإن أمير المؤمنين بسبب تقسيم الناس إلى فئتين محب ومبغض قد قسمهم إلى فئتين : أهل الجنة وأهل النار .

يروى القندوزي الحنفى عن أبي الصلت الهروي قال : قال المأمون لعليّ [بن موسى] الرضا عليه السلام : أخبرني عن جدك أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بأيّ وجه هو قسيم الجنة والنار ؟

فقال له الرضا : ألم ترو عن آبائك عن عبدالله بن عباس أنه قال :
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ يَقُولُ : حُبُّ عَلِيٍّ
إِيمَانٌ وَبُغْضُهُ كُفْرٌ .
فقال : بلى .

فقال الرضا عليه السلام : فقسمة الجنة والنار إذا كانت على حبه وبغضه فهو قسيم الجنة والنار .

فقال المأمون : لَا أَبْقَانِي اللَّهُ بِعَدَاكَ إِنَّكَ وَارِثُ جَدِّكَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ .

قال أبو الصلت الهروي : فلمّا انصرف الرضا عليه السلام إلى منزله أتيتُهُ ، فقلتُ له :

يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ما أحسن ما أجبت به أمير المؤمنين !

فقال الرضا عليه السلام : يا أبا الصلت ! إنما كلمته من حيث هو ،

وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ آبَائِهِ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا عَلِيُّ أَنْتَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ تَقُولُ لِلنَّارِ : هَذَا لِي وَهَذَا لَكَ^١.

كما يروى الخوارزمي الموفق بن أحمد المكي بإسناده عن نافع ، عن
ابن عمر قال :

قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم لعليّ : إِذَا كَانَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ يُوتَى بِكَ يَا عَلِيُّ بِسَرِيرٍ مِنْ نُورٍ ، وَ عَلَيَّ رَأْسِكَ تَاجٌ ، قَدْ أَضَاءَ
نُورُهُ وَ كَادَ يَخْطَفُ أَبْصَارَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ ، فَيَأْتِي النَّدَاءُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ جَلَّ
جَلَالُهُ : أَيْنَ وَصِيُّ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ؟
فَتَقُولُ : هَا أَنَاذًا !

فَيُنَادِي الْمُنَادِي : أَدْخِلْ مَنْ أَحَبَّكَ الْجَنَّةَ وَ أَدْخِلْ مَنْ عَادَاكَ فِي النَّارِ
فَأَنْتَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ^٢.

كما يروى ابن المغازلي الشافعي بسنده عن ابن مسعود قال :

قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم : يَا عَلِيُّ إِنَّكَ قَسِيمُ
الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، أَنْتَ تَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ وَ تَدْخُلُهَا أَحِبَّاءُكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ^٣.
معنى الوسيلة :

و يروى الحمويني في (فرائد السمطين) عن أبي سعيد الخدري قال :
كان رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم يقول : إذا سألتكم الله
عز وجل فاسألوه لي الوسيلة^٤ ، فسئل عنها فقال : هي درجة في الجنة ، وهي

١- (ينابيع المودة) ، ص ٨٥ و ٨٦ .

٢- (ينابيع المودة) ، ص ٨٣ .

٣- (ينابيع المودة) ، ص ٨٤ .

٤- و لذا يُستحب أن نقول عند الشروع بالصلاة قبل تكبيرات الافتتاحية: اللهم ربّ

ألف مرقاة ، ما بين المرقاة الى المرقاة بسير الفرس الجواد شهراً ، مرقاة زبرجد الى مرقاة لؤلؤ الى مرقاة ياقوت الى مرقاة زمرد الى مرقاة مرجان الى مرقاة كافور الى مرقاة عنبر الى مرقاة يلجوج الى مرقاة نور ، وهكذا من أنواع الجواهر ، فهي من بين درجات النبيين كالقمر بين الكواكب ، فينادى المنادى : هذه درجة محمد خاتم الأنبياء ، وأنا يومئذٍ متّزراً بريطة من نور ، على رأسى تاج الرسالة و إكليل الكرامة ، وعلى بن أبى طالب أمامى و بيده لوائى و هو لواء الحمد مكتوبٌ عليه : لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، عَلَىٌّ وَلِيُّ اللَّهِ ، وَأَوْلِيَاءُ عَلَىٍّ الْمُفْلِحُونَ الْفَائِزُونَ بِاللَّهِ ، حتى اصعد أعلى درجة منها و علىّ أسفل منى بدرجة و بيده لوائى ، فلا يبقى يومئذٍ رسولٌ و نبيٌّ و لا صديقٌ و لا شهيدٌ و لا مؤمنٌ الا رفعوا أعينهم ينظرون الينا و يقولون : طوبى لهذين العبدین ، ما أكرمهما على الله ، فينادى المنادى يسمع نداء جميع الخلائق :

هذا حبيب الله محمد و هذا ولى الله علىّ ، فيأتى رضوان خازن الجنة فيقول : أمرنى ربى أن آتيك بمفاتيح الجنة فأدفعها اليك يا رسول الله ، فأقبلها أنا فأدفعها الى أخى علىّ ، ثم يأتى مالك خازن النار فيقول : أمرنى ربى أن آتيك بمقاليد النار فأدفعها اليك يا رسول الله ، فأقبلها أنا فأدفعها الى أخى علىّ ، فيقف علىّ على عجرة جهنم و يأخذ زمامها بيده و قد علا زفيرها و اشتدّ حرّها ، فتنادى جهنم : يا علىّ ذرنى فقد أطفأ نورك لهبى ! فيقول لها علىّ : ذرى هذا وليى و خذى هذا عدوى ، فلجهنم يومئذٍ أشدّ مطاوعة لعلىّ فيما يأمرها به من رقب أحدكم لصاحبه ، و لذلك كَانَ عَلَىّ

➤ هذه الدعوة التامة و الصلوة القائمة ببلّغ محمدًا صلى الله عليه و ءاله الدرجة و الوسيلة و الفضل و الفضيلة

قَسِيمُ النَّارِ وَالْجَنَّةِ^١

ثالثاً: من وجهة نظر إشعاع نور الولاية و ظهور الحقائق و المخفّيات و بروز القابليّات ، و هذه المرحلة تحتاج إلى الدقّة و التأمل ؛ و لإيضاح هذه المرحلة نذكر مقدّمة بعنوان مثال و شاهد :

من المعلوم و المشهود أنّ الشمس تباعد في فصل الشتاء عن الأرض ، فتفقد الأرض بعض حرارتها ، و تفقد جميع أثارها و تجلّياتها ، إذ تصبح كثيفة باردة و تفقد أثارها الحيّاتيّة فليس فيها ظهور لخواص الموجودات او أثارها ، فالأشجار يابسة لا ورق فيها و لا ثمر ، كأئها أخشاب يابسة مغروسة في الأرض ، تقف أشجار التفاح و الكمثرى و الرمان و المشمش و الجوز و الأشجار غير المثمرة كلّها سواءً و في رديف واحد ، لا يميّزها عن بعضها شيء ، إذ ليس فيها من ظهور أو فعليّة ، كما أنّ قابليّاتها الكامنة غير مرئيّة ، لذا فإنّها تقف في منزلة واحدة و تُعدّ أخشاباً يابسة لا ضرر و لا نفع لها .

كما أن الأوراد و الشقائق ذابلة كلّها و منكمشة بلا أثر ، فلا ورد الياسمين و البنفسج يفوح بالعطر ، و لا النباتات ذات الرائحة الكريهة تبعث برائحتها ؛ لا نداوة هناك في الوردة الحمراء ، و لا أوراد الدفلى ذات الرائحة النفاذة لها أثر من ذلك .

البلابل و طيور الكنارى و الصقور و العقّبان قد انسحبت الى أعشاشها و أوكارها ، و الأفاعي و العقارب قد سبتت و رقدت هي الاخرى

١- (ينابيع المودّة) ، ص ٨٤ ؛ و قد ذكر المرحوم الكليني ما يقرب من ثلثي هذه

الرواية في (روضة الكافي) ، ص ٢٤ - ٢٥ ضمن خطبة الوسيلة لأمر المؤمنين عليه السلام التي أنشأها بعد سبعة أيّام من رحلة رسول الله في المدينة حول غصب الخلافة و إظهار مقاماته .

مع الطيور البديعة الرائعة و تهاوت في جحورها و أعشاشها متناقلة بلا حسّ .

و ما ان تقترب الشمس بأشعتها التي تغمر العالم مع حلول الربيع ، و تُرسل الى الأرض بأشعتها الباعثة على النشاط و الحياة ، فإنّ تلك القابليات الكامنة ستصل الى مرحلة الفعلية ، فتبدأ شجرة التفاح بإرسال أغصانها و أوراقها و ثمارها الحلوة الحمراء المعطرة مزينةً جوّ الحديقة ، و يظهر من شجرة الكمثرى هذه الفاكهة الخاصة ، و تُعلن شجرة المشمش بمنظرها الزاهي المحبّب و ثمارها الصفراء العطرة اللذيذة ميزتها الوجودية عن سائر ما يجاورها في الحديقة .

كما أنّ الاشجار غير المثمرة و الاشجار ذات الثمار المرة أو الفجة الحامضة و الضارة مثل بعض أشجار الغابات ستُعلن عن تفاهة شخصيتها و أثرها ، و تطأطئ رؤسها أمام الأشجار الاخرى فليس لها بُعدٌ من مجال للغرور و الاستكبار و التعالي .

كما ان الطيور و البلابل ستنشغل و تهتمك بالتغريد في فضاء الحداثق ، بينما تحلّق الصقور و العقبان باحثةً عن الجيف ، و تظهر الأفاعى و الجرذان و العقارب و تُعلن عن وجودها متحركةً بين الصخور و الأنهار .

و كلّ ذلك بتأثير أشعة الشمس و ظهور دفئها الباعث على الحياة و النشاط ، فحين تبرغ الشمس فإنّ كلّ موجود يُظهر قابليته و يُبرز مراحلها الكامنة ، بينما لم يكن هناك فرق بين الموجودات قبل طلوع الشمس و قبل بزوغ اشعاعها .

و هكذا الأمر بالنسبة الى شمس الولاية ، فقبل أن تطلع و تشرق على القلوب و الأفئدة ، و قبل أن تأمر و تنهى ، فإنّ البشر سيعيشون فى مستوى

واحد ، فلا تفاوت بين الشقيّ والسعيد ، ولا بين أهل الجنّة والنار ، ولا بين مؤمن وكافر ، ولا بين عادل وفاسق ، ولا بين محبّ ومُبغض ، ولا بين موحدّ ومُشرك :

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً^١.

كانوا كلّهم في مستوى واحد ، و ما أكثر ما كان يحصل ان يعدّ الأشقياء أنفسهم أفضل من السعداء و يفتخرون بذلك ؛ ولكن ما ان طلعت شمس الولاية و أشرقت على الأرواح الكئيبة ، حتّى بعثت الحركة و النشاط في النفوس و أظهرت غرائز و سرائر و ضمائر كلّ إنسان ، فطوّوا باختيارهم طريق السعادة فأوصلوا كلّ القابليّات النورانيّة الى مرحلة الفعلية ؛ أمّا الأشقياء فإنّ خُبث السريرة سيظهر بسبب تمرّدهم و إنكارهم و جحودهم القلبيّ ، و ستظهر الآثار القبيحة السيّئة لهم في مرحلة الفعل و القول .

و هكذا فإنّ أصحاب الفطرة السليمة سيتراصّون في صفوف العبوديّة ، و سيملاؤون الدنيا تواضعاً و إنفاقاً و إيثاراً و رحمةً و إنصافاً و ترحمّاً على الأيتام و صدقاً و صفاءً و عدلاً و توحيداً .

أمّا أصحاب الفطرة السيّئة فإنّهم سيشكّلون صفوف الفجور و الفسق ، فيملاؤون الدنيا خيانةً و قبحاً و قساوة و اغتصاباً للحقوق و الأموال ، و كذباً و ظلماً و شركاً :

لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ^٢.

و بعبارة أخرى فلأنّ الإمام هو روح القرءان و حقيقته ، و كما أنّ

١- الآية ٢١٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- الآية ٤٢ ، من السورة ٨ : الأنفال .

القرآن شفاء و نور و رحمة للمؤمنين ، و سببٌ لرفيئهم و كما لهم ، بينما هو في الوقت نفسه ظُلمة و خسران و وبال للظالمين و سببٌ لزيادة قسوتهم و ظلمهم ، فإنَّ وجود الإمام عليه السلام له هذا الأثر و الخاصية أيضاً .
و نُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا^١ .

إنَّ الآيات القرآنيَّة تُقرأ على المؤمن و توجب رفع مقامه و منزلته بناءً على تقبُّل قلبه و خضوعه و خشوعه و ازدياد إيمانه و توكله ، لكنَّها عندما تُقرأ على الكافر فإنَّها تستبب زيادة ظلمته و خُسرانه بسبب جحود قلبه و إنكاره و تمرُّده .

حين تشرق شمس الولاية على قلوب المؤمنين كمصباح منير ، فإنَّهم سيفيدون من تلك الحرارة و النور ، و سيتصاعد العطر المنعش من أرواحهم و أسرارهم فيعطر فضاء عالم الإنسانيَّة ، أمَّا قلوب الكافرين فتصبح متعبة كدرة ، و ستزكم رائحة التعفن الكامنة فيهم أنوف الإنسانيَّة ، و تسبب الملل و الضجر للعقل و الحق .

إنَّ الامام سيظهر ، من وجهة نظر ملكوت البشر و قلوبهم ، كلَّ استعداد فيهم و يوصله الى مقاصده ، فيوصل المؤمنين الى الجنَّة و يُرسل الكافرين الى النار ، و يحرك كل موجود من وجهة نظر ملكوته في طريق و صراط يتناسب معه .

مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ^٢ .
إنَّ لكل فرد من المؤمنين مقاماً معلوماً في الجنَّة ، كما أنَّ هناك لكل

١- الآية ٨٢ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٢- الآية ٥٦ ، من السورة ١١ : هود .

كافر مكاناً معلوماً في النار ، و الوصول الى هذه الغاية يتمّ بواسطة الامام الذي يهدي كل شخص في مسيره و هدفه من وجهة نظر التكوين ؛ أمّا من وجهة نظر التشريع ، و بسبب القبول و الرفض الذي يجعل الكافرين و المؤمنين في صفّين متقابلين مختلفين ، فأنه سيقود كلّاً منهما الى كمال استعداد .

و بناء على ذلك ، فما أجمل قول رسول الله صلى الله عليه و ءاله و ما أروعه حين قال :

عَلَى قَسِيمِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

يقول ابن شهر آشوب : شريك القاضي و عبد الله بن حماد الأنصاري قال كل واحد منهما : حضرت الأعشى في علته التي قبض فيها و عنده ابن شبرمة ، و ابن أبي ليلى و أبو حنيفة ، فقال أبو حنيفة : يا أبا محمد [يخاطب الأعشى] اتق الله و انظر لنفسك فأنك في آخر يوم من أيام الدنيا و أول يوم من أيام الآخرة ، و قد كنت تحدث في عليّ بأحاديث لو ثبت عنها كان خيراً لك .

قال الأعشى : مثل ماذا ؟

قال : مثل حديث عباية الأسدي : إِنَّ عَلِيّاً قَسِيمُ النَّارِ .

قال (الأعشى) : أقعدوني و سنّدوني ! و حدّثني - و الذي إليه مصيري - موسى بن طريف إمام بني أسد عن عباية بن ربيع إمام الحنابلة قال : سَمِعْتُ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : أَنَا قَسِيمُ النَّارِ أَقُولُ هَذَا وَلَيْسَ دَعِيهِ وَ هَذَا عَدُوِّي خُذِيهِ .

و حدّثني أبو المთوكل الناجي في امرة الحجّاج ، عن أبي سعيد الخدري : قال النبي صلى الله عليه و ءاله : اذا كان يوم القيامة يأمر الله عزوجل ، فأقعد أنا و عليّ على الصّراط و يُقال لنا : ادْخِلَا الْجَنَّةَ مَنْ ءامن بي

و أَحَبَّكُمَا وَأَدْخَلَا النَّارَ مَنْ كَفَرَ بِي وَ أَبْغَضَكُمَا .

(و فى لفظ : ألقيا فى النار من أبغضكما و أدخلوا الجنة من أحبكما) .

و حَدَّثَنِي أَبُو وَائِلٍ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَأْمُرُ اللَّهُ عَلِيًّا أَنْ يُفَسِّمَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ ، فَيَقُولُ لِلنَّارِ خُذِي ذَا عَدُوِّي وَ ذَرِي ذَا وَلِيِّي .

قال : فجعل أبو حنيفة أزاره على رأسه و قال : قوموا بنا لا يجيء أبو محمد بأعظم من هذا ^١ .

يقول القندوزى ، أخرج الدار قطنى فى كتاب (جواهر العقدين) عن أبى الطفيل عامر بن واثلة الكناني قال : إِنَّ عَلِيًّا قَالَ حَدِيثًا طَوِيلًا فِي الشُّورَى ، وَ فِيهِ أَنَّهُ قَالَ لِأَهْلِ الشُّورَى : فَأَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وَآلِهِ] وَ سَلَّمَ : أَنْتَ قَسِيمُ النَّارِ وَ الْجَنَّةِ غَيْرِي ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ لَا ^٢ .

و قد أنشد السيد الحميرى فى هذا الأمر قصائد كثيرة مثل :

فَكُفِّى عَنْهُ لَا يَضُرُّ	قَسِيمُ النَّارِ هَذَا لِي
فَحُوزِي الْفَاجِرِ الْأَكْبَرِ ^٣	وَ هَذَا لِي يَا نَارُ
	و يقول أيضاً :

خُذِي عَدُوِّي وَ ذَرِي نَاصِرِي	ذَاكَ قَسِيمُ النَّارِ مِنْ قِيلِهِ
صِهْرُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الطَّاهِرِ	ذَاكَ عَلَى بَنِّ أَبِي طَالِبٍ

١- (المناقب) ، ج ١ ، ص ٣٤٧ .

٢- (ينابيع المودة) ص ٨٤ .

٣- (ديوان الحميرى) ، ص ٢٥٢ ، و أورد أصله عن (أعيان الشيعة) ، ج ١٢ ، ص ٢٤٦ ؛

و (المناقب) ، ج ٢ ، ص ١٥٩ و ١٩٤ و ٢٣٣ و ٢٨٨ ؛ و ج ٣ ، ص ٩٠ و ٩١ .

٤- (ديوان الحميرى) ، ص ٢٤٥ ؛ و قد أورد أصله عن (أعيان الشيعة) ، ج ١٢ ، ⇨

و يقول :

عَلَى وَلِيِّ الْحَوْضِ وَ الذَّائِدِ الَّذِي
يَذْبَبُ عَنْ أَرْجَائِهِ كُلِّ مُجْرِمٍ
عَلَى قَسِيمِ النَّارِ مِنْ قَوْلِهِ لَهَا
ذَرِي ذَا وَ هَذَا فَاشْرَبِي مِنْهُ وَ اطْعَمِي
خُذِي بِالشَّوَى مِمَّنْ يُصِيبُكَ مِنْهُمْ
وَ لَا تَقْرَبِي مَنْ كَانَ حَزْبِي فَتَظْلِمِي^١

و يقول دعل الخزاعي :

قَسِيمُ الْجَحِيمِ فَهَذَا لَهُ وَ هَذَا لَهَا بِاعْتِدَالِ الْقَسَمِ
يَذُودُ عَنِ الْحَوْضِ أَعْدَاءَهُ فَكَمْ مِنْ لَعِينٍ طَرِيدٍ وَ كَمْ
فَمِنْ نَاكِثِينَ وَ مِنْ قَاسِطِينَ وَ مِنْ مَارِقِينَ وَ مِنْ مُجْتَرَمٍ^٢

و قال القندوزي : نُسِبَ إِلَى الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ أَنْشَدَ هَذِهِ الْآيَاتِ :

عَلَى حُبُّهُ جُنَّة قَسِيمِ النَّارِ وَ الْجَنَّةِ
وَ صَى الْمُصْطَفَى حَقًّا إِمَامِ الْإِنْسِ وَ الْحَيَّةِ^٣

يقول ابن الأثير : أَرَوَى بِسَنَدِي الْمُتَّصِلِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَزَاءٍ قَالَ :

سَمِعْتُ أَبَا مَرْيَمَ السُّلُولِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَهْلَهُ] وَسَلَّمَ يَقُولُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :

يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ زَيَّنَكَ بِزِينَةِ لَمْ يَتَزَيَّنِ الْعِبَادُ بِزِينَةٍ أَحَبَّ

١- ص ٢٤٦ ؛ و (المناقب) ، ج ٢ ، ص ١٢٥ و ١٥٩ .

١- (ديوان الحميري) ، ص ٣٩٩ ؛ و أورد أصله عن (أعيان الشيعة) و (الغدير)
(و المناقب) و (الكنى و الألقاب) .

٢- (مناقب ابن شهر آشوب) ، ج ١ ، ص ٣٤٩ .

٣- (ينابيع المودة) ، ص ٨٦ .

إِلَيْهِ مِنْهَا: الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا ، فَجَعَلَكَ لَا تَنَالُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا ، وَلَا تَنَالُ الدُّنْيَا مِنْكَ شَيْئًا ، وَوَهَبَ لَكَ حُبَّ الْمَسَاكِينِ ، وَرَضُوا بِكَ إِمَامًا وَرَضِيَتْ بِهِمْ أَتْبَاعًا ، فَطُوبَى لِمَنْ أَحَبَّكَ وَصَدَقَ فِيكَ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ أَبْغَضَكَ وَكَذَبَ عَلَيْكَ . فَأَمَّا الَّذِينَ أَحْبَبُوا وَصَدَّقُوا فِيكَ فَهُمْ جِيرَانُكَ فِي دَارِكَ ، وَرُفَقَاؤُكَ فِي قَصْرِكَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْغَضُواكَ وَكَذَبُوا عَلَيْكَ ، فَحَقُّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُوقِفَهُمْ مَوْفَ الْكَذَّابِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^١ .

١- (أسد الغابة) ، ج ٤ ، ص ٢٣ .

الدَّرْسُ الثَّاسِعُ

فِي مَعْنَى الْوَلَايَةِ الْبَيْتَةِ الْبَيْتَةِ الْبَيْتَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
و صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين
و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينًا فَأُولَئِكَ
يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ١.

و رد في كثير من الروايات عن طريق أهل البيت سلام الله عليهم
أجمعين ، و عن طريق العامة ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لَا
يَجُوزُ أَحَدُ الصُّرَاطِ إِلَّا مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلَى الْجَوَازِ ٢.
تحقيق في حديث (لَا يَجُوزُ أَحَدُ الصُّرَاطِ إِلَّا مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلَى
الْجَوَازِ) :

و قبل ان ننقل هذه الروايات فاننا مجبرون على ذكر مقدمة لتوضيح
معنى الصراط و كيفية كتابة الجواز للعبور :

١- الآية ٧١ و ٧٢ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٢- (الصواعق المحرقة) ، ص ٧٨ ، طبع مصر نقلاً عن كتاب (مقام الامام
أمير المؤمنين عند الخلفاء) للعلامة الميرزا نجم الدين الشريف العسكري ، ص ٣ ؛ و (مناقب
الخوارزمي) ، ص ٢٢٢ .

أنّ جميع الموجودات - كما أشرنا سابقاً - لها ظاهر و باطن ، و من جملتها الانسان و اخلاق الانسان و أفعاله ، فهي الأخرى لها ظاهر و باطن . و يُقال لظاهرها الخلق و المُلْك ، و لباطنها الأمر و الملكوت ، الظاهر هو المشهود و المحسوس ، أمّا الباطن فمخْتَفٍ كامن في هذا العالم .

كما ان ميزان جزاء و ثواب الأعمال يُقاس على ملكوتها و حقيقتها ، لا على ظاهرها ، فالصلاة التي يصلّيها الشخص - مثلاً - يمكن من وجهة النظر الظاهري أن تراعى فيها جميع خصوصيات الأداب الواجبة و المستحبة ، من الوضوء و الطهارة و القيام و الاستقبال و السجود و التختّم بالعقيق ، و العطر ، و السواك ، و اللباس الأبيض ، و العمامة و غيرها ، إلّا ان النية تكون أحياناً التقرب الى الله ، و أحياناً أخرى الرياء و التظاهر ، مهما كان ظاهر الصلاتين واحداً لا اختلاف فيه ، لأنّ روح الصلاة ، أي الباعث و الداعي للمصلّي هو الذي جعل روح هذه الصلاة في بُعدين مختلفين ، أحدهما التقرب الى الله و الآخر التقرب الى هوى النفس .

الصلاة في الصورة الأولى تقرب الانسان الى الله ، و في الصورة الثانية تُبعده عنه ، في الصورة الاولى تقوده الى الجنة ، و في الصورة الثانية تسوقه الى النار .

و هكذا الأمر في الصوم و الجهاد و الزكاة و الحجّ و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و قراءة القرآن و عيادة المريض ، و سائر الأعمال التي لها ظاهر ممدوح ، حيث تمتلك جميعها هذا الملكوت و الحقيقة ، و تختلف قدرة إيصالها الى الله شدةً و ضعفاً بمقدار شدة أو ضعف نية فاعلها ، أمّا اذا كانت النية لغير الله فانّها ليس فقط لا تقرب الإنسان الى الله ، بل أنّها ستبعده عنه .

المعاصي و الذنوب لها أيضاً روح تختلف في الشدة و الضعف ، كما

ان العقاب سيقاس على أساس الباعث الذى دعا المذنب الى المعصية .
و نجد أحياناً أن شخصاً ارتكب ذنباً ، لكنّه ارتكبه خطأً و عن غير
عمد ، لذا فإنّ ذلك الفعل لن يكون له انذاك عنوان المعصية ، و لن يكون
مُبعداً له عن الله .

فى عالم الحسنّ و الشهادة ، أى العالم الذى ترتبط معه بالحواسّ
الظاهريّة ، و المراد به هذا العالم الحالىّ ، فإنّ ملكوت و واقعيّة الأعمال
مختفٍ كامن ، و ما هو ظاهر و مشهود فى هذا العالم إنّما هو هيكل الفعل
و جسده و متنه ، لذا فإنّ معيار كبر و صغر الأفعال من الوجهة الظاهريّة
عند أسرى سجن الطبيعة ، هو صغر و كبر نفس العمل ، فكثرة الصلاة ،
و كثرة الصيام ، و التظاهر بالورع و التقوى ، و التظاهر بالخشوع و الخضوع ،
و التكلّم بهدوء بلسانٍ لّين هى أمور مستحسنة ، و غيرها غير مستحسن
و غير مرغوب . أمّا فى عالم المعنى و الملكوت فان الأمر على العكس ،
فلا يُنظر هناك الى ظاهر الأعمال من جهة صغرها و كبرها ، بل لّ ما يمثّل
المعيار و الميزان للمطلوبيّة و المرغوبيّة هو النية و الإخلاص و الروح
الموجودة فى العمل ، فظاهر الأفعال هناك كامن بينما ملكوتها و باطنها
ظاهر جلىّ ، اى لّ الظاهر معلوم و الباطن مخفىّ ، مثل عالم النوم و عالم
اليقظة .

انّ كلّ ما يُشاهد و يُحسّ فى عالم اليقظة يزول فى عالم النوم ، حين
يرقد الشخص فيضع رأسه على و سادة النوم ، فيرى لّ جميع ظهورات
و اثار عالم اليقظة و خصوصيات و كيفيّات هذا العالم ستضمحلّ و تزول ،
لكأّنه لم ير طوال عمره كهذا العالم .

و حين يستيقظ و يشاهد عالم اليقظة ، فإنّ كلّ خصائص
عالم النوم سيتصوّرّها اعتباريّة ، و كأّنه لم يدخل فى مثل ذلك العالم ، و ما لم

يجد الانسان سبيلاً الى عالم الملكوت فانه لن يدرك شيئاً غير مظاهر الطبيعة هذا و غير الهيكل و الجسم الظاهر ، لكنه حين يتصل بعوالم الملكوت بالموت الطبيعي أو غيره ، فان حقيقة الأعمال و واقعيتها ستظهر له ائذاك ، و سيكون عمله و سره معها ، و سينسى عالم الشهادة ، و ستظهر ظهورات النيات و الواقعيّات للإنسان عالماً جديداً أقوى أثراً بآلاف المرات من عالم الحسّ .

تحقيق في معنى الصراط:

يسلك الإنسان في هذه الدنيا بواسطة النفس و صفاتها و استخدام أفعالها طريقاً في المعنى^١ . و لأن رجوع الأنفس الى الله ، فان هذا الطريق في ملكوت الإنسان و نفسه سيكون الى الله أيضاً .

و يختلف البشر في سلوك هذا الطريق باختلاف قواهم المعنوية ، فالبعض له طريق مستقيم تماماً ، و للبعض الآخر طريق يضم انحرافاً قليلاً ، بينما البعض الآخر يتحرك بصورة كاملة في طريق الانحراف .

و لأن الإنسان يمتلك منذ اوائل عمره حتى آخر لحظات حياته حالات متفاوته و ملكات روحية و نفسية من الحالات المختلفة ، و التي هي نتيجة للأعمال المتفاوتة ، فهو في انتقال من حالة الى حالة اخرى . حتى اذا ما كانت حالاته حسنة و ممدوحة بشكل كامل ، و اذا ما كان فعله صالحاً و نيته التقرب الى الله ، فانه سيكتسب الاخلاص في العمل و ينتقل دائماً من حال الى حال و من كمال الى كمال ، فيصير من المقربين و السابقين ، فاذا أخذت عناية الله و لطفه بيده فأعانتته صار من العباد الكمل ، و اذا كان من المتوسطين ، اي انه لم يستطع نسيان غير الله كلياً ، بل كانت نفسه الأمارة و الشهوة يتغلبان عليه أحياناً فيوقفان سيره أو يُعيدانه الى الخلف قليلاً ، الا

١- في الباطن - في الحقيقة .

انَّ فعله و قوله غالباً ما يكون صالحاً و نيتُه صالحة ، فسيكون من أصحاب اليمين .

و اذا كانت نفسه الأمّارة هى التى تقوده دائماً ، و كان كل سيره بخلاف الوصول الى مراحل الكمال الإنسانى ، فأنه سيكون من الأشقياء و أصحاب الشمال .

و هذا الاختلاف الموجود لدى الناس فى طريقهم سيسبب اختلاف ملكوتهم ، لذا فانّ بعضهم سيطوى الطريق بسرعة ، و البعض الآخر ببطء ، و البعض الآخر فى نهاية المشقة و المحنة .

و هذا الملكوت سيظهر يوم القيامة ، و هناك حيث عالم الحقيقة فان الناس سيكونون فى درجات مختلفة ؛ و جهنّم التى تستعر هى ظهور و بروز عوالم الشهوة و الغضب و الاستكبار و حبّ الشخصية و الإعراض عن الله و الانغماس فى المعاصى التى يعبرّ القراءان عنها بعبارة الحيوة الدنيا .

و بناءً على هذا فانّ جهنّم هى ملكوت الدنيا ، كما ان الصراط الذى يمدّ عليها هو الطريق الذى ينبغى للإنسان طيّته فى نفسه لكى ينال المقصود و هو الله سبحانه و تعالى . و عندما يطوى الانسان هذا الطريق فى الدنيا ، لذا فان هذا الصراط سيوضع أيضاً على جهنّم . و لأنّ على كل شخص بشكل حتمى أن يفوز بمقصوده بمجاهدة النفس للشهوات فى الدنيا ، لذا فانّ العبور على جهنّم ضرورى لجميع الافراد ، حتى للأنبياء و لأولياء الله .

و حين نزلت الآية الكريمة : **وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا^١** . سألوها رسول الله صلى الله عليه و ءاله : **أَوَ أَنْتَ أَيْضاً وَارِدٌ جَهَنَّمَ ؟** أجاب : بلى ،

١- الآية ٧١ و ٧٢ ، من السورة ١٩ : مريم

لكننا نعبر عليها كالبرق الخاطف^١.

و على هذا ، فلأن الجميع قد قدموا الى هذه الدنيا و كان لهم جميعاً طريق في أنفسهم الى الله ، فان عليهم جميعاً ان يردوا الى جهنم ، و على الجميع ان يعبروا على الصراط .

فاولئك الذين لم يهبوا قلوبهم الى الدنيا ، و لم ينكبوا عقولهم ، و لم يسألوا غير الله تعالى و لو لحظة واحدة ، فانهم سيعبرون على جهنم (على الصراط) كالبرق الخاطف ، اما الباقيون فان سرعتهم ستفاوت باختلاف حالهم في الاخلاص ، فالبعض يمرّ بطيئاً ، و البعض من زمرة الأشقياء الذين كان صراطهم منحرفاً بشكل كامل ، سيزلّ على الصراط و يهوى في النار .

روى عبدالله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه و ءاله قال :
يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَأُولَئِهِمْ كَلَمَحُ الْبَرْقِ ، ثُمَّ كَمَرُ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَحَضِرِ الْفَرَسِ ، ثُمَّ كَالرَّائِبِ ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ ثُمَّ كَمَشِيهِ^٢ .
و في تفسير القمّي رواية عن الامام الصادق عليه السلام قال :

الصَّراطُ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ وَ أَحَدُ مِنَ السَّيْفِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ مِثْلَ الْبَرْقِ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ مِثْلَ عَذْوِ الْفَرَسِ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ مَاشِيًا ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ حَبْوًا ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ مُتَعَلِّقًا ، فَتَأْخُذُ النَّارُ مِنْهُ شَيْئًا وَ تَتْرُكُ شَيْئًا^٣ .

لذا فان معنى الصراط العبور على الملكات و الأخلاق الرذيلة و الصفات القبيحة ، فمن لم يُدَسَّ بها أصلاً مرّ كالبرق الخاطف ، و من

١- التعبير مُترجم و ليس نصّ كلامه صلوات الله عليه و ءاله (م) .

٢- (تفسير مجمع البيان) ، ج ٣ ، ص ٥٢٥ .

٣- (تفسير الصافي) ، ج ١ ، ص ٥٤ .

تلوث بها في الجملة مرّ كعدو الفرس ، حتّى اذا ما ابتلى و تدّس كثيراً علّق من الصراط الى جهنّم فأحاطت النار به .

انّ الإمام عليه السلام الذى يعيّن صراط الانسان و طريقة الى الله فى هذه الدنيا ، و الذى له السيطرة على نفس الإنسان و ملكوته ، هو نفسه الذى سيبيّن سرعة و بطء حركة الإنسان على الصراط يوم القيامة حيث ظهور الصفات و الملكات ، و وفقاً لسرعة الانسان فى حركته فى الدنيا الى الله ، فأنّه سيُجيزه بنفس القدر بالحركة بسرعة أو ببطء على الصراط ، أمّا الأفراد الذين لم يكن لديهم اتّصال بمقام المعنى و الولاية ، و الذين أفنوا فى وجودهم روح و شرف و فضيلة الإنسانيّة ، فأنّه لن يسمح لهم بالحركة ، و سيأمر جهنّم لتبتلعهم و تغمرهم .

و لأن الامام له إحاطة فى الدنيا على ملكوت المؤمنين و غير المؤمنين ، فأنّه سيقف هناك على مكان عالٍ و رفيع بحيث يُشرف على الجنّة و على جهنّم ، فيعيّن مكان و منزلة كلّ فرد صالح فى الجنّة ، و منزلة كلّ فاسق و منحرف طالح فى النار ، و قد عبّر فى القرآن الكريم عن ذلك المقام العالى بالأعراف .

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ^١

و الأعراف فى اللغة لها معنيان ، الأول أعراف الحجاب و هو القسم الأعلى منه ، و الثانى أعالي الجبل و التلّ ، و كلا المعنيين مناسب هنا ، اى أنّه حجاب بين أهل الجنّة و أهل النار يقف الإمام فى ذروته و قمته ، لأنّه كان فى الدنيا فى ذروة و قمة الحالات الروحيّة و المعنوية ، ينظر من هناك الى وجوه و سيماء أمّته ، و يشاهد حالاتهم الروحيّة و الملكوتيّة من

١- الآية ٤٦ ، من السورة ٧ : الأعراف .

سيمائهم ، كما كان محيطاً على ملكوتهم في الدنيا يسيّرهم عن طريق الملكوت الى واقعيتهم و مقصدهم ، لذلك فأنه هناك أيضاً سيجعلهم حسب واقعيتهم و ملكوتهم في درجات مختلفة من الجنة أو في دركات متفاوتة في النار .

و بناءً على ما ذكرنا فقد اتضح بحمد الله و قوته حقيقة و سرّ ظهور جهنّم أولاً ، و ظهور الصراط ثانياً ، و مقام الإمام في الأعراف و ارتباط كيفية إدخال اهل جهنّم فيها بأمر الإمام ثالثاً .

فنقول الآن بأنّ الروايات التي وردت في شأن أمير المؤمنين عن طريق الشيعة كثيرة جداً ، و لكن من أجل ان يتّضح ان هذه المطالب مسلّم بها عند أهل السنّة و لا يرقى اليها الشكّ ، فقد قرّرنا ان ننقل فضائله عليه السلام في الغالب من كتبهم .

يقول ابن حجر الهيتمي الشافعي : روى ابن السّمّان أنّ أبا بكر قال له (أى علىّ عليه السلام) : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] و سَلَّمَ يقول : لَا يَجُوزُ أَحَدُ الصِّرَاطِ إِلَّا مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلَى الْجَوَازِ^١ .

و ينقل ابن حجر قبل هذا الحديث عن سُنَنِ الدار قُطْنِي : إِنَّ عَلِيّاً [عليه السّلام] قَالَ لِلسِّتَّةِ الَّذِينَ جَعَلَ عُمَرُ الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَهُمْ كَلَامًا طَوِيلًا مِنْ جُمْلَتِهِ :

أُنشِدْكُمْ اللَّهُ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وسَلَّمَ (يَا عَلِيُّ أَنْتَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) غَيْرِي ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ لَا .

١- (الصواعق المحرقة) ، طبع مصر ، ص ٧٨ ، نقلاً عن كتاب (مقام الإمام

امير المؤمنين) ، ص ٣ .

و معناه ما رواه عنترة عن عليّ الرضا [عليه السلام] أنه صلى الله عليه [و ءاله] و سلم قال له : أَنْتَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَقُولُ لِلنَّارِ هَذَا لِي وَ هَذَا لَكَ .

فابن حجر يستشهد بكلام أمير المؤمنين في الشورى لتأييد الرواية التي نقلها عن أبي بكر ، ثم يفسر كلام أمير المؤمنين بكلام الرضا عليه السلام الى عنترة .

و ينقل محبّ الدين الطبري عين هذه الرواية عن قيس بن أبي حازم ، قال :

إِلْتَقَى أَبُو بَكْرٍ وَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَتَبَسَّمَ أَبُو بَكْرٍ فِي وَجْهِ عَلِيٍّ ، فَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ تَبَسَّمْتَ ؟ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَ سلم يقول : لَا يَجُوزُ أَحَدُ الصُّرَاطِ إِلَّا مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلِيُّ الْجَوَازَ .

أخرجه ابن السمان في كتاب (الموافقة)^١ .

كما ينقل الموفق بن أحمد الخوارزمي في كتابه (المناقب) رواية الجواز^٢ .

يقول العلامة الميرزا نجم الدين الشريف العسكري في كتاب (مقام الامام أمير المؤمنين عند الخلفاء) ، الصفحة الخامسة : و قد نقل الكثير من الاعلام في كتبهم هذا الحديث :

١- ابراهيم بن محمد الحموي الشافعي في (فرائد السمطين) ، ج ١ ، الباب الرابع و الخمسين .

١- (ذخائر العقبى) ، ص ٧١ .

٢- (مناقب الخوارزمي) ، ص ٢٢٢ .

٢- محبّ الدين الطبري الشافعي أيضاً في كتابه الآخر بإسم (الرياض النضرة في فضائل العترة) ج ٢، ص ١٧٣ و ١٧٧ و ٢٤٤ . وقال لَنَ الحاكمي رواه في كتابه (الأربعين) .

٣- أورده ابن أبي عدسه في تأريخه بهذا اللفظ :
قال أبو بكر لعلّي : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه [وءاله] و سلّم يقول : لَا يَجُوزُ أَحَدُ الصَّرَاطِ إِلَّا مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلَى الْجَوَازِ .
٤- الشيخ سليمان الحنفى القندوزى في (ينابيع المودة) ، ص ٨٦ و ١١٢ .

٥- ابن المغازلى الشافعي فى كتابه (المناقب) ، كما فى (غاية المرام) .
٦- الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد) ، ج ٣ ، ص ١٦١ ، عن ابن عباس .

٧- القاضى عياض فى (الشفاء) .
٨ - العلّامة السيّد أبو بكر ابن شهاب الدين العلوى الحسينى الشافعى فى كتاب (رشفة الصادى من بحور فضائل بنى الهادى) ، ص ٤٥٩ .
٩- القرشى فى (شمس الأخبار) .
١٠- العلّامة الشيخ عبد الله الشبراوى الشافعى فى (الإتحاف بحبّ الأشراف) ، ص ٢٥ .

١١- (اسعاف الراغبين) ؛ ثم يقول : و روى حديث الجواز جماعة ءآخرون عن الصحابة من غير أبى بكر ، كابن عبّاس و ابن مسعود ، و ينبغى العلم لَنَ جميع هؤلاء المذكورين خرّجوا هذا الحديث فى كتبهم ^١ .
و عند مراجعة (ينابيع المودة) فى ص ١١٢ فأنه ينسبه الى الإمام

١- (مقام الامام أميرالمؤمنين) ، ص ٦ .

أمير المؤمنين و عبد الله بن عباس و عبد الله بن مسعود و أنس بن مالك و أبي سعيد الخدري .

و يقول : روى الحموي بسنده عن مالك بن أنس عن جعفر الصادق عن ءابائه عن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم عن النبي صلى الله عليه و ءاله [و سلم قال :

إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَصَبَ الصِّرَاطَ عَلَى جَهَنَّمَ لَمْ يَجْزُ عَنْهَا أَحَدٌ إِلَّا مَنْ كَانَتْ مَعَهُ بَرَاءَةٌ بِلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .
و أخرج هذا الحديث أيضاً الموفق بن أحمد بسنده عن الحسن البصرى عن ابن مسعود . و أخرجه الموفق أيضاً بسنده عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما .

و اخرج هذا الحديث ايضاً ابن المغازلى بسنده عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ و عن طاوس ، عن ابن عباس .
و أيضاً بسنده عن أنس بن مالك ، و بسنده عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنهم .

و فى الصفحة ٨٦ و فى ص ١١٣ ، فقد رواه عن ابن مسعود بـمـتـن
ءاخر عن الموفق بن احمد ، باسناده عن الحسن البصرى ، عن ابن مسعود .
قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] و سلم : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَقْعُدُ عَلَى الْفِرْدَوْسِ ، وَ هُوَ جَبَلٌ قَدْ عَلَا عَلَى الْجَنَّةِ وَ فَوْقَهُ عَرْشُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَ مِنْ سَفْحِهِ تَنْفَجِرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ وَ تَتَفَرَّقُ فِي الْجَنَانِ ، وَ عَلَى جَالِسٍ عَلَى كُرْسَى مِنْ نُورٍ ، يَجْرَى بَيْنَ يَدَيْهِ التَّسْنِيمُ ، لَا يَجُوزُ أَحَدُ الصِّرَاطِ إِلَّا وَ مَعَهُ سَنَدٌ بِلَايَةِ عَلِيٍّ وَ وَلَايَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، فَيُدْخِلُ مُجِبِّهِ الْجَنَّةَ وَ مُبْغِضِيهِ النَّارَ .

كما ينقل الخوارزمي هذه الرواية بهذا المضمون فى مقتله (طبع

النجف، ج ١، ص ٣٩.

بلى، يبين هذا الحديث مقام أمير المؤمنين في الأعراف، و أن هذا المقام في آخر درجات الفرق الذي يبدأ منه عالم الكثرة، يعنى في حقيقة الولاية التي هي الحجاب الأقرب، و من الأعراف يجري نهر التسنيم في الجنة. و هذا النهر ينبع من الولاية، و تجرى فروعه في قلوب الشيعة، كما يجري في جنانهم في ذلك العالم من ظهور الملكوت.

و أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو حقيقة الولاية، يعين مقامات أهل الجنة حسب ميزان جريان التسنيم، فيعبرون الصراط و يصلون الى منازلهم، كما يعين في النار أماكن الذين لا يؤمنون بالولاية.

يقول ابن شهر آشوب: روى ابن عباس و أنس عن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله :

قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ نُصِبَ الصِّرَاطُ عَلَى جَهَنَّمَ، لَمْ يَجْزُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ مَعَهُ جَوَازٌ فِيهِ وَلَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ قِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ^١.

و يقول أيضاً: و يروى والدى شهر آشوب بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه و آله قال :

لِكُلِّ شَيْءٍ جَوَازٌ، وَ جَوَازُ الصِّرَاطِ حُبُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ^٢.
و يروى أيضاً في تأريخ الخطيب، عن ليث، عن مجاهد، عن طاووس، عن ابن عباس قال :

قُلْتُ لِلنَّبِيِّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لِلنَّاسِ جَوَازٌ؟ قَالَ: نَعَمْ؟
قُلْتُ: وَ مَا هُوَ؟ قَالَ: حُبُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ^٣.

١ إلى ٣- (المناقب ابن شهر آشوب)، ج ١، ص ٣٤٦، الطبعة الحجرية.

و في حديث وكيع، قال أبو سعيد : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا مَعْنَى بَرَاءٍ عَلَى ؟

قال : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، عَلَى وَلِيُّ اللَّهِ ^١ .

و سأل النبي الأكرم من جبرئيل : كَيْفَ تَجُوزُ أُمِّي الصَّرَاطُ ؟ فَمَضَى
وَعَادَ وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْرُكَ السَّلَامَ و يقول : إِنَّكَ تَجُوزُ الصَّرَاطَ
بُنُورِي ، وَعَلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَجُوزُ الصَّرَاطَ بُنُورَكَ ، وَأُمَّتُكَ تَجُوزُ
الصَّرَاطَ بُنُورِ عَلَى ، فَنُورُ أُمَّتِكَ مِنْ نُورِ عَلَى ، وَنُورُ عَلَى مِنْ نُورِكَ ،
وَنُورُكَ مِنْ نُورِ اللَّهِ ^٢ .

و ورد في الخبر : وَهُوَ الصَّرَاطُ الَّذِي يَقِفُ عَلَى يَمِينِهِ رَسُولُ اللَّهِ ،
وَعَلَى شِمَالِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَأْتِيهِمَا النَّدَاءُ مِنَ اللَّهِ : أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ
كَفَّارٍ عَنِيدٍ ^٣ .

و روى الحسن البصرى في خبر آخر عن عبد الله ، عن رسول الله
قال :

وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ مِنْ نُورٍ - يَعْنِي عَلِيًّا - يَجْرِي بَيْنَ يَدَيْهِ
التَّسْنِيمُ ، لَا يَجُوزُ أَحَدُ الصَّرَاطِ إِلَّا وَمَعَهُ بَرَاءَةٌ بَوْلَايَتِهِ وَوَلَايَةُ أَهْلِ بَيْتِهِ ،
يُشْرِفُ عَلَى الْجَنَّةِ وَيَدْخُلُ مُحِبِّهِ الْجَنَّةَ وَمُبْغِضِهِ النَّارَ ^٤ .

و ما أجمل قول شاعر أهل البيت السيد اسماعيل بن محمد الحميرى
حين يقول :

قَوْلٌ عَلَى لِحَارِثٍ عَجَبٌ كَمْ تَمَّ أُعْجُوبَةٌ لَهُ حَمَلًا
يَا حَارَهُ هَمْدَانٌ مَنْ يَمُتْ مِنْ مُؤْمِنٍ كَانَ أَوْ مُنَافِقٍ قَبْلًا ^٥

١ و٢- (المناقب ابن شهر آشوب) ، ج ١ ، ص ٣٤٦ ، الطبعة الحجرية .

٣ و٤- (المناقب) ، ج ١ ، ص ٣٤٦ .

٥ - يا حار ، يا حار ، الأصحّ والأشهر في المنادى المرخّم ان تُترك حركة الحرف ⇨

يَعْرِفُنِي طَرْفُهُ وَأَعْرِفُهُ بَعَيْنِهِ^١ وَأَسْمِهِ وَمَا فَعَلَا
وَأَنْتَ عِنْدَ الصَّرَاطِ تَعْرِفُنِي فَلَا تَخَفْ عَثْرَةً وَلَا زَلَّالَا
أُسْقِيكَ مِنْ بَارِدٍ عَلَى ظَمَأٍ تَخَالُهُ فِي الْحَلَاوَةِ الْعَسَلَا
أَقُولُ لِلنَّارِ حِينَ تَوَقَّفُ لِلْعَرِ ضِ عَلَى جَسَرِهَا ذَرَى الرَّجَلَا
ذَرِيهِ لَا تَقْرِيهِ إِنَّ لَهُ حَبْلًا بِحَبْلِ الْوَحْيِ^٢ مُتَّصِلَا
هَذَا لَنَا شِيعَةٌ وَشِيعَتُنَا أُعْطَانِي اللَّهُ فِيهِمُ الْأَمَلَا^٣

⤵️ الآخر الباقي على حالها الأول ، و بالطبع فإن الكثير يرون أن حركة الحرف المحذوف يجب ان تُنقل الى الحرف الذى قبله .

⤵️ ٤- رأيتُهُ قُبْلًا وَقَبْلًا وَقَبِيلًا وَقَبْلِيًّا : أى عيانًا ومُقابِلَةً. ولقد وُضعت احتمالات في ضبط كلمة (قَبْل) لا يناسب معنى أى منها المقام ، و ما يبدو في نظر الحقيير أنّها فعل ماض بفتح القاف وفتح أو كسر الباء ؛ و ذلك لأنَّ أحد معاني قَبْل وقَبْل أن يكون قَبْل في العينين ، و القَبْل في العينين عبارة عن اقبال نظر كلٍّ من العينين الى الأخرى ، و هو ما يدعى بالحَوَل في العينين و رؤية الشيء شيئين ، و لازم الحول الغرور و العُجب ، حيث تحاول العيون على الدوام النظر الى نفسها ، و هذا المعنى من آثار النفق الذى عدّه المولى اميرالمؤمنين عليه السلام هنا من صفات المنافق .

كما ورد في اللغة ان رأيتُهُ قُبْلًا أى عيانًا ومُقابِلَةً؛ و على ذلك فإنَّ من الممكن ان تكون الكلمة هنا بضمّ القاف و الباء ، اى : مَنْ يَمُتُّ يَرِنَى قُبْلًا ؛ و هو احتمال مقبول أيضاً . و ربّما كان أقرب من الاحتمال الأوّل .

قال في (المنجد) : رأيتُهُ قُبْلًا وَقَبْلًا وَقَبِيلًا وَقَبْلِيًّا أى عيانًا ومُقابِلَةً . و بذلك فإنَّ من الممكن قراءة شعر الحميرى على أربعة أشكال من القراءة .

١- ورد في (مناقب ابن شهر آشوب) بلفظ (بَنَعْتِهِ)

٢- جاءت في (ديوان الحميرى) بلفظ (حبل الوحي) ، لكن الأظهر أنها (بحبل الوصى) .

٣- (ديوان الحميرى) ، ص ٣٢٧ و ٣٢٨ ؛ و أورد أصله عن (أعيان الشيعة) ، ج ١٢ ، ص ٢٦٣ ، و (كشف الغمّة)، ص ١٢٤ ، و (المناقب) ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ ، و (شرح نهج البلاغة) ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .

يخاطب أمير المؤمنين بهذا الكلام الحارث الهمداني .

يروى ابن شهر آشوب عن (الأماي) للطوسي ، باسناده عن الحارث الهمداني عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله :

إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخَذْتُ بِحُجْزَةِ مَنْ ذِي الْعَرْشِ ، وَأَخَذْتَ أَنْتَ يَا عَلِيُّ بِحُجْزَتِي ، وَأَخَذْتَ ذُرِّيَّتَكَ بِحُجْزَتِكَ ، وَأَخَذْتَ شَيْعَتَكُمْ بِحُجْزَتِكُمْ ، فَمَاذَا يَصْنَعُ اللَّهُ بَنِيهِ ؟ وَمَاذَا يَصْنَعُ نَبِيُّهُ بِوَصِيِّهِ ؟ أَلَيْ أَنْ قَالَ [عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَام] : خُذْهَا إِلَيْكَ يَا حَارُّ قَصِيرَةٍ مِنْ طَوِيلَةٍ^١ ، أَنْتَ وَمَنْ أَحَبَّبتَ وَلَكَ مَا اكْتَسَبْتَ^٢ .

و لقد جاهد الحارث الهمداني (بسكون الميم) وقومه من قبيلة همدان في اليمن ، في يوم صفين جهاداً كبيراً و حاموا عن دين الله و عن إمامهم ، و واجهوا المشاق و المحن و الشدائد ، حتّى قال أمير المؤمنين فيهم :

فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لَهُمْ دَانَ لَخُلِي بِسَلَامٍ^٣

و يقول السيّد الحميري :

وَلَدَى الصَّرَاطِ تَرَى عَلِيًّا وَ آفَقًا

يَدْعُو إِلَيْهِ وَلَيْلَهُ الْمَنْصُورَا

اللَّهُ أَغْطِي ذَا عَلِيًّا كُلَّهُ

وَ عَطَاءُ رَبِّكَ لَمْ يَكُنْ مَخْظُورًا^٤

١- من الأمثال ، و القصيرة هي التمرة و الطويلة : النخلة . م .

٢و٣ - تعليقة (ديوان الحميري) ، ص ٣٢٦ و ٣٢٧ على الترتيب .

٤- (ديوان السيّد) ، ص ٢١٢ ؛ و أورد أصله عن (أعيان الشيعة) و (المناقب) .

الدَّرْسُ الْعَاشِرُ

لِزُفْمَرٍ وَجُودِ الْأَوْفَالِ لِحَيِّ لَتَهْمَتِغُ الْفُلُوبِ

بسم الله الرحمن الرحيم
و صلى الله على محمد و ءاله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين
و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ^١.

أصل العليّة و المعلوليّة:

انّ كلّ واحد من الموجودات التي تُشاهد في العالم له أصل و علّة
يستند في نشأته اليها ، كما أنّ التغيّرات و التبدّلات التي تحصل فيها لها
عللها هي الأخرى .

فلو ضربنا زجاجةً بحجر لانكسرت ، و لو أجرينا ماءً في جدول
لجرى الماء الى حيث ما أمكن له ، و لبلّ النقاط التي يلامسها ، حتّى انّ
الماء يجري في حُلل الجبال و شقوقها ما وجد الى ذلك سبيلاً .

و هذا هو أصلُ عام في النشوء و في التغيّرات المشهودة في
موجودات العالم .

تأثير المجالسة في الإنسان :

١- الآية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

كما لَّ أخلاق و ملكات و عقائد و روحيات بنى الإنسان ليست مستثناةً من هذا الأصل العام ، فقد ثبت بالتجربة لَّ معاشرة الأبرار تؤثر على الإنسان ، و لَّ المعاشرة مع الأشرار تؤثر عليه هى الأخرى ، و ما أكثر ما حصل أن صاحب شخص ذو فطرة طيبة و أعمال صالحة أصدقاء السوء فتلاشى صفاءه الباطنى ، و أظلم قلبه و اختنقت روحه .

و على العكس من ذلك ، فما أكثر ما حصل لَّ شخصاً ذا سيرة سيئة غير اسلوبه و نهجه إثر معاشرته لشخص طيب ، فصلحت نيته تدريجياً ، و تبعثها أفعاله فصارت صالحة حسنة حميدة .

لذا ورد التأكيد كثيراً فى التعاليم الإسلامية على مصاحبة الأبرار و المنع من الأنس بالأشرار و التوادّ معهم ، حتى لَّ جلسة واحدة قد تؤثر على الانسان و لو أمضاها بالسكوت او المذاكرة ، لأن تأثير الأرواح لا يحتاج الى مذاكرة ، و ائما الأرواح المؤتلفة تميل الى بعضها و تتبادل التأثير مع بعضها .

و لكى يستطيع الإنسان تغيير أخلاقه و صفاته الى أخلاق و صفات الإنسان الكامل ، فإنّ عليه أن يعرف قلبه و روحه على أصل و علّة الأخلاق و الصفات الحسنة ، لتؤثر تلك المحامد فى الإنسان بواسطة الاتصال . و عليه أن يصل مركز قلبه بمنبع العلم و المعرفة و الحياة ، ليحصل منه على العلم و المعرفة و الحياة قدر سعته و استعداده و قابليته .

و كما لَّ هناك فى شبكة المياه فى المدن مخزناً عظيماً للماء متّصل بعدد كبير من البيوت ، بحيث يصل اليها الماء حسب ظروفها و قابليّاتها ، فكذلك الأمر فى علّة و منبع الحياة و المعرفة الذى يجب ان يروى و يُشبع القلوب بواسطة التسليم و الانقياد و الاتباع و الخضوع ، بقدر سعة تلك القلوب و ظرفيّتها .

و لهذا الموضوع أمران ضروريان :

الأول : وجود ذلك الأصل و العلة ، أى مبدأ إفاضة العلم و الحياة .
و الثانى : التسليم و التلقى و الخضوع ؛ ليتمكن لتلك العلة ان تؤدى
وظيفتها ، لأن التسليم له حكم الشروط لتلقى العلم و المعارف ، و معتبر من
المقدمات المُعدّة .

قلب الإمام مركز إفاضة العلوم:

مبدأ إفاضة العلم هو قلب الامام الذى يفيض - بواسطة السيطرة على
ملكوت الموجودات - على كل موجود بقدر قابليته و استعداده : وَ جَعَلْنَاهُمْ
أُئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ^١ .
و الهداية بأمر الله هى هداية أفراد البشر عن طريق ملكوتهم
و نفوسهم .

و لذا يجب ان يكون فى العالم و على الدوام إمامٌ حىّ ، و قد استفدنا
من الآية : يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ^٢ .
انّ الإمام موجود فى كلّ زمان ، يُدعى بواسطته أفراد البشر واحداً
فواحداً ؛ و هذا أمر مسلم و صحيح تستند عليه جميع أديان العالم و مذاهبه ،
و يعتمد عليه الدين الاسلامى الذى يعتبر تعيين الإمام للمجتمع من قبل
الله ، و يعرفه بأئمة صاحب القلب و المحيط بالملكوت و المعصوم عن
الخطايا و المعاصى . كما لّن الشيعة قد استفادوا هذا الأمر على أساس تعاليم
الاسلام ، فقد جعلوا سيرتهم على واقع و حقيقة التعاليم الاسلاميّة ، أمّا أهل
السنة الذين لا يُراعون هذا الأمر ، فان أيديهم قاصرة عن إدراك منبع الحياة

١- الآية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٢- الآية ٧١ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

و العلم ، و كما أشير سابقاً فإنهم لا يستفيدون من الإسلام بالمعنى الحقيقى .
و على هذا الأصل القائل بالحاجة الى الإمام الحى بعد رسول الله صلى الله عليه و آله ، و هو الوجود المقدس لأمير المؤمنين عليه السلام ، فإن ذلك من أجل أن يصل جميع أفراد البشر بواسطة ذلك القلب الحى الواعى فى عالم الجمع الى الاستفادة من حياتهم و علومهم ، و إلاّ فأنه اذا كفى مجرد العمل ببناء (كفانا كتاب الله) ، لنحذف كل امرئ فانزوى فى زاوية النفس و خرائبها المظلمة ، و لما أمكنه أن يتخطى نفسه و هو الى آخر عمره ، و ذلك لأن الإمام هو الملقى للمعارف القرائية الى قلب الانسان ، و بدونه فإنّ الإنسان الأعمى المهووس بالشهوات المنغمس فى اللذات سيفسر و يؤوّل الآيات القرائية لخدمة أغراضه و نواياه ، و مهما عمل فإن عمله لن يتعدى دائرة ميوله و رغباته النفسانية . و مثل هذا القراءان بدون الروح الحية العميقة الإدراك للإمام لا يزيدهم من الله إلاّ بُعداً .

الشيعة تعتبر أساس تعاليم الإسلام قائم على الإمامة .

تقول الشيعة انّ أساس تعاليم الاسلام قائمة على الإمامة ، ففى زمن رسول الله كان صلى الله عليه و آله هو الإمام ، و كان يفيض المعارف على قلوب الأمة بقلبه اليقظ منبع علوم فأوحى إلى عبده ما أوحى^١ ، ثم جرى ذلك بعده ؛ بواسطة الأئمة الأطهار الواحد بعد الآخر ، وصولاً الى حضرة بقيّة الله الأعظم عجل الله تعالى فرجه الشريف ؛ رى كل قلب بقدر سعته من قبل مراكز الحياة و المعرفة تلك .

أمّا الموضوع الآخر و هو التسليم و الخضوع و الاتّباع للإمام ، الذى يُعدّ القلوب لتلقّى و اكتساب المعارف و العلوم ، فهذه الخصوصية موجودة

١- الآية ١٠ ، من السورة ٥٣ : النجم .

لدى الشيعة ، لذا يُشاهد أنّ الشيعة يفوقون العامة بقدر ملحوظ في صفات المحبة و الوفاء و الصفاء و الإنفاق و الإيثار و قضاء حوائج الناس و في رقة القلب و العاطفة و نظائرها من الصفات الحميدة ، و هذا ناجم عن روح التسليم و الخضوع مقابل معلّم البشريّة و مبدأ التعليم و التربية ، سواء كان الإمام حاضراً أو غائباً ، لأنّ تأثير و تأثّر الأرواح لا حاجة له كثيراً الى الحضور ، لأنّه ليس مادّه ليشترط لتأثيرها في مادّه أخرى القرب المكاني و التماسّ الخارجي ، بل هو تأثير فعليّة النفس الفعّالة في قابليّات النفوس المستعدّة .

و لأنّ عالم الملكوت خارج عن الزمان و المكان ، لذا يمكن أن نجد تأثير فعليّة الأثار الحيّاتيّة للإمام في كلّ قلب ، فإن كان الإمام في مشرق العالم و كان تابعه في المغرب ، فإنّ قلب التابع مع ذلك سيحصل على استفادته ، كما أنّ الانسان - على اثر محبّته لولده - في ذكره دوماً ، سواء كان ولده قربه أو مسافراً بعيداً عنه ، فصورة الولد لا تفارقه بل مطبوعة في قلبه . و كذلك اذا ما وجدت تجلّيات الإمام في قلب المؤمن أينما كان ذلك المؤمن ، فأنّه سوف يستمدّ ماء الحياة من ذلك المعدن اللامتناهي اثر انعكاس الصورة الحقّة .

لذا فإنّ الشيعة يفيدون - و لو في زمن الغيبة - من ذلك المركز للعلم و المعرفة ، بسبب التفاتهم الكامل الى مصدر الخيرات و العلوم ، مع أنّه لا شك هناك و لا ريب في أنّ أثر حضور الإمام و فوائده أكثر و أوفر ؛ خلافاً لغير الشيعة الذين لا ترتبط قلوبهم بهذا المعدن ، لذا فإنّ نفوسهم حائرة متردّدة ليس لها الى الخروج عن ذواتها من سبيل .

الشيعة يمتلكون اللطف و الرقة و المداراة:

يقول ابن أبي الحديد بعد أن يذكر قدراً من صفات أمير المؤمنين

عليه السلام :

وَقَدْ بَقِيَ هَذَا الْخُلُقُ مُتَوَارِثًا مُتَنَاقِلًا فِي مُجَبِّهِ وَأَوْلِيَائِهِ إِلَى الْآنَ ،
كَمَا بَقِيَ الْجَفَاءُ وَ الْخُسُوفَةُ وَ الْوُغُورَةُ فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ ، وَ مَنْ لَهُ أَدْنَى
مَعْرِفَةٍ بِأَخْلَاقِ النَّاسِ وَ عَوَائِدِهِمْ يَعْرِفُ ذَلِكَ ^١ .

إنّ المعارف و العلوم الالهية تجرى في قلوب اتباع الإمام اثر اتصال
قلوبهم بقلبه ، كما أنّ السبب في أنّ للمؤمنين أنهاراً من ماء زلال في الجنة
يعود الى تأثير ذلك الإتصال القلبى و الإفادة من نبع فضائل الأئمة . و نرى
كثيراً في القرآن الكريم أنّ الله تعالى يعد المؤمنين جنّاتٍ تَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ مثل :

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ^٢ .

الجنة تجلّى الصفات و الأفعال:

و كما ذكرنا فإنّ الجنة هى ظهور و بروز عالم نفس المؤمن في
الأخرة ، و لأنّ نفس المؤمن قد نجت ، بسبب الاطمئنان بالله و بالسكينة
التي حصلت عليها ، من حرارة ولسع اليأس و الفشل و من طوفان خواطر
الشیطان و الاضطرابات الفكرية و الأخلاقية ، فهم مسرورون فرحون في
رحمة الله و مقام أمنه و أمانه ، فقد عشقوا الله بنشاط و لذة كاملين حتّى في
أدقّ لحظات سكرات الموت ، فهم في سكينة و اطمئنان ، لذا فعندما يظهر
ملكوت الأشياء في الأخرة ، فإنّ ملكوت نفس المؤمن سيكون بصورة جنة
متشابكة الأشجار ، تشابكت فيها فروع الأعمال الصالحة و أوراقها ، فألقت
ظلالها على الأرض ، فلا مجال هناك لأشعة الشمس اللاهبة و لا لطوفان

١- (شرح نهج البلاغة) ، الطبعة ذات العشرين مجلداً ، ج ١ ، ص ٢٦ .

٢- الآية ١٤ و ٢٣ ، من السورة ٢٢ : الحجّ ؛ و الآية ١٢ ، من السورة ٤٧ : محمد .

الحوادث أو غبار الخيالات و الخواطر الشيطانية .

سواءً اعتبرنا أنّ الجنة من جهة تجسّم أعمال المؤمن و ظهور ملكوت النفس المؤمنة ، أو بعنوان الجزاء المترتب على العمل ، فإن النتيجة ستكون واحدة . يشهد على هذا المعنى خطاب الله تعالى الى آدم أبى البشر قبل وروده فى هذه النشأة :

فَقُلْنَا يٰٓآدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ۚ إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تُعْرَى ۚ وَ أَنْكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَ لَا تَضْحَى ۚ^١

فقد خاطب الله آدم : أنّ هذه الجنة لا خواطر نفسانية فيها و لا اضطرابات للخيال و القوى الواهمة ، هناك حيث لا تجوع و لا تعرى ، و لا تظمأ و لا تضحى بحرارة الشمس ، فالجوع و العرى و الحرارة و الانصهار كلّها من أثر تسلّط النفس الأمّارة بالسوء على الإنسان ، أمّا فى الجنة حيث قلب الإنسان مطمئنّ هادئ بعيد عن الخواطر و الانفعالات ، هناك حيث الاستقرار و الاستراحة فى مقعد صدقٍ عند مليكٍ مُّقْتَدِرٍ^٢ .

فالذين يغادرون الدنيا الى الله بالإيمان و الأعمال الصالحة هم الذين يدخلون الجنة و يتمتّعون فيها تحت ظلال الأشجار المتكاثفة .

الأنهار الجارية فى الجنة:

و أمّا الأنهار الجارية فى الجنة ، فهى العلوم و المعارف التى أوجبت حياة القلب ، و ذلك لأن المؤمنين كانوا قد رووا قلوبهم بالعلم و المعرفة و الإقرار بوحدانية الله و أسماء ذاته المقدسة ، و بالإقرار بحقانية الإمام

١- الآية ١١٧ - ١١٩ ، من السورة ٢٠ : طه .

٢- الآية ٥٥ ، من السورة ٥٤ : القمر .

و النبيّ، فإنّ ظهور هذه العلوم التي هي حياة القلوب سيكون هناك في هيئة أنهار ماء . و سيكون لجميع الذين عملوا الصالحات - و من جملتها الإقرار بإمام زمانهم - امتلاك هذه الأنهار ، بل يمكن اعتبار مقياس فصل الأعمال الصالحة عن غير الصالحة هو مصادقة الإمام عليها أو عدمها ، فكلّ فعل أمر به الإمام صالحٌ ، و كلّ ما نهى عنه سيكون غير صالح ، و ذلك لأنّ نظر الإمام يمثّل النظرة الواقعيّة و الحقيقيّة ، و لذلك فإنّ تخطّي كلام الإمام يمثّل انحرافاً عن متن الواقع و حقيقة نفس الأمر .

أمّا الذين لم يوكّلوا قلوبهم للإمام ، و لم يستفيدوا من ذلك المنبع الفيّاض ، فإنّ قلوبهم ستبقى يابسة لا طراوة لها و لا محبّة و لا صفاء و لا معرفة ، كالقربة اليابسة العتيقة البالية ، قد فقدت مرونتها و سعتها ، لذا فإنّ ماء اولئكم هو الحرمان و الحسرة و الندم الذي سيصبّ في أفواههم على هيئة الفلز المصهور .

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ^١.

أنهار الجنة الأربعه:

ذكر الله سبحانه في هذه الآية المباركة أربعة أنهار ، ولها أنهار الماء الزلال غير الأسن ، لأن الماء في عالم الطبيعة هو حياة الموجودات :

وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ^٢.

١- الآية ١٥ ، من السورة ٤٧ : محمد .

٢- الآية ٣٠ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

أنهار الماء : و حياة القلوب بالعلم و معرفة الله ، لذا فإن أنهار العلم و المعرفة الجارية في القلوب ستتجلّى هناك في هيئة أنهار ظاهرة صافية من ماء زلال غير عاسن ، و المراد بالأنهار أصناف و أنواع المعارف و العلوم الحقّة و الحقيقة التي تناط بها حياة القلوب و تروى بها غرائز الإنسان ، و المراد بغير الأسن غير المتعفنّ و غير المتغيّر ، اى عدم تغيّر تلك العلوم بأوهام و شكوك و عادات باطلة و سنن ضالّة و اعتقادات فاسدة .

و هذا النهر مختصّ بالذين وصلوا في طريق الله الى مقام القلب ، و استفادوا من العلوم الإلهية الحقّة دون أى تدخّل للنفس لتغييرها .

انهار من لبن : و النوع الثانى هو الأنهار من اللبن الذى لم يتغيّر طعمه ، و هذه الأنهار هى ظهور و بروز العلوم التى كانت مفيدة للمبتدئين في الطريق الى الله ، لأنّ اللبن طعام الطفل ، و العلوم التى تتعلّق بالأفعال و الأخلاق كعلوم الشرائع و الحكمة العملية باعتبارها مقدّمة للعمل و تزكية النفس ، لذا فإنّ ظهور هذه الأنهار مختصّ بالضعفاء المستعدين للسير في منازل النفس و الذين لهم قابلية الوصول الى مقام القلب بسبب الابتعاد عن المعاصى و الأخلاق الرذيلة ، لأنّهم لم يصلوا بعد الى ذلك المقام ، فهم يتعلّمهم المقدّمات من علوم الشرائع و الأخلاق و بالعمل بها في صدد تقوية بُنيّتهم الروحية . كما أنّ عدم تغيّر طعم هذه الأنهار إشارة الى عدم تلوّث هذه العلوم بالنوايا الفاسدة و الأهواء و البدع الباطلة و الأعمال و العصبّيات الجاهليّة التى تُسقط هذه العلوم عن خاصيّتها و فضيلتها ، و تحوّلها الى سمّ مهلك .

أنهار الخمر : و النوع الثالث من الأنهار أنهارٌ من خمر لذة للشاربين ، فالخمر في الدنيا مع أنّ مادّتها خبيثة و نكهتها مُقرّفة و طعمها ردىء ، لأنّها تخدّر العقول و تسقطها من الإحساس و الإدراك ، و تهوى بالانسان الى

مضافاً البهائم ، لكن خمر الأخره جذباتٌ أهْيَه تظهر اثر تجلّيات الصفات و الأسماء فى القلب ، فتحيرّ العقول و تبهتها بحيث يسقط العقل المفكر فى العواقب و المصالح عند مشاهدة تلك الاسماء الكليّة و الصفات الالهية غير المحدودة و ينسى كلياً مراتب الوجود .

و لأنّها تمتلك هذه الخاصية فقد عبّر عنها بالخمر ، لكن هذه الخمر ترفع الانسان من مرتبة العقل و تهديه الى مرتبة أعلى و هى الشهود و القلب .

و على ذلك فإنّ أنهار الخمر هى ظهور أصناف و أنواع محبة صفات و ذات الله التى جعلها الله سبحانه للشاربين ، و هم الكاملين الواصلين الى درجة الشهود ، و الذين صارت لديهم القابلية لمشاهدة حسن تجلّيات الصفات و شهود جمال الذات ، و صاروا مؤلّهم بالجمال المطلق للحضرة الربوبية لا إدراك لهم بسببه ، و وصلوا الى مقام الروح و استغرقوا فى الأنوار الالهية ، و ستوجب لهم اللذة و البهجة و السرور و الحبور .

أنهار من عسل مصفى : و النوع الرابع من هذه الأنهار هى أنهار من عسل مصفى لا يرى فيها شىء من الشمع و الخبث و المواد القذرة . و لأنّ العسل له حلاوة زائدة ، فإنّ تلك الحلاوة التى هى من واردات عالم القدس و البوارق النورانية ، و اللذات التى توجد فى حالات مختلفة للمتوسّطين فى طريق الله ، و تعيدهم الى الله بالذوق و الوجد و التوجّه ، و توجّههم الى كمالاتهم ، فإنّها تظهر هناك فى هيئة أنهار من عسل مصفى خالٍ من الشوائب و الأكدار و تدخّلات النفس و تسويلاتها ، و هذا بالطبع مختصّ بالأفراد الذين هم فى مقام ذوق تلك الجذبات ، و الذين لم يصلوا بعد الى مرحلة السكر اثر مشاهدة التجلّيات .

و بناءً على ما سبق فإنّ أنهار اللبن هى العلوم لدى المبتدئين

و الضعفاء من سالكى طريق الله ، و أنهار العسل مختصة بالافراد المتوسطين المشغولين بملاحظة الجذبات الالهية و مشاهدة الصفات ، و أنهار الخمر مختصة بالافراد الذين نسوا وجودهم بسبب تجليات الجمال و عشق تلك الذات الأزليّة فأمّحوا فى أنوارها .

و المراد بالآية الشريفة : **وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**^١ ، الشراب الذى يطهّره و يزكّيهم من جميع التعلّقات الدنيويّة من المال و الولد و العيال و الجاه و الاعتبار ، و يرفع نفس الشارب عن هذه المراحل .

ثمّ لّ أنهار الماء الزلال غير الأسن و غير المتغيّر مختصة بالذين وصلوا الى مرحلة القلب ، و الذين طلعت و أشرقت فى قلوبهم جميع أنواع العلوم و المعارف الالهية بدون تدخّل النفس و زيغ الأهواء .

أمّا الافراد المتوسّطون الذين يَمَحُون بجمال الله اثر تجليات صفاته و مشاهدة أسمائه ، فيعمدون الى خلط قدر من نهر الزنجبيل - و هو مادة تبعث الحرارة - فى كؤوس شرابهم ليقبى طلبهم و عشقهم حيّاً على الدوام ولكى تبقى الحرارة موجودة فيهم بقدر كاف .

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا^٢

و الزنجبيل نهر يسمّى بالسلسبيل ، فهو من فرط حُسن مذاقه يمنح الشاربين حرارة الطّلب ، و بالطبع فلأنّ هؤلاء لم يصل اشتياقهم و عشقهم الى الذروة ، فأنهم لذلك لا يُسْقَوْنَ من الزنجبيل الخالص ، بل يمزجون فى كأسهم من نهر الزنجبيل فيسقونهم منها ؛ و لأنّهم لا يزالون مشتاقين للسير

١- ذيل الآية ٢١ ، من السورة ٧٦ : الدهر .

٢- الآية ١٧ و ١٨ ، من السورة ٧٦ : الدهر .

فى الصفات ، فانَّ محبَّتْهم لذلك لم تصفْ عن لذة حرارة الطلب ، فهم يهدأون و يسكنون أحياناً من واردات و تجليات الجمال ، لذا يُصبُّ فى كأسهم من عين الكافور ، و الكافور شراب بارد معطر يبعث على السكون و الارتياح .

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا^١ .

و لأنَّهم لم يصلوا الى مقام الجمع ، و لم يستغرقوا فى عين جمع الذات ، لذلك فليس لهم ذلك السكون المطلق و ذلك الهدوء من جميع الجهات ، و أتما السكون للذين وصلوا الى مرحلة العبودية المطلقة و أصبحوا من عباد الله ، فاولئك من المقربين و يسقون من أصل عين الكافور ، بالإضافة الى أنَّهم يُجرون من تلك العين فى قلب كلِّ من له قابلية و استعداد ، و يصبون منها فى كأس كلِّ فرد حسب قابليته .

و على كلِّ حال فانَّ عين الكافور هذه هى نفسها عين التسليم المختصة هى الاخرى بالمقربين ، لكنهم يصبون قدراً منها فى كأس الأبرار .

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذَلِكَ فَلَيْتِنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَ مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ^٢ .

انَّ الأبرار يشربون من شراب مختوم ، ختامه طيب و طاهر ، هى قوانين الشرع المقدس التى ملأوا بها ءانية الشراب و صانوها عن تلاعب

١- الآية ٥ و ٦ ، من السورة ٧٦ : الدهر .

٢- الآية ٢٢ الى ٢٩ ، من السورة ٨٣ : المطففين .

الشیطان ، فهم یصبّون قدراً من نهر التسنيم فى ذلك الشراب الصافى و یقدّمونه للأبرار ، لكنّ المقرّبين یُسقون من نفس عين التسنيم الجارية من أعلى نقاط الجنّة .

عين التسنيم تجرى تحت أقدام أمير المؤمنين:

انّ المستقرّ على الأعراف ، الذى یجرى التسنيم تحت أقدامه ، هو مولى الموالى أمير المؤمنين صاحب مقام الولاية الكبرى ، ذلك الذى یشرب جميع المقرّبين من العين الجارية تحت أقدامه .

كما أنّ نهر التسنيم یستمدّ مائه من قلب أمير المؤمنين علیه السلام فیسقى المقرّبين ، ثمّ یرد فى حوض الكوثر . ثمّ إنّ جميع أنواع تلك العلوم التى ذكرناها من التسنيم و الكافور و الزنجبیل و الخمر الصافى و أنهار اللبن و الماء غیر الأسن و أنهار العسل تنبع كلّها من مقام الولاية ، أى العلم المطلق ، فتجرى الى قلوب الشيعة و الموالين أينما كانوا و حیثما حلّوا ، فتروى كلّ واحد من الناس بدوره حسب قابليّته و ظرفيّته .

ساقى حوض الكوثر:

وردت كثير من الروایات المستفیضة عن الأئمة سلام الله عليهم فى أنّ ساقى حوض الكوثر هو أمير المؤمنين علیه السلام ، فهو یسقى موالیه بالأقداح التى توزّعت على جوانب الحوض ، و ینزود عن الحوض بالعصا التى فى يده أعداء أهل بیت العصمة .

الآننا نذكر بعض الروایات المنقولة عن العامّة فى هذا الباب ، فیروى محبّ الدين احمد بن عبد الله الطبرى ، عن أبى سعيد الخدرى قال :

قال رسول الله صلّى الله علیه [و ءاله] و سلّم : يَا عَلِيُّ مَعَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَصَا مِنْ عَصَى الْجَنَّةِ تُذَوِّدُ بِهَا الْمُنَافِقِينَ عَنِ الْحَوْضِ . أخرجه

الطبرانى^١.

يقول القندوزى الحنفى : أخرج أبو المؤيد أخطب الخطباء الموفق بن أحمد الخوارزمى عن سيّد الحفظ أبى منصور شهردار ابن شيرويه الديلمى بسنده ، عن زيد بن على بن الحسين ، عن أبيه ، عن جدّه أمير المؤمنين على رضى الله عنهم ، ثم ينقل رواية مفصلة و من جملة فقراتها يقول :

يَا عَلِيُّ ... وَإِنَّكَ غَدًا عَلَى الْحَوْضِ خَلِيفَتِي ، وَأَنْتَ أَوْلُ مَنْ يَرِدُ عَلَى الْحَوْضِ ، وَأَنْتَ تَذُودُ الْمُنَافِقِينَ عَنْ حَوْضِي ، وَأَنْتَ أَوْلُ دَاخِلٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ أُمَّتِي ، وَإِنَّ مُحِبِّكَ وَاتِّبَاعَكَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ ، وَآءٌ مَرَوِّينَ ، مُبَيَّضَةٌ وَجُوهُهُمْ حَوْلِي ، أَشْفَعُ لَهُمْ فَيَكُونُونَ غَدًا جِيرَانِي ، وَإِنَّ أَعْدَاءَكَ غَدًا ظِمَاءٌ مُظْمَئِينَ مُسَوَّدَةٌ وَجُوهُهُمْ ، يُضْرَبُونَ بِالْمَقَامِعِ وَهِيَ سَيَاطٌ مِنْ نَارٍ مُقَمَّحِينَ ، الحديث^٢.

و يقول أيضاً : أخرج أبو نعيم الحافظ ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم لعلي رضى الله عنه : أَنْتَ يَا عَلِيُّ عَلَى حَوْضِي تَذُودُ عَنْهُ الْمُنَافِقِينَ ، وَإِنَّ أَبَارِيقَهُ عَدَدَ نَجُومِ السَّمَاءِ ، وَأَنْتَ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَحَمْزَةٌ وَجَعْفَرٌ فِي الْجَنَّةِ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ، وَأَنْتَ وَاتِّبَاعَكَ مَعِي ، ثُمَّ قَرَأَ : (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ)^٣.

و يقول أيضاً : و فى جمع الفوائد : جابر و أبوهريرة رفعاه :
على بن أبى طالبٍ صاحب حوضي يوم القيامة . للأوسط^٤.

١- (ذخائر العقبى) ، ص ٩١ .

٢ و ٣ و ٤- (ينابيع المودة) ، ص ١٣٠ .

و يقول أيضاً : أبوسعيد رفعه :

يَا عَلِيُّ ! مَعَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَصًا مِنْ عَصَى الْجَنَّةِ تَذُودُ بِهَا الْمُنَافِقِينَ
عن حَوْضِي . للأوسط^١.

و يقول : و في (جواهر العقدين) ، أخرج الطبراني عن أبي كثير قال :
كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ
لَهُ : إِنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ خَدِيجٍ يَسُبُّ أَبَاكَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَيْتَهُ
مِنْ بَعْدُ ، ارْنِيهِ ! فَرَأَاهُ يَوْمًا فَأَرَاهُ ذَلِكَ الرَّجُلَ ،
فَقَالَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَابْنِ خَدِيجٍ : أَنْتَ تَسُبُّ أَبَايَ عِنْدَ ابْنِ
آكِلَةِ الْأَكْبَادِ ؟

أَمَا لَيْتَ وَرَدْتَ عَلَى الْحَوْضِ وَمَا أَرَاكَ تَرُدُّهُ ، لَتَجِدَنَّ أَبِي مُشَمَّرًا
حَاسِرًا ذِرَاعَيْهِ ، يَذُودُ الْمُنَافِقِينَ عَنْ حَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
[وءاله] و سَلَّمَ وَ هَذَا قَوْلُ الصَّادِقِ الْمُصَدِّقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وءاله]
و سَلَّمَ^٢.

و يقول أيضاً : لأحمد في (المناقب) ، لَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
[وءاله] و سَلَّمَ قَالَ : أُعْطِيتُ فِي عَلِيٍّ خَمْسٌ ، هُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا
فِيهَا ، ...

إِلَى أَنْ قَالَ : وَ أُمَّا الثَّالِثَةُ فَهُوَ أَقْفٌ عَلَى حَوْضِي يَسْقِي مَنْ عَرَفَهُ مِنْ
أُمَّتِي^٣.

و يقول أيضاً : و في (المناقب) ، عن سيعد بن جبير ، عن ابن عباس
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وءاله] و سَلَّمَ :

١ و ٢ و ٣ - (ينابيع المودة) ، ص ١٣٢ .

يَا عَلِيُّ، أَنْتَ صَاحِبُ حَوْضِي ، وَصَاحِبُ لَوَائِي ، وَحَبِيبُ قَلْبِي ،
وَوَصِيِّ ، وَوَارِثُ عِلْمِي ، وَأَنْتَ مُسْتَوْدَعُ مَوَارِيثِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي ،
وَأَنْتَ أَمِينُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَحُجَّةُ اللَّهِ عَلَى بَرِيَّتِهِ ، وَأَنْتَ رُكْنُ الْإِيمَانِ ،
وَعَمُودُ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْتَ مِصْبَاحُ الدُّجَى ، وَمَنَارُ الْهُدَى ، وَالْعَلَمُ الْمَرْفُوعُ
لِأَهْلِ الدُّنْيَا ، يَا عَلِيُّ ، مَنْ اتَّبَعَكَ نَجَى ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْكَ هَلَكَ ، وَأَنْتَ
الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، وَأَنْتَ فَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ
وَيَسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْتَ مَوْلَى مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ ، وَأَنَا مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ
وَمُؤْمِنَةٍ ، لَا يُحِبُّكَ إِلَّا طَاهِرُ الْوِلَادَةِ ، وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا خَيْثُ الْوِلَادَةِ ، وَمَا
أَعْرَجَنِي رَبِّي عَزَّوَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ وَكَلَّمَنِي رَبِّي إِلَّا قَالَ : يَا مُحَمَّدُ اقْرَأْ
عَلَيَّ مِنْ السَّلَامِ وَعَرِّفْهُ أَنَّهُ إِمَامٌ وَلِيائِي وَنُورُ أَهْلِ طَاعَتِي ، وَهِنِيَّا لَكَ
هَذِهِ الْكَرَامَةُ ١ .

و يقول ابن شهر آشوب : و في أخبار أبي رافع من خمسة طرق :
قال النبي صلى الله عليه و آله :

يَا عَلِيُّ تَرُدُّ عَلَيَّ الْخَوْضَ وَشَيْعَتَكَ رُوءَاءَ مَرْوِيِّينَ ، وَ يَرُدُّ عَلَيْكَ
عَدُوُّكَ ظِمَاءً مُقْمَحِينَ ٢ .

و جاء في تفسير قوله تعالى : وَ سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ، يَعْنِي
سَيِّدُهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الرَّبَّ بِمَعْنَى السَّيِّدِ ، قَوْلُهُ
تَعَالَى : وَ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ٣ .

الفايق (للزمخشري) : إِنَّ النَّبِيَّ قَالَ لِعَلِيٍّ : أَنْتَ الذَّاكِنُ عَنْ حَوْضِي
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، تَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يُذَادُ الْأَصِيدُ الْبَعِيرُ الصَّادِي ، أَيْ الَّذِي

١- (ينابيع المودة) ، ص ١٣٣ .

٢ و ٣ - (مناقب ابن شهر آشوب) ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

بِهِ الصَّيْدُ ، وَ الصَّيْدُ دَاءٌ يَلْوِي عُثْقَهُ ¹.

و يقول الحميري شاعر أهل البيت سلام الله عليهم:

أُوْمَلُ فِي حُبِّهِ شِرْبَةً مِنْ الْحَوْضِ تَجْمَعُ أَمْنًا وَ رِيًّا
إِذَا مَا وَرَدْنَا غَدًا حَوْضَهُ فَأَدْنَى السَّعِيدِ وَ ذَادَ الشَّقِيَّا
مَتَى يَدُنْ مَوْلَاهُ مِنْهُ يَقْلُ رَدَ الْحَوْضِ وَ اشْرَبَ هَنِيئًا
وَ إِنْ يَدُنْ مِنْهُ عَدُوُّ لَهُ يَذْدَهُ عَلَى مَكَانًا قَصِيًّا ².

و يقول أيضاً في غاصبي مقام الولاية ضمن قصيدة طويلة :

وَ زَمَعُوا غَدْرًا بِمَوْلَاهُمْ تَبَا لِمَا كَانُوا بِهِ زَمَعُوا
لَاهُمْ عَلَيْهِ يَرُدُّوا حَوْضَهُ غَدًا وَ لَا هُوَ فِيهِمْ يَشْفَعُ
حَوْضٌ لَهُ مَا بَيْنَ صَنَعَا إِلَى أَيْلَةَ أَرْضِ الشَّرَامِ أَوْ وَسَعُ
يُنْصَبُ فِيهِ عِلْمٌ لِلْهُدَى وَ الْحَوْضُ مِنْ مَاءٍ لَهُ مُتَرَعُ
يَفِيضُ مِنْ رَحْمَتِهِ كَوَثَرُ أَيُّضُ كَالْفِضَّةِ أَوْ أَنْصَعُ
حَصَاهُ يَاقُوتٌ وَ مَرْجَانَةٌ وَ لَوْلَوْ لَمْ تَجْنِهْ إِصْبَعُ
بَطْحَاؤُهُ مِسْكٌ وَ حَافَاتُهُ يَهْتَزُّ مِنْهَا مَوْنَقٌ مُوْنَعُ
أَخْضَرُ مَادُونِ الْجَنِيِّ نَاضِرُ وَ فَاقِعُ أَصْفَرُ مَا يَطْلَعُ
وَ الْعِطْرُ وَ الرِّيحَانُ أَنْوَاعُهُ تَسْطَعُ إِنْ هَبَّتْ بِهِ زَعَزَعُ
رِيحٌ مِنَ الْجَنَّةِ مَأْمُورَةٌ دَائِمَةٌ لَيْسَ لَهَا مَنَزَعُ
إِذَا مَرَّتْ فَاحَ مِنْ رِيحِهِ أَزْكَى مِنَ الْمِسْكِ إِذَا يَسْطَعُ
فِيهِ أَبَارِيقُ وَ قِدْحَانُهُ يَذُبُّ عَنْهَا الْأَنْزَعُ الْأَصْلَعُ

١- (مناقب ابن شهر آشوب) ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

٢- (ديوان الحميري) ، ص ٤٦٤ ؛ و تخريجها من (المناقب) ، ج ٢ ، ص ١٦٢ و ٢٢٣ ،

و (أعيان الشيعة) ، ج ١٢ ، ص ٢٧٦ .

يَذُبُّ عَنْهُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ذَبَكَ حَرْبِي إِبِلَ تَشْرَعُ
إِذَا دَنَوْا مِنْهُ لِكَيْ يَشْرَبُوا قِيلَ لَهُمْ تَبَّأَ لَكُمْ فَارْجِعُوا
دُونَكُمْو فَالْتَمِسُوا مِنْهَلًا يُرَوِّكُمُ أَوْ مَطْعَمًا يُشْبِعُ
هَذَا لِمَنْ وَالَى بَنَى أَحْمَدٍ وَلَمْ يَكُنْ غَيْرَهُمْ يَتَّبِعُ
فَالْفَوْزُ لِلشَّارِبِ مَنْ حَوْضِهِ وَالْوَيْلُ وَالذَّلُّ لِمَنْ يُمْنَعُ^١

و الخلاصة فهذا الحوض هو معدن علم أمير المؤمنين عليه السلام الذى يُحيى الأرواح و يشفى القلوب ، من دخله أعمى صار مُبْصِراً ، و من ورده أسود صار أبيضاً ، و من دخله مريضاً شُفى ، و من دخله محترقاً وجد روحاً جديدة ، و لذا فإنّ هذا الحوض يجرى من الأعراف و هو مقام أمير المؤمنين ، و يجرى من التسليم و هو علمه عليه السلام ، و لا مقام أعلى منه إلاّ عرش الله الذى يُشير الى مقام الحقيقة النبويّة .

قال الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله فى حديثه المتفق عليه لدى الفريقين :

أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ عَلَى بَابِهَا^٢.

١- (ديوان الحميرى) ، ص ٢٦١ ؛ و قد أخرج هذه القصيدة عن (بحار الأنوار) و(مجالس المؤمنين) و (الغدیر) و (أعيان الشيعة) و (ضحى الاسلام) و (الأغانى) و (ظرافة الأحلام) .

٢- (كنز العمال) ، ج ١٢ ، الحديث ١١٣٠ ، طبع الهند ١٣٨٤ ؛ و (وسائل الشيعة) الطبعة الحروفية ، ج ١٨ ، ص ٥٢ .

الدَّرْسُ الْحَادِي عَشَرَ

مَعْنَى وَتَجِيءُ الْخَبِيرَاتُ إِلَى الْإِسْمَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم
و صلّى الله على محمد و ءاله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين
و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ^١.

بحثنا في المباحث السابقة في كيفية الهداية بأمر الله و شرائط تحققها
من خلال ما استنتجناه من الآيات القرآنيّة ، و نبحت الآن في الجملة
الأخرى من الآية ، القائلة : وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ لنستنتج معناها
بحول الله و قوّته .

معني ايحاء الخيرات الي الأئمة:

يقول الله تعالى في هذه العبارة الشريفة انّ نفس الأعمال الخيرة التي
كانوا يعملونها هي من وحيننا ، لأنّ المصدر المضاف يفيد تحقق الفعل في
الخارج ، فاذا قال أحد : يُعْجِبُنِي إِحْسَانُكَ وَفِعْلُكَ الْخَيْرَ ، فأنّه يُستفاد منه
انّ الإحسان و فعل الخير الذي عملته قد سرّني . أمّا اذا أرادوا أن يقولوا إنّ
إحسانك و فعلك الخير بعد هذا يسرّني ، فأنّهم لا يضيفون المصدر ، بل أمّا

١- الآية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

يقطعونه عن الإضافة أو أن يذكروا الفعل مع (أن المصدرية)، فيقولون :
يُعجبني أن تُحسن و أن تفعل الخير ، أو يقولون : يعجبني الإحسان لك
و الفعل لك .

شأن ذلك شأن الآيات التي بُيّنت في القرءان بعنوان تشريع
الأحكام ، و يقصد بها الإتيان بتلك الأفعال في الزمان المستقبل لوقت
الخطاب ، فاستعمل في تلك الآيات (أن المصدرية) .

مثل (أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ) ^١، و (أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ) ^٢، و (أَلَّا
تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) ^٣، و (أَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ) ^٤.

معنى الوحي التكويني:

أما في الآية مورد البحث ، فهو لا يقول : وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ أَنْ يَفْعَلُوا
الْخَيْرَاتِ ، بل يقول : لَنْ الْأَفْعَالِ الْخَارِجِيَّةِ الَّتِي تَصْدُرُ مِنْهُمْ هِيَ عَيْنُ وَحِينَا ،
و ائنا أوحينا اليهم الأفعال الخيرة التي يعملونها ، و في هذه الحال فإن نفس
فعلهم هو مورد الوحي . و ينبغي أن نرى - بناءً على هذا - كيف يمكن ان
يكون الفعل مورد الوحي ؟ و نأتى بشاهد من القرءان الكريم لبيان هذا الأمر :
وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ
وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكِ ذَلَّلًا يَخْرُجُ
مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ^٥.

١- ذيل الآية ١٨٤ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- مقطع من الآية ١١ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

٣- صدر الآية ٢٦ ، من السورة ١١ : هود .

٤- صدر الآية ٧٢ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٥- الآية ٦٨ و ٦٩ ، من السورة ١٦ : النحل .

فهل هذا الوحى الذى أوحاه الله تعالى للنحل مثل الوحى الى قلوب الأنبياء ؟

فالوحى يصل الى قلب النحل فى كل لحظة أن اصنعى هذا النوع من البيوت ، واسكنى هنا ، وقفى على هذه الوردة ، ثم على تلك الوردة ! ولا تقفى على الوردة ذات الرائحة الكريهة ! أو لن الأمر ليس كذلك ، بل لن الله سبحانه خلق هذا الحيوان اللطيف العجيب بحيث ائها لا تعمل شيئاً إلا بإرادة الله . فهذا الحيوان المعصوم يسير دون لى تدخل للنفس الأمارة والأمال الباطلة و حب الشخصية وفق برنامج معين عينه الله تعالى له فى عالم التكوين ، و يسير فى كل لحظة بأمر و إذن رب العالمين ، فينتقل حسب دعوة الفطرة من هذه الوردة الى تلك ، و يتناول رحيق الوردة ذات الرائحة الجيدة ، و يصنع بيتاً هندسياً بشكل عجيب فى السقوف و الجبال و الأشجار . و هذا الوحى يُدعى بالوحى التكويني ، اى لن الله سبحانه و تعالى ينظم فى عالم التكوين و الخارج حركات ذلك الحيوان و سكناته دون تدخل أى أمر خارجى يُخرجه من الصراط المستقيم فى سيره التكاملى ، كما يحرّكه فى السبل و طرق السعادة و الأعمال الحسنة حسب برنامج الخلقة .

وحى الخيرات للأئمة:

تقول الآية القراءنية المباركة : **وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ** ، اى ان جميع الأفعال الحسنة التى تظهر عنهم هى بإذننا و أمرنا ، و لن ملكوتها بيدنا ، و بالنتيجة فان أعمالهم تصدر منهم دون لى تدخل للفكر النفسانى و الهوى و العُجب .

فهم لا يفكروّن و لا يفعلون بالاعتبار شيئاً للمحافظة على مصالحهم ، و لا يقعون فى اعتبارات واهية من أجل فعل ما ، فيفعلوه على أساس

مصلحةٍ خياليّة ، بل انهم اجتازوا جميع هذه المراحل ، فصارت إرادتهم إرادة الله ، و صار فعلهم يصدر عن ضمير طاهر بلا مواربة و لا خيانة و بلا شائبة من التفكير بالمصلحة أو ملاحظة للأجر و الثواب أو تفكيرٍ بعاقبة . هؤلاء هم الذين جزأؤهم نفس فعلهم ، فليسوا فى صدد جزاء خارج عن نفس فعلهم و حقيقته .

هذا الفعل هو فعل الله الذى يطلع بإرادة الله من مرءة وجودهم و صُقع نفوسهم ، و يظهر من مصدر تجلّى وجودهم ، و لذلك يمكن القول أنّ نفس فعلهم هو وحى الله . إنّ الانسان مالم تبصر عينه جمال ربّه فينسى تدريجاً مراتب وجوده و يصبح موجوداً بالله تبارك و تعالى ، فأنه سيرى أنّ جميع أفعاله صادرة عن نفسه ، و سيقوم بها حتماً من أجل غايةٍ و هدف . لكنّه اذا تقدّم بقدّم صدق فى مرحلة العبوديّة فأنه سوف يتأثّر تدريجاً بمشاهدة قدرة الله و علمه المطلق و بانكشاف مراحل التوحيد فى وجوده ، فيصبح لا يدرك وجوداً لنفسه بعدُ ليقوم بعمل ما لحفظه أو لاستجلاب منفعةٍ له و دفع الضرر عنه ، و سيرى نفسه خاضعاً مستسلماً بيد القدرة الالهية كالعجينة فى القبضة القويّة ، و سيرى وجوده سراباً اثر بزوغ شمس الحقيقة و مشاهدة الجمال المطلق و العلم و الحياة المطلقة ، فلا يمكنه أن يعمل لنفسه و لمصلحته ، و سيكون كلّ ما يصدر عنه فى هذه الحال هو عمل الحق فقط .

كما يقول سُبْحانه فى الحديث القدسىّ الذى رواه الفريقان : لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أُحِبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ وَ بَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ وَ لِسَانَهُ الَّذِى يَنْطِقُ بِهِ وَ يَدَهُ الَّتِى يَبْتَطِشُ بِهَا .^١

١- وردت مصادر هذا الحديث فى كتاب (معاد شناسى) = معرفة المعاد ، المجلد ٢

اى الله لن يعدّ أذنه ملكاً له ، بل لنّ أذنه مجرىّ يسمع الله بها ، و عينه وسيلة يرى الله بها ؛ و تدلّ الآية المباركة القرآنية :

وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ١ ، على هذا المقام . كما لنّ الآية المباركة : يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ٢ ، تدلّ على هذا المعنى أيضاً .

تحقق شرائط الإمامة:

و عموماً فأنه يُستفاد من الآية المباركة : وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، أنّ الإمام هو من توجّب عليه حقّاً اجتياز مراحل النفس و الورود فى مراحل التوحيد الحقيقى ، و مع طلوع الشمس المشرقة على العالم و ظهور ذات الحقّ المقدّسة جلّ و علا فى مرايا الكائنات و تجلّيها فى الماهيات الإمكانية ، فإنّ عليه ان لا يرى فى نفسه ظهوراً أو بروزاً ، بل عليه أن يجعل أصل وجوده مندكاً فى وجود حضرة مفيض الوجود ، ليصبح فعله و حركته و سكونه و قيامه و قعوده و حربته و سلمه فعل الله .

و لو وصل امرؤ ما الى هذه المرحلة كان له قابليّة الإمامة بإذن الله ، و الآخر فلا ، و ذلك لأنّ الإمام يعنى مَنْ يهدى المأموم الى مقامه و مقصده ، فمن لم يخرج من شوائب النفس الأمّارة إذا أصبح إماماً فأنه سيدعو جميع المأمومين الى مقامه و محلّه ، أى للميول و الرغبات النفسية . و من الواضح انّ هذه الدعوة ليست دعوةً الى الله بل دعوةً للنفس . و الإمام بهذه الخاصيّة التى ذُكرت ، لأنّ فعله فعل الحقّ و قوله قول الحقّ لذا فهو حجّة ، لأنّ فعل و قول الحقّ حجّة .

⇐ الثانى ، المجلس التاسع .

١- مقطع من الآية ١٧ ، من السورة ٨ : الأنفال .

٢- مقطع من الآية ١٠ ، من السورة ٤٨ : الفتح .

و بناءً على هذا يجب اتباعه (اي الإمام) و عدم انتقاد فعله ، لأنّ انتقاد فعل الإمام يعنى انتقاد فعل الحقّ ، و على الناقد ان يرجع الى ذاته ليجد العيب و الخلل هناك ، لأنّها نسبت - لجهلها و عدم معرفتها بالإمام - العيب اليه .

كما يمكن ان يكون هناك كثير من الأفراد الطيّبين ذوى الأعمال الصالحة ، لكنّهم لم يتخطّوا ذواتهم خارجاً ، لذا فإنّهم لم يتعرّفوا على الإمام ، لأنّ الإمامة فى غاية الرفعة و السمو .

ثورة زيد بن على بن الحسين لم تكن بأمر من الإمام:

ينقل المرحوم الكليني فى (أصول الكافى) ، كتاب الحجّة ، بإسناده عن أبان عن الأحول ^١ ، أنّ زيد بن على بن الحسين عليهما السلام بعث اليه و هو مستخفٍ ، قال : فأتيته .

فقال لى : يا أبا جعفر ما تقول إنّ طرّكك طارقٌ ممّا أخرجُ معه ؟

قال : فقلتُ له : إنّ كان أباك [الإمام على بن الحسين] أو أخاك [الإمام محمد الباقر] خرجتُ معه .

قال : فقال لى : فأنا أريد أن أخرج أجاهد هؤلاء القوم فاخرج معى .

قال : قلتُ لا ما أفعل جعلتُ فداك .

قال : فقال لى : أترغب بنفسك عني ؟

قال : قلتُ له : إنّما هى نفسٌ واحدة ، فإنّ كان لله فى الأرض حجة

فالمختلّفُ عنك ناجٍ و الخارجُ معك هالكٌ ، و إنّ لا تكن لله حجة فى الأرض

١- هو محمد بن النعمان ، من خواص اصحاب الامام الصادق عليه السلام ، و كان

يُدعى بـ (مؤمن الطاق) لأنّه كان يمتلك دكة تحت الطاق ، لكن أهل السنة لقبوه بـ (شيطان

الطاق) لمهارته فى المناظرة و للعداء الذى يكتّه بعضهم لأهل البيت عليهم السلام .

فالمُتخَلَّفُ عنك و الخارجُ معك سواء .

قال : فقال لي : يا أبا جعفر كنتُ أجلس مع أبي عليّ الخوان فيُلْقِمَنِي البَضْعَةَ السَّمِينَةَ و يَبْرُدُ لِي اللِّقْمَةَ الحَارَّةَ حَتَّى تَبْرُدَ شَفَقَةً عَلَيَّ و لم يَشْفُقْ عَلَيَّ من حرِّ النارِ إِذَا أَخْبَرَكَ بالدين و لم يُخْبِرَنِي به ؟

فقلتُ له : جُعِلَتْ فِدَاكَ مِنْ شَفَقَتِهِ عَلَيْكَ من حرِّ النارِ لم يُخْبِرَكَ ؛ خَافَ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَقْبَلَهُ فَتَدْخُلَ النَّارَ و أَخْبَرَنِي أَنَا ، فَإِنْ قَبِلْتُ نَجَوْتُ و إِنْ لَمْ أَقْبَلْ لَمْ يُبَالِ أَنْ أَدْخُلَ النَّارَ .

ثمَّ قلتُ له : جُعِلَتْ فِدَاكَ أَنْتُمْ أَفْضَلُ أَمْ الْأَنْبِيَاءُ ؟ قال : بل الأنبياء . قلتُ : يقول يعقوبُ ليوسفَ عليهما السلام : يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا^١ ، لِمَ لَمْ يُخْبِرْهُمْ حَتَّى كَانُوا لَا يَكِيدُونَهُ وَلَكِنْ كَتَمَهُمْ ذَلِكَ ، فَكَذَا أَبُوكَ كَتَمَكَ لِأَنَّهُ خَافَ عَلَيْكَ .

قال : فقال : أما واللَّهِ لئن قُلْتُ ذَلِكَ لَقَدْ حَدَّثَنِي صَاحِبُكَ بِالْمَدِينَةِ أَتَى أُقْتِلَ و أُصَلَّبَ بِالْكِنَاسَةِ و لَنْ عِنْدَهُ لَصَحِيفَةٌ فِيهَا قَتْلِي و صَلْبِي .

فَحَجَجْتُ فَحَدَّثْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَقَالَةِ زَيْدٍ و مَا قُلْتُ لَهُ ، فَقَالَ لِي : أَخَذْتَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ و مِنْ خَلْفِهِ و عَنْ يَمِينِهِ و عَنْ شِمَالِهِ و مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ و مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ و لَمْ تَتْرُكْ لَهُ مَسْلَكًا يَسْلُكُهُ^٢ .

لَقَدْ كَانَ لَزِيدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ مَقَامُ شَامَخ ، و كَانَ مَشْهُورًا بِالتَّقْوَى و الزَّهْدِ و الْغِيْرَةِ و الْإِيْثَارِ و الْإِنْفَاقِ و الْعِبَادَةِ ، و عِنْدَمَا اسْتَشْهَدَ تَأَثَّرَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِ كَثِيرًا و بَكَى و تَرَحَّمَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ و مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ فَقَدْ كَانَ مَقَامُ الْإِمَامِ شَيْئًا آخَرَ لَمْ يَكُنْ زَيْدٌ يَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا .

١- صدر الآية ٥ ، من السورة ١٢ : يوسف .

٢- (أصول الكافي) ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

حركة الإمام و سكونه كلاهما صحيح:

لقد نفذ صبر زيد أمام انحراف هشام بن عبد الملك و جرائمه ، و لم يكن له سعة صدر ليتحمّل هذه الأمور ، فقام بثورته ضده ، أمّا الإمام فآثمه لا يكلّ أبداً من التصدّي للظلم ، و لأنّ نفسه لا تضيق فآثمه لا يُقدم على المواجهة الدمويّة ما دام ذلك فى غير صالح الاسلام و المجتمع الاسلامى ، و لا يتأثّر بإحساساته أو إحساسات جلسائه أو إلقاء آتهم ، فهو لا يمتلك حسّ الانتقام ، و لا يُقدم على عمل ليرضى رغبته و ليشفى غرائزه ، بل انّ أعماله كلّها وفق أعلى برامج الإنسانيّة لهداية الخلق الى أعلى درجة الكمال ، و فى هذه الحال فإنّ حربه و سلمه كلاهما مصلحة ، و كلاهما من فعل الله تعالى ، و حركته و سكونه من أفعال الله أيضاً و يجب اتّباعه فيهما .

و الخلاصة فإنّ مقام الإمامة هو الالتزام برسالة الله و هداية نفوس الناس الى الله ، و ليس هناك من يليق بهذا المقام الاّ من اتّسعت نفسه و فاز بعلوم الله و صار حيّاً بحياة الله و أفلح فى الامتحانات الالهية و تجاوز مراحل النفس كلياً .

و لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه و آله ، و كان الرسول الأكرم يصرّح بهذا الأمر فى مواطن كثيرة ، و لم يكن هذا التصريح بالطبع من وجهة نظر الظاهر و المجاملات الإعتباريّة و البلاغات العاديّة للناس ، بل كان ذلك على أساس إدراك للواقع و الوقوف على مراتبه و قابليّاته و مقاماته اللامتناهية ، فهي كاشفة و مظهره لتلك الواقعيّة .

و حسب تصريح الآية القرآنيّة فى قضية المباهلة ، فقد عُدتّ نفس أمير المؤمنين نفس رسول الله و اعتُبرت بمنزلة نفس النّبى الأكرم ، كما قد

اعترف الفخر الرازى فى ذيل تفسير آية المباهلة بهذه الحقيقة .

يقول القندوزى : أخرج صاحب (المناقب) عن جعفر الصادق ، عن أبيه ، عن جدّه علىّ بن الحسين : أنّ الحسن بن علىّ (عليهم السلام) قال فى خطبته :

قال الله تعالى لجدّى صلى الله عليه [و آله] و سلّم حين جحدّه كفره أهل نجران و حاجّوه :

فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ^١ .

فَأَخْرَجَ جَدّى صلى الله عليه [و آله] و سلّم معّه من الأنفس أبى ، وَ مِنَ الْبَنِينَ أَنَا وَ أَخِي الْحُسَيْن ، وَ مِنَ النِّسَاءِ فَاطِمَةُ أُمِّى ، فَنَحْنُ أَهْلُهُ وَ لَحْمُهُ وَ دَمُهُ وَ نَفْسُهُ ، وَ نَحْنُ مِنْهُ وَ هُوَ مِنَّا .

ثم قال : و فى (عيون الأخبار) عن الريّان بن الصلت ، قال الرضا رضى الله عنه : عَنِ اللَّهِ مِنْ أَنْفُسِنَا نَفْسَ عَلَىّ ، وَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ صلى الله عليه [و آله] و سلّم : لَتَنْتَهِيَنَّ بَنُو وَلِيْعَةٍ أَوْ لَابِعَتْنِ إِلَيْهِمْ رَجُلًا كَنَفْسِي يَعْنِي عَلَىّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَهَذِهِ خُصُوصِيَّةٌ لَا يُلْحَقُهُمْ فِيهِ بَشَرٌ . و قد تقدّم فى الباب الخامس ^٢ .

ثم يقول : أخرج أحمد [بن حنبل] فى (المسند) عن عبد الله بن حنطب قال : قال رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم لوفد ثقيف حين جاؤه . لَتُسَلِّمَنَّ أَوْ لَأُبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا كَنَفْسِي لِيَضْرِبَنَّ أَعْنَاقَكُمْ ، وَ لَيَسْبِيَنَّ ذُرَارِيَكُمْ وَ لَيَأْخُذَنَّ أَمْوَالَكُمْ ، فَالْتَفَتَ إِلَى عَلَىّ وَ أَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ : هَذَا هُوَ

١- الآية ٦١ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٢- (ينابيع المودة) ، ص ٥٢ و ٥٣ .

(مرتين) ١.

و يقول أيضاً : أخرج أحمد بن حنبل في (المسند) و في (المناقب) :
ان رسول الله قال : لَتَنْتَهَيْنَ يَا بَنِي وَكَيْعَةَ ، أَوْ لَأُبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا كَنَفْسِي
يُمَضِي أَمْرِي ، يَقْتُلُ الْمُقَاتِلَةَ ، وَ يَسْبِي الذَّرِيَّةَ ، فَالْتَفَتَ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخَذَ
بِيَدِهِ وَقَالَ : هُوَ هَذَا (مرتين) .

ثم يقول : و قد أخرج الموفق بن أحمد الخوارزمي عين هذا الحديث
بنفس الألفاظ ٢.

و ينقل أيضاً من كتاب (المشكاة) عن حبيش بن جنادة رضى الله
عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلم : عَلِيٌّ مِنِّي وَ أَنَا مِنْ عَلِيٍّ
وَ لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ .

ثم يقول : روى الترمذى هذا الحديث ، و رواه أيضاً أحمد بن حنبل
عن حبيش بن جنادة . و يقول الترمذى : هذا حديث حسن غريب صحيح .
كما روى هذا الحديث عن ابن ماجة عن ابن جنادة ٣.

و يقول أيضاً أنه رواه في (المشكاة) عن عمران بن حصين رضى الله
عنه قال :

ان النبي صلى الله عليه [و ءاله] و سلم قال : إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ وَ
هُوَ وَلِيٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي . رواه الترمذى ٤.

و يقول الحمويني في (فرائد السمطين) باسناده عن على كرم الله
وجهه قال : أَهْدَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] و سلم قَتْنُ مَوْزٍ ،

١ و ٢ - (ينابيع المودة) ، ص ٥٣ .

٣ و ٤ - (ينابيع المودة) ، ص ٥٤ .

فَجَعَلَ يَقْشُرُ الْمَوْزَ بِيَدِهِ وَيَجْعَلُهَا فِي فَمِي ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ !
إِنَّكَ تُحِبُّ عَلِيًّا !

قال : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ ¹ .

و يقول أيضاً : روى أحمد بن حنبل في مسنده عن حبيش بن جنادة
السلولي قال : سمعتُ رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] و سلم يقول : عَلِيٌّ
مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَلَا يُودِي عَنِّي إِلَّا أَنَا وَ عَلِيٌّ ² .

و يقول أيضاً : في كتاب (المناقب) ، عن عطية بن سعد العوفي ، عن
مخدوج بن يزيد الذهلي قال : نَزَلَتْ آيَةٌ (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ)

فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَنْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ؟

قال : مَنْ أَطَاعَنِي ، وَوَالَى عَلِيًّا مِنْ بَعْدِي ، وَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
الله عليه [وآله] و سلم بِكَفِّ عَلِيٍّ فَقَالَ : إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي ، وَأَنَا مِنْهُ ، فَمَنْ
حَادَهُ فَقَدْ حَادَنِي ، وَمَنْ حَادَنِي أَسْخَطَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .
ثُمَّ قَالَ : يَا عَلِيُّ ! حَرْبُكَ حَرْبِي ، وَ سَلَامُكَ سَلَامِي ، وَأَنْتَ الْعَلَمُ
بَيْنِي وَ بَيْنَ أُمَّتِي .

قال عطية : سَأَلْتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ عَنْ حَدِيثٍ مَخْدُوجٍ قَالَ : أَشْهَدُ اللَّهَ
لَقَدْ حَدَّثَنَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ³ .

الخصال الموجودة في أمير المؤمنين:

و يقول القندوزي أيضاً : و في (المناقب) عن جابر بن عبد الله رضي
الله عنهما قال : لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عليه [وآله] يقول :
فِي عَلِيٍّ خِصَالٌ لَوْ كَانَتْ وَاحِدَةً مِنْهَا فِي رَجُلٍ اكْتَفَى بِهَا فَضْلاً

١- (ينابيع المودة) ، ص ٥٤ .

٢ و ٣- (ينابيع المودة) ص ٥٤ و ٥٥ .

وَشَرَفًا .

قوله صلى الله عليه [وآله] و سلم : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّْ مَوْلَاهُ .

و قوله : عَلَيَّ مِنْى كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى .

و قوله : عَلَيَّ مِنْى وَ أَنَا مِنْهُ .

و قوله : عَلَيَّ مِنْى كَنَفْسَى ، طَاعَتُهُ طَاعَتِى ، وَ مَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَتِى .

و قوله : حَرْبُ عَلِيٍّ حَرْبُ اللَّهِ ، وَ سَلَامُ عَلِيٍّ سَلَامُ اللَّهِ .

و قوله : وَلِىُّ عَلِيٍّ وَلِىُّ اللَّهِ وَ عَدُوُّ عَلِيٍّ عَدُوُّ اللَّهِ .

و قوله : عَلَيَّ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ .

و قوله : حُبُّ عَلِيٍّ إِيمَانٌ وَ بُغْضُهُ كُفْرٌ .

و قوله : حِزْبُ عَلِيٍّ حِزْبُ اللَّهِ ، وَ حِزْبُ أَغْدَائِهِ حِزْبُ الشَّيْطَانِ .

و قوله : عَلَيَّ مَعَ الْحَقِّ وَ الْحَقُّ مَعَهُ لَا يَفْتَرِقَانِ .

و قوله : عَلَيَّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ .

و قوله : مَنْ فَارَقَ عَلِيًّا فَقَدْ فَارَقَنِى ، وَ مَنْ فَارَقَنِى فَارَقَ اللَّهَ .

و قوله صلى الله عليه [وآله] و سلم : شِيعَةُ عَلِيٍّ هُمُ الْفَائِزُونَ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ .

و يُستفاد من مجموع هذه الروايات أنّ رسول الله قد جعل علىّ بن أبى طالب أمير المؤمنين عليه السلام فى بيته و حرمه حرم الله ، من وجهة الباطن و المعارف الالهية ، و الاطلاع على الأسرار الغيبية ، و من وجهة الظاهر ، و كانا دائماً فى السرّ و الشهادة و الظاهر و الخفاء نفسين تشعباً من أصل واحد ، و خاصةً فى تلك الفقرة من الرواية حيث قال : لَا يُؤَدِّى عَنِّى إِلَّا أَنَا وَ عَلِيٌّ وَ المقصود هو أنّ أحداً لا يستطيع حمل ثقل الرسالة و هداية الناس الى الله من وجهة الظاهر و الباطن ، أى بالسيطرة على أنفسهم و ملكوتهم ، إلا أنا أو علىّ ، و بناءً على ذلك فائه كان عليه السلام شريكاً

لرسول الله في جميع المقامات و الدرجات ، و في نفس الدرجة ، و هى مقام الحمد و حمل لواء الحمد ، و وفقاً للعديد من الروايات فإنّ ذلك اللواء بيد أمير المؤمنين ، اى أنّ أحداً لم يعرف الله كما عرفه أمير المؤمنين ، لذا فإنّ أحداً غيره عليه السلام لم يستطع حمد الله كما يليق بذلك المقام العالى الرفيع ، كما أنّ مقام الشفاعة يوم القيامة في يده عليه السلام و يد ذريّة رسول الله .

لقد نقلنا في المباحث السابقة بعضاً من مقامات أمير المؤمنين ، مثل كونه قسيم الجنّة و النار ، و إعطائه الجواز على الصراط ، و كونه ساقى الكوثر ؛ و ذكرنا أيضاً مقام الشفاعة و ميزان العمل .

و يجب ان نعلم أنّ اتّصافه عليه السلام بهذه الصفات لا ينافى قدرة الله تعالى ، بل هو عين الصفات التى في الله سبحانه ، لم تتسلخ عنه سبحانه حين أعطيت لأمر المؤمنين ففقد الله سبحانه قدرته ، بل هى عين صفات الله التى تظهر فيه عليه السلام في امتلاكه الولاية الكبرى ، بل أنّ نفس الولاية هى عين تجليات و ظهورات حضرة الحقّ .

و عليه فإنّ كلّ موجود راجع الى الله وحده ، و ما هو موجود في مقام الولاية ، ائّما هو الاحتياج و الفاقة المحضة الى الذات المقدّسة ، كما هو الأمر في هذا العالم المادى حيث الموجودات مقدّرة و محدودة قسّم بينها العلم و القدرة فاكتمب كلّ موجود منها حسب حاله و سعته ، لكنّ هذا التقسيم لا يتنافى مع وجود منبع العلم و القدرة و الحياة في الله ، و ليس من مقسّم أحد غير الله تعالى .

كما أنّ ظهورات التقسيم في لىّ مرحلة هى نفس ظهورات الله ، و كذلك الأمر في عالم العقل و الملكوت ، فإنّ المقسّم هو الله ، لا تخرج الاستفادة و التقسيم عن صفاته و أسمائه ، لذا فإنّ مقام الولاية و هو

تقسيم المعارف و العلوم و الحياة على القلوب هو نفسه عمل الله تعالى وحده :

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ^١.

و على هذا فإن أحداً لن يشاهد فى القيامة التى هى عالم الظهور و البروز ، غير قدرة الله و عظمتة و حياته ، و ستكون جميع الموجودات ازاء ذاته المقدسه صفراً و عدماً .

يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ^٢.

وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ^٣.

وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ^٤.

و عموماً فإن جميع أسماء و صفات الله التى حُصرت فى القرآن الكريم ، مثل : إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ^٥ .
و فَلِلَّهِ الْحَمْدُ ^٦ .

و جميع درجات و مراتب الحمد و التمجيد (من أى موجود الى أى موجود) مختصة بذات الله .

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ^٧.

هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ^٨.

١- صدر الآية ٣٠ ، من السورة ٧٦ : الإنسان .

٢- صدر الآية ١٦ ، من السورة ٤٠ : غافر .

٣- ذيل الآية ٤٨ ، من السورة ١٤ : ابراهيم .

٤- ذيل الآية ١٦٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

٥- الآية ٥٨ ، من السورة ٥١ : الذاريات .

٦- صدر الآية ٣٦ ، من السورة ٤٥ : الجاثية .

٧- صدر الآية ٢٥٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

٨- صدر الآية ٢٥٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ^١.

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ^٢.

و ستظهر فى ذلك العالم ، و سيكون انحصارها بذات الحق المقدسة مشهوداً .

انّ مقام الولاية هو نفس تلك الصفات والأسماء لا غيرها ، و لذلك فانّ ظهور تلك الصفات و الأسماء يُدعى بالولاية لا غيرها . و الحمد لله ربّ العالمين و صلى الله على محمد و ءاله الطاهرين .

١- ذيل الآية ١ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٢- ذيل الآية ٦ ، من السورة ٤٤ : الدخان .

الدَّرْسُ الثَّانِي عَشَرَ

هَذَا نِسْأِي إِلَى الْحَقِّ سَائِلٌ لِمَرْعِصَةٍ

بسم الله الرحمن الرحيم
و صلى الله على محمد و آله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين
و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا
لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ^١ .

يُعَلِّمُ الله سبحانه رسول في هذه الآية المباركة كيفية محاجة
المشركين ، و كيف يُثبت لهم أنَّ شركاء الله لا يستحقون الحمد و الاتباع ،
و أساس هذا الاحتجاج قائم على لزوم اتباع الصدق و الإعراض عن غير
الحق .

و هذا الاحتجاج احتجاجٌ عقليٌّ لأنه يستند الى أصل عام و كلي ، و هو
لزوم الاتباع الدائم للحقّ ، و لذلك فأنه أفضل دليل للزوم اتباع الامام
المعصوم . وعلينا - من أجل الورود في أصل الاحتجاج - أن نبين ذلك
المبنى كمقدمة للبحث .

لزوم اتباع الحقّ :

انَّ أحد الأحكام الفطريّة و العقليّة للإنسان ، هو لزوم اتباع الحقّ ،

١- ذيل الآية ٣٥ ، من السورة ١٠ : يونس .

وهذا الحكم قانون عام يستند عليه الإنسان دائماً ، و اذا ما انحرف عنه أحياناً في أعماله و أقواله فمال الى غير الحق بسبب هوى نفسه أو شبهة أو خطأ قد يبدد منه ، فأنه سيكون بسبب ظنه أنه حق ، و لقد تبع غير الحق لالتباس الأمر عليه ، فأنه يجد نفسه معذوراً حيث يحسب أنه على حق .

و على هذا فإن الحق واجب الاتباع بدون لى قيد أو شرط ، و يتفرع عن هذا الأصل قاعدة اخرى ، هى لى الذى يهدى الى الحق يجب اتباعه لأنه مع الحق و لى على الحق ، و بناءً على هذا يجب تقديمه فى الاتباع على الآخر الذى لا يدل على الحق أو الذى يدل على غير الحق ، لأن اتباع الهدى الى الحق هو اتباع للحق الموجود معه .

و قد ذكرنا انفاً لى اتباع ذات الحق حكم ضرورى فطرى عقلى ، و على هذا الأساس أقام القرءان الكريم استدلاله ضدّ المشركين فى هذه الآية المباركة ، فهو يسألهم و لاّ باستفهام : قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ^١ .

و من الجلى لى المشركين ليس لديهم جواب إيجابى فى هذا المجال ، لأن الشركاء الذين يجعلونهم لله إمّا من الجمادات مثل الأصنام ، أو من الأحياء مثل الملائكة و أرباب الأنواع و الجنّ و طواغيت الزمان و الفراغة و حكام الجور الذين يتابعونهم ، و من الواضح لى أياً منهم لا يهدى الى الحق ، لأنهم لا يملكون لأنفسهم ضراً و لا نفعاً و لا موتاً و لا حياةً و لا نشوراً . و لأنهم ليس لديهم جواب إيجابى ، فإن الله جعل على لسان نبيه ان يُجيبهم فوراً جواباً ابتدعه بنفسه فيقول : قُلِ اللّٰهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ . الله هو الهادى الى الحق ، يهدى كل موجود فى مقاصده التكوينية الى ما يحتاجه ،

١- صدر الآية ٣٥ ، من السورة ١٠ : يونس .

و هو الذى يرسل اليه ما يحتاجه ، كما فى قوله تعالى :

رَبَّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۚ

فعندما سأل فرعون هارون و موسى : من ربكما ؟ قالوا : ربنا الذى أعطى كل موجود فى عالم الخلق احتياجاته الوجودية و خلقه تام الخلقه ، ثم هداه الى كماله . و مثل قوله : الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى ۚ . فان الله هو الذى خلق ثم لحظ فى الخلقة التعادل و التناسب من جميع الجهات ، و هو الذى خلق كل موجود فى العالم بقدر و حد معين ، ثم يسيّره فى طريق الكمال . و بناءً على هذا فان الله هو الذى هدى الإنسان الى سعادة الدنيا ، و دعاه الى الجنة و السعادة المطلقة بإرساله للأنبياء و الكتب السماوية و الأحكام الالهية .

لزوم اتباع الامام المعصوم مبنى على أصل لزوم اتباع الحق:

و على كل حال ، فان رسول الله لمّا انتزع فى مقام الاحتجاج اعترافين من المشركين ،

الأول : أن ليس من شركائهم من يهدى الى الحق .

و الثانى : أن الله هو وحده الهادى الى الحق .

فانه يرى لزماً و واجباً أن يسأل هذا السؤال :

أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ؟

و من الواضح أن جواب هذا السؤال هو ان يقولوا ان الله الذى يهدى الى الحق أحق أن يتبع ، بيد ان الكفار و المشركين لا يلتزمون عملياً بهذا المنطق ، و يعبدون الشركاء الذين لا يهدون الى الحق ، و يُعرضون عن

١- الآية ٥٠ ، من السورة ٢٠ : طه .

٢- الآية ٢ و ٣ ، من السورة ٨٧ : الأعلى .

عبادة الله الذى لا شريك له و الذى يهدى الى الحق ، و بذلك يجعلون حُجْباً على القوى الفطريّة و الأحكام العقليّة ، و يتعاملون خلاف ناموس الفطرة و العقل . لذا فإنّ النّبىّ يُخاطبهم من باب التوبيخ و اللوم :

فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟

و ينبغى إعمال دقّة النظر عند المقابلة بين جملة أَفَمَنْ يَهْدَى إِلَى الْحَقِّ و بين جملة أَمْنَ لَا يَهْدَى إِلَّا أَنْ يُهْدَى ، لنرى كيف جعلت هاتان الجملتان عدلاً لبعضهما ؟

لأنّ من الواضح أنّ السائل بطريق الاستفهام ينبغى أن ينفى طرفاً من الجملة ، كأن يقول : أَرَأَيْتَ زَيْدًا أَمْ لَا ؟ أَدْرَسَ حَسَنًا أَمْ لَمْ يَدْرُسْ ؟ أمّا اذا استفهم مثلاً : أيدرس حسن أم أنّه مغرور بنفسه ؟ فإنّ من اللازم ، من أجل أن تكون هذه المعادلة الاستفهاميّة صحيحة ، أن يُقال : إنّ المغرور بنفسه لا يدرس .

و بناءً على ذلك فإنّ هناك جملة منظوية و ضمنيّة فى جملة (مغرور بنفسه) ، و هى (لا يدرس) .

و كذلك الأمر فى هذا الجانب ، أى جملة (مغرور بنفسه) و التى سيكون عدلها جملة (ليس مغروراً بنفسه) ؛ و لأنّ الجملة السابقة الاستفهاميّة تحوى جملة (يدرس) بدلاً من جملة (ليس مغروراً بنفسه) ، لذا يجب القول أنّ جملة (ليس مغروراً بنفسه) منظوية و متضمّنة فى هذه الجملة . و تكون النتيجة (حسن ليس مغروراً بنفسه و يدرس) أو (حسن مغرور بنفسه و لا يدرس) .

يجب أن يكون طرفا الجملة فى الاستفهام نفياً و اثباتاً :

يدرُس	حسن	مغرور بنفسه
ليس مغروراً بنفسه	أو	لا يدرس

و لم يكن في الآية المباركة أيضاً طرفي الجملة الاستفهامية (النفسى و الاثبات) لكى تنتفى الحاجة الى جملة ضمنية أخرى (لأن يَهْدَى كان فى الاصل يهتدى ، و القاعدة فى باب الافتعال جواز إدغام تاء الافتعال فى عين الفعل بعد قلبه الى عين الفعل) و تكون نتيجة المعنى : هل لَ الذى يهدى الى الحق أحق أن يُتبع ، أم الذى لا يهتدى بنفسه ألا بهداية الغير ؟ لأن جملة (يهدى الى الحق) عدلها جملة (لا يهدى الى الحق) .

لذا يُستفاد من ذلك لَ الذى لا يهتدى إلا بهداية الغير لا يهدى الى الحق ؛ و كذلك فلأن جملة (مَنْ لَا يَهْدَى إِلَّا أَنْ يُهْدَى) سيكون عدلها (من يهتدى بنفسه) ، لذا يُستفاد لَ الذى يهدى الى الحق هو الذى يهتدى بنفسه و بذاته لا بهداية الغير .

من يهدى الى الحق من لا يهدى (يهتدى) إلا أن يُهدى
أحق أن يُتبع

من يهتدى بنفسه من لا يهدى الى الحق
و لذلك فأنه يستفاد من هذه الآية جيداً أنه يجدر بالإنسان أن يتبع من يهدى الى الحق ، و هو بالطبع من يهتدى بنفسه لا بهداية غيره ، و ذلك هو الإمام المعصوم الذى لا يعبد غير الله فى لى لحظة ، و لا يصدر منه أى معصية ، و مثل هذا الإنسان قد اهتدى على يد الله نفسه دون تدخل واسطة ما ؛ أما من عبد غير الله مدّة ، أو من صدرت منه معصية مهما تنبّه و اهتدى فعلاً على يد الغير فصار عابداً لله و عادلاً ، لكنّه غير لائق لمقام الإمامة و لا للاتباع .

و يجب أن نعلم بالطبع لَ كلمة (أحق) فى الآية الشريفة ، و هى من أدوات التفضيل و الدالة على رجحان متابعة الحق لا لزومه ، مبنية على قواعد فنّ المناظرة و المباحثة لتحريك عصبيّة الطرف المقابل ، و إلا فإنّ

من الجلىّ لَنَ تَبِعِيَّ غير الحقّ غير جائزة كلياً ، و لَنَ اتَّبَعَ الحقّ لازم و واجب في كلّ الأحوال ، و بالنتيجة فإنّ اتِّباع الإمام المعصوم واجب ، و اتِّباع الإمام غير المعصوم حرام .

هذه هي احدى الطرق الاستدلالية التي احتجّ بها كبار علماء الشريعة في لزوم اتِّباع الإمام المعصوم ، و نقلوا تبعاً للروايات المتواترة عن رسول الله : لَنَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَعْبُدْ صَنَمًا ءَانَا وَاحِدًا و لم يرتكب معصية و لو للحظة واحدة ، و لا مكان للشك في أنّه تربّى في حضن رسول الله ، و كان أوّل شخص ءامن بالرسول و هو صبيّ لم يبلغ الحلم .

نُقل في (الأُمالي) للشيخ الطوسي مسنداً ، و كذلك في (المناقب) لابن المغازلي مرفوعاً عن ابن مسعود عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ وَسَلَّمَ في الآية : [لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ] عن قول الله لابراهيم : مَنْ سَجَدَ لِصَنَمٍ دُونِي لَا أَجْعَلْهُ إِمَامًا - قال عليه السَّلَام : وَ انْتَهَتْ الدَّعْوَةُ إِلَيَّ وَ إِلَى أَخِيٍّ عَلِيٍّ ، لَمْ يَسْجُدْ أَحَدُنَا لِصَنَمٍ قَطُّ^١ .
عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَ الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ :

يروى السيّد هاشم البحراني^٢ خمس عشرة رواية عن طريق العامّة و احدى عشرة رواية عن طريق الخاصّة في لَنَ عَلِيّاً مَعَ الْحَقِّ وَ الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ ، و في أنّه قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ فِي شَأْنِهِ : اللَّهُمَّ أَدْرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُمَا دَارَ ، و في لزوم متابعتة و الإقتداء بسيرته ، و نذكر هنا باختصار و بحذف السند الروايات التي نقلت عن العامّة مع احدى الروايات التي نقلت عن

١- (تفسير الميزان)، ج ١، ص ٢٨٢ .

٢- (غاية المرام)، ص ٥٣٩ و ص ٥٤٠ .

طريق الخاصة .

- ١- يروى ابراهيم بن محمد الحموي ، و هو أحد علماء العامة ، و
٢- الموفق بن أحمد الخوارزمي باسنادهما المتصل عن شهر بن
حوشب ؛ و

٣- الزمخشري في (ربيع الأبرار) مُرسلاً^١ ، قال شهر بن حوشب :
كنتُ عندَ أُمّ سلمة رضى الله عنها ، إذ استأذن رجل فقالت له : من أنت ؟
قال : أنا أبو ثابت مولى عليّ عليه السلام .
فقالت أُمّ سلمة : مرحباً بك يا أبا ثابت أدخل ، فدخل و رحّبت به .
ثم قالت : يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها ؟
قال : تَبَعَ عليّ عليه السلام .

فقالت : وفَقَّتَ و الذى نفسى بيده ؛ لقد سمعتُ رسول الله صلى الله
عليه [و ءاله] و سلّم يقول : عليٌّ مع الحقّ و القرءان ، و الحقّ و القرءان مع
عليّ ، و لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض .^{٢ و ٣}

و ورد في رواية الموفق بن أحمد الخوارزمي لَنَ أبا ثابت قال : مولى
أبى ذر ، ثم يقول بعد بيان حديث أُمّ سلمة : وَلَقَدْ بَعَثْتُ ابْنَيْ عُمَرَ ، وَأَبْنَ
أَخِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَ أَمْرُهُمَا أَنْ يُقَاتِلَا مَعَ عَلِيٍّ مَنْ قَاتَلَهُ ، وَ لَوْ لَأَ
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَمَرَنَا أَنْ نَقْرَ فِي حِجَالِنَا وَ فِي بُيُوتِنَا لَخَرَجْتُ وَ كُنْتُ حَتَّى
أَقْفَ فِي صَفِّ عَلِيٍّ .

١- يقول الزمخشري : استأذن أبو ثابت مولى عليّ ... الخ .

٢- و ينقل هذه الروايات الثلاثة في (ينابيع المودة) ، ص ٩٠ بأدنى اختلاف في
اللفظ .

٣- يروى (ينابيع المودة) ص ٩٠ عن جمع الفوائد معية عليّ للقرءان و عدم افتراقهما
حتّى يردا الحوض ثم يقول : للأوسط و الصغير .

٤- يروى الحمويّنيّ باسناده المتّصل عن أبي حيّان التميمي ، عن أبيه ، عن عليّ عليه السلام .

٥ - في كتاب (الجمع بين الصحاح الستّة) تأليف رزين إمام الحرمين ، عن (صحيح البخاري) ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٦ - من الجزء الأول من كتاب (الفردوس) ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

٧ - يروى الموفق بن أحمد الخوارزمي باسناده المتّصل عن أبي الحباب التيمي ، عن أبيه ، عن عليّ عليه السلام قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : رَحِمَ اللَّهُ عَلِيًّا ، اللَّهُمَّ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ . و يقول الخوارزمي : أخرجه أبو عيسى الترمذي في جوامعه .

٨ - يروى الحمويّنيّ باسناده المتّصل عن أخى دعبل الخزاعي ، عن هارون الرشيد ، عن الأزرق بن قيس ، عن عبد الله بن عباس قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وءاله] وَ سَلَّمَ : الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَيْثُ دَارَ ١ .

٩ - عن كتاب (فضائل الصحابة) باسناده المتّصل عن الأصبغ بن نباته ، عن محمد بن أبي بكر ، عن عائشة قالت : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وءاله] وَ سَلَّمَ يَقُولُ : عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَ الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ ، لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرْدَا عَلَى الْحَوْضِ .

١٠- الموفق بن أحمد الخوارزمي باسناده المتّصل عن شريك ، عن سليمان الأعمش ، عن ابراهيم ، عن علقمة و الأسود قالا : سَمِعْنَا أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وءاله] وَ سَلَّمَ يَقُولُ لِعِمَّارِ

١- و يذكر هذه الرواية أيضاً في (ينابيع المودة) ، ص ٩١ .

بن ياسر : تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ وَ أَنْتَ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَكَ يَا عَمَّارُ ، إِذَا رَأَيْتَ عَلِيًّا سَلَكَ وَادِيًا وَ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا غَيْرَهُ : فَاسْأَلْكَ مَعَ عَلِيٍّ وَدَعَ النَّاسَ ، إِنَّهُ لَنْ يَدُلُّكَ عَلَى رَدَىٍّ ، وَ لَنْ يُخْرِجُكَ عَنْ الْهُدَى .
يَا عَمَّارُ إِنَّهُ مَنْ تَقَلَّدَ سَيْفًا أَعَانَ بِهِ عَلِيًّا عَلَى عَدُوِّهِ ، قَلَّدَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشَاخًا مِنْ دُرٍّ ، وَ مَنْ تَقَلَّدَ سَيْفًا أَعَانَ بِهِ عَدُوًّا عَلَى قَلَّدَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ شَاخًا مِنْ نَارٍ . قَالَ : قُلْتُ : حَسْبُكَ .

لقاء علقمة و الأسود عند أبي أيوب الأنصاري و المذاكرة في خلافة عليّ عليه السلام :

١١- يروى إبراهيم بن محمد الحمويّني بإسناده المتّصل عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة و الأسود قال : قالَا : أَتَيْنَا أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ وَ قُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا أَيُّوبَ! إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَكْرَمَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَ سَلَّمَ وَ صَفَا لَكَ فَضِيلَةً مِنَ اللَّهِ فَضَّلَكَ بِهَا ! أَخْبَرْنَا بِمَخْرِجِكَ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ تُقَاتِلُ أَهْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! (يقصدان حربه مع أصحاب معاوية المسلمين ظاهراً) .

فقال (أبو أيوب) : أَقْسِمُ لَكُمْ بِاللَّهِ ، لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَ سَلَّمَ فِي هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَنْتَمَا فِيهِ مَعِيَ ، وَ مَا فِي الْبَيْتِ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَ سَلَّمَ وَ عَلِيٌّ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِهِ وَ أَنَا جَالِسٌ عَنْ يَسَارِهِ، وَ أَنَسٌ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، إِذْ حَرَّكَ الْبَابَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَ سَلَّمَ : إِفْتَحْ لِعَمَّارِ الطَّيِّبِ الْمُطَيِّبِ .

فَفَتَحَ النَّاسُ الْبَابَ وَ دَخَلَ عَمَّارٌ ، فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَرَحَّبَ بِهِ ؛ ثُمَّ قَالَ لِعَمَّارٍ ، إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي بَعْدِي هُنَا ، حَتَّى يَخْتَلِفَ السَّيْفُ

فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَ حَتَّى يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَإِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِهَذَا الْأَصْلَحِ عَنْ يَمِينِي ، يَعْنِي عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ .
فَإِنْ سَلَكَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَادِيًا وَ سَلَكَ عَلَىُّ وَادِيًا ، فَاسْلُكْ وَادِيَّ عَلَىَّ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ خَلِّ عَنْ النَّاسِ . يَا عَمَّارُ ! إِنَّ عَلِيًّا لَا يَرُدُّكَ عَنْ هُدًىٍ وَ لَا
يَذُلُّكَ عَلَى رَدًىٍ . يَا عَمَّارُ ! طَاعَةٌ عَلَىٍّ طَاعَتِي ، وَ طَاعَتِي طَاعَةُ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ .

١٢- الموفق بن أحمد الخوارزمي ، بإسناده المتصل عن أبي ليلى

قال :

قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم : سَتَكُونُ مِنْ بَعْدِي
فِتْنَةٌ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَالْزُمُوا عَلَىَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنَّهُ الْفَارُوقُ الْأَكْبَرُ
الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .^١

١٣ - الحموي بإسناده عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حذيفة

قال :

قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم : عَلَىُّ طَاعَتُهُ طَاعَتِي
وَ مَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَتِي .

١٤ - عن كتاب (الفردوس) بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال : قال

رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم : تَفَرَّقَ أُمَّتِي فِرْقَتَيْنِ ، فَيَمْرُقُ
بَيْنَهُمَا فِرْقَةٌ مَارِقَةٌ ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ .

١- روى هذه الرواية في (ينابيع المودة)، ص ٨٢ عن (الإصابة) بأدنى تغيير، و يقول :

و في كتاب (الإصابة)، أبو ليلى الغفاري قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم
يقول : تكون من بعدى فتنة ، فإذا كان ذلك فالزموا عليَّ بن أبي طالب ، فإنه أول من آمن بي ،
و أول من يضافحني يوم القيمة ، و هو الصديق الأكبر ، و هو فاروق هذه الأمة ، و هو
يعسوب المؤمنين ، و المال يعسوب المنافقين .

١٥- يروى عامر الشعبي ، و هو من النواصب و المنحرفين عن أمير المؤمنين ، عن عروة بن الزبير ، عن أبي بكر قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ : الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ وَ عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ .

كانت هذه هى الروايات التى ذُكرت فى (غاية المرام) عن طريق أهل السنّة ، و لقد نُقلتْ احدى عشرة رواية عن طريق الشيعة ، نكتفى بذكر إحداها :

عيادة عطا لعبدالله بن عباس و التذاكر فى خلافة على بن أبى طالب عليه السلام:

ينقل ابن بابويه باسناده المتّصل عن عبد الحميد الأعرج ، عن عطا قال :

دخلنا على عبدالله بن العباس و هو عليل بالطائف و قد ضعف ، فسَلَّمنا عليه و جلسنا ، فقال لى : يا عطا ، مَنْ القوم ؟
فقلت : يا سيّدى شيوخ هذا البلد ، منهم عبدالله بن سلمة بن هرم ، و عمارة بن الأجلح ، و ثابت بن مالك ، فمازلتُ أذكر له واحداً بعد واحد ، ثمّ تقدّموا اليه و قالوا : يا بن عمّ رسول الله ! انك رأيت رسول الله صلّى الله عليه و ءاله و سمعتُ منه ما سمعتَ ، فأخبرنا عن اختلاف هذه الأُمّة ، فقوم قدّموا عليّاً على غيره ، و قوم جعلوه بعد ثلاثة !

قال : فَتَنَّقَسَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءاله يقول: عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ ، وَ هُوَ الْإِمَامُ وَ الْخَلِيفَةُ بَعْدِي ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ فَازَ وَ نَجَا ، وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ ضَلَّ وَ غَوَى ، يَلِى تَكْفِينِى وَ غَسَلِى وَ يَقْضِى دِينِى وَ أَبُو سِبْطَى الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ ، وَ مِنْ صُلْبِ الْحُسَيْنِ تَخْرُجُ الْأُئِمَّةُ التَّسْعَةُ ، وَ مِنَّا مَهْدِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ .

فقال له عبدالله بن سلمة الحضرمى : يا بن عمّ رسول الله صلّى الله

عليه وءاله ، فهل لا كنت تعرفنا قبل ؟!

فقال : قد والله أديت ما سمعتُ وَ نَصَحْتُ لَكُمْ وَ لَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ .

ثُمَّ قَالَ : اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَّةً مَنْ اخْتَبَرَ تَمْهِيدًا ، وَ أَبْقَى فِي وَجَلٍ ، وَ كَمْشٍ فِي مَهَلٍ ، وَ رَغَبٍ فِي طَلَبٍ ، وَ هَرَبٍ فِي هَرَبٍ ، فَاعْمَلُوا لِآخِرَتِكُمْ قَبْلَ حُلُولِ عَاجِلِكُمْ ، وَ تَمَسَّكُوا بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى مِنْ عِثْرَةِ نَبِيِّكُمْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ وَ سَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ تَمَسَّكَ بِعِصْرَتِي مِنْ بَعْدِي كَانَ مِنَ الْفَائِزِينَ .

ثم بكى بكاءً شديداً ، فقال له القوم : أتبكي و مكانك من رسول الله صلى الله عليه وءاله مكانك ؟!

فقال ل: يا عطا انما أبكى لخصلتين لَهْوَلِ الْمُطَّلَعِ وَ فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ .
ثم تفرَّق القوم فقال : يا عطا خُذْ بِيَدِي وَاحْمِلْنِي إِلَى صَحْنِ الدَّارِ ، فَأَخَذَنَا بِيَدِهِ أَنَا وَ سَعِيدٌ وَ حَمَلَنَاهُ إِلَى صَحْنِ الدَّارِ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ وَ ءَالِ مُحَمَّدٍ اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِوَلَايَةِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَصَبَرْنَا عَلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ أَقْمَنَاهُ فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ .^١

سبب مخالفة المعاندين لخلافة أمير المؤمنين:

و على كلِّ حال ، فلو سأل سائل : كيف حصل - مع وجود هذه النصوص الصريحة الواصلة عن رسول الله ، و التي نقل الكثير منها الخلفاء الثلاثة و عائشة بأنفسهم - أن صرف هؤلاء الخلافة عنه عليه السلام ،

١- (غاية المرام) ، ص ٥٤١ ؛ وقد أورد في كتاب (عليّ و الوصيّة) من ص ٦١ الى ٦٥

أحاديثاً بأسناد مختلفة في معية أمير المؤمنين للحقّ و القرآن .

فارتقوا منبر النبيّ و تربّعوا في مقام الخلافة بدلاً من أمير المؤمنين ؟
 فالجواب هو قول رسول الله الذي رواه أهل السنة أيضاً: حُبُّكَ
 الشَّيْءَ يَغْمِي وَيُصِمُّ^١.

فمن أحبّ شيئاً و كانت محبّته هذه نابعة من الإحساسات ، و كان
 هوى النفس و القوى الدنيّة مؤثرة في نشأتها ، فإنّ ذلك الشخص سيكون
 أعمى و أصمّ بالنسبة الى غير ذلك المقصود و المحبوب ، اى أنّه لن يرى
 غير ذلك الهدف و لن يسمع غير ذلك الكلام . و ليس خفيّاً على أرباب
 الملل و النحل ، و لا مبهماً على المطلّعين على السيرة و التاريخ ، أنّ غضب
 مقام الخلافة من ءال بيت الرسول صلى الله عليه و ءاله لم يكن له من داعٍ
 إلّا حبّ الحكومة و التروّس على المسلمين ، و الّا بروز النزعة الشخصية ،
 لذا فان جميع هذه الأحاديث و النصوص لن تجدى شيئاً مع وجود تلك
 الغريزة المهلكة ، فستدفع بها جميعاً - عندما تريد نيل هدفها - الى طوفان
 البلاء ليגרّفها أشبه بقشّة و أعشاب يابسة ، و لا تتورّع عن مواجهتها
 لهدفها عن محاربة أهل البيت ، أو عن إحراق باب بيت بضعة رسول الله ،
 أو عن اقتياد مقام الولاية و جرّه الى المسجد قسراً ، ثمّ السعى بحدّ السيف
 المُشرع للإدعاء بتسليمه و خضوعه مقابل هذه التعديّات .

و هذه مسألة يجب التأمل و التدقيق فيها ، لأنّ مقام العلم و إدراك
 الحقائق أمر ، و مرحلة خضوع النفس و انقيادها الى الحقّ أمر آخر منفصل
 عنه ، و هكذا فإنّ الكثير من الذين تردّوا في بئر الطبيعة و هاويتها لم
 يحصل ذلك لهم بجهلهم بطريق الصلاح ، فما أكثر من امتلك منهم علماً
 كافياً فصار يميّز جيّداً بين القبيح و الحسن ؛ ولكنهم أوقعوا أنفسهم عملاً

١- روى المسعودي هذا الحديث في (مروج الذهب) ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

- بسيطرة القوى النفسية و عدم انقيادها لملكة العقل و بغلبة الغرائز الشهوية - في مثل تلك الاعمال القبيحة الذميمة .

لذا فان دعوة الأنبياء و الأئمة الأطهار مبنية على إصلاح النفس و الخضوع و الانقياد أمام الحق ، قال الله العليّ الأعلى :

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ١ .

لقد كان عمر يعلم جيداً بمقام و منزلة و شخصية المولى أمير المؤمنين ، فهناك روايات كثيرة وردت عن أهل السنة يعترف فيها بنفسه بذلك ، و ينقل بشأنها الأحاديث عن رسول الله ، و لكن - و كما ذكر - فان اتباع الحق يستلزم طهارة النفس و صفاء الباطن و الانقياد ، و أين هذا ؟ يقول العلامة الأميني : أخرج الحافظ الدار قطني و ابن عساكر : ان رجلين أتيا عمر بن الخطاب و سألاه عن طلاق الأمة ، فقام معهما فمشى حتى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع فقال : أيها الأصلع ما ترى في طلاق الأمة ؟! فرفع رأسه اليه ثم اوحى اليه بالسبابة و الوسطى ، فقال لهما عمر : تطليقتان .

فقال أحدهما : سبحان الله ، جئناك و أنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتى وقفت على هذا الرجل فسألته فرضيت منه أن أومى اليك .

فقال لهما : تدريان من هذا ؟ قالا : لا .

قال : هذا علي بن أبي طالب، أشهد على رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم لسمعته و هو يقول : إِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَ الْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوُ وُضِعَا فِي كَفَّةٍ ثُمَّ وُضِعَ إِيْمَانُ عَلِيٍّ فِي كَفَّةٍ لَرَجَحَ إِيْمَانُ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ ٢ .

١- الآية ٩ و ١٠ ، من السورة ٩١ : الشمس .

٢- (الغدير) ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ .

ثم يقول العلامة الأميني : و في لفظ الزمخشري : جئناك و أنت الخليفة فجئت الى رجل فسألته ، فوالله ما كلمتك . فقال له عمر : ويلك أتدرى من هذا ؟ الحديث .

و نقله عن الحافظين : الدار قطني و ابن عساكر : الكبخى في (الكفاية) ص ١٢٩ و قال : هذا حسن ثابت . و رواه من طريق الزمخشري خطيب الحرمين الخوارزمي في (المناقب) ، ص ٧٨ ، و السيد علي الهمداني في (مودة القربي) ، و حديث الميزان ^١ .
رواه عن عمر محب الدين الطبري في (الرياض) ، ص ٢٤٤ ،
و الصفوري في (نزهة المجالس) ، ج ٢ ، ص ٢٤ .

١- يعنى ذيل الحديث اعلاه ، اى جملة : لو لَ السموات السبع ... الخ .

الدَّرْسُ الثَّالِثُ عَشَرَ

مَعْنَى هَذَا الْيَوْمِ لَا تَنْدَوِشِرُ الرِّطَّةُ الْهَالِكَةُ إِلَى الْحَقِّ

بسم الله الرحمن الرحيم
و صلى الله على محمد و ءاله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين
و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا
لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ !

جرى البحث في الفصل السابق مفصلاً حول هذه الآية المباركة ،
و كانت النتيجة لّ الهادى الى الحق يجب حتماً أن تكون هدايته بنفسه لا
بغيره ، و أنّ مَنْ كان مِنْ أهل الشرك و المعصية و من اهتدى بغيره لا يمكن
ان يكون إماماً و لا يمكنه هداية الناس الى الحق ، و يلزم هنا ذكر نكات
عدة :

الاولى : لّ المراد بالحقّ في الآية الشريفة المعنى الحقيقى و ليس
معنى الحقّ المبنى بنحو ما على التساهلات العرفيّة في ألسنة الناس ، كما
يُشاهد أنّهم ينسبون الهداية للحقّ لكلّ من يتكلّم بالحقّ ، حتى لو كان
معتقداً بذلك أو غير معتقد ، و سواءً عمل بذلك الاّ لّ نفسه لم تتحقّق به أو
لم يعمل ، و سواءً اهتدى بنفسه أم لم يهتدِ . فهذه بأجمعها ليست هدايةً

١- ذيل الآية ٣٥ ، من السورة ١٠ : يونس .

للحقّ ، بل أنّها تدعى هداية الى الحقّ من باب المسامحات العرفيّة ، فالهداية الى متن الحقّ هى الوصول الى متن الواقع ، وهى فقط لله و للواصلين اليه سُبْحانه دون واسطة الغير .

الثانية : إنّ المراد بالهداية الى الحقّ فى هذه الآية ، هو الإيصال الى المطلوب ، لا بمعنى إراءة الطريق الى الله ، لأنّ من البديهي أنّ إراءة الطريق أمرٌ سهل ممكن لكلّ شخص ، سواءً كان إماماً أم لم يكن ، و سواءً اهتدى بنفسه أم بغيره ، و سواءً كان ضالّاً غير مهتدٍ أصلاً ؛ فالهداية بمعنى إراءة الطريق ستكون على كلّ حالٍ أمراً ممكناً لهم ، و لكنّ الإيصال الى متن الواقع و الحقّ و كمال كلّ موجود أمرٌ مختصّ بالمهتدين بأنفسهم و الهادين الى الحقّ .

الثالثة : إنّ المراد بجملة (لَا يُهْدَى إِلَّا أَنْ يُهْدَى) هو الذى لم يهتدِ بنفسه ، و هو أعمّ من غير المهتدى أصلاً ، أو المهتدى بالغير ، و الدليل على عموميتها أنّ جملة (إِلَّا أَنْ يُهْدَى) وهى استثناء من جملة (لَا يُهْدَى) جاءت مع (أَنْ المصدرية) . و هذه الجملة لا تدلّ على تحقّق الوقوع ، خلافاً للمصدر المضاف .

و هناك فرق بين أن تقول (أعجبني ضربك) أو أن تقول (أعجبني أن تضرب) ، فالإعجاب من نفس الضرب فى الصورة الاولى متحقّق فى الخارج ، بينما الإعجاب فى الصورة الثانية من إمكان تحقّق الضرب ، و قد نصّ على هذا المطلب الشيخ عبدالقاهر الجرجاني فى (دلائل الإعجاز) .

و على ذلك فإنّ جملة (إِلَّا أَنْ يُهْدَى) لا تعنى كونه الآن مهتدياً بالغير ، بل تعنى أنّه (و لو أمكن أن تصل الهداية اليه من الغير) . و من الواضح أنّ الهداية من الغير ستكون فى حال قبول الهداية ، و أمّا اذا كان غير قابل للهداية فإنّ الهداية من الغير لن تصل اليه ، و لذلك فإنّ جملة (لَا

(يَهْدِي) باقية على عمومها و سيكون معناها : لم يهتدِ بنفسه ، سواء لم يجد الهداية أو كان قابلاً للهداية فاهتدى بغيره .

الإمام يجب أن يكون مهتدياً بالحقّ وفي ذلك شروط ثلاثة:

و عموماً فإنّ الإمام هو الذي يكون مهتدياً الى الحقّ ذاتياً ، وليس من فئة من الفئتين اللتين مرّ ذكرهما ، و على هذا فإنّ الإمام هو المصون من الضلالة و المعصية ، أى أنّه أولاً لا يخطئ في تلقى المعارف الإلهية و الإلهامات الرحمانية ، و أنّ متن الواقع ينعكس في قلبه دون اضطراب أو تدخل النفس التي تغيّره إلى صورة أخرى و تفسّره على نحو آخر .

و ثانياً : إنّ الإمام هو الذي يقوم - في إبلاغ الأحكام و هداية الناس من جانب الباطن و الظاهر - بتحريكهم على طريق مستقيم لا عوج فيه .

و ثالثاً : أن لا يكون الإمام نفسه مبتلياً بالمعصية و ظلم النفس ، و قد استفدنا هذه المعاني من جملة (وَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ)^١.

و يستفاد أيضاً من الآية الخاصة بآبراهيم و التي سألت فيها الإمامة لذريّته ، أنّ الإمامة لا ينالها الظالم ، لأنّ تعبير الظالم ورد في الآية بشكل مُطلق : لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ^٢ ، أى إنّ عهدي لا ينال ظالماً و لو كان ظلمه محدوداً ؛ و على العكس فإنّ عهدي ينال أولئك الذين ليسوا ظالمين على نحو مطلق ، و هذا هو عين العصمة .

إنّ الإمام هو الذي لم يرتكب طوال عمره أى ذنب ، أمّا من ارتكب الذنب الصغير أحياناً ، أو من بدر منه ظلم أو شرك ثم تاب منه فامحى أثر

١- صدر الآية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٢- ذيل الآية ١٢٤ ، من السورة ٢ : البقرة .

ذلك الذنب ، فانه لا يكون إماماً .

يقول العلامة الطباطبائي (مُدَّ ظَلُّهُ الْعَالِي)^١ في تفسير هذه الآية الشريفة : و قد سُئِلَ بعضُ أساتيدنا رحمة الله عليه عن تقريب دلالة الآية على عصمة الإمام ، فأجاب : إنّ الناس بحسب القسمة العقلية على أربعة أقسام : مَنْ كان ظالماً في جميع عمره ، و مَنْ لم يكن ظالماً في جميع عمره ، و مَنْ هو ظالم في أوّل عمره دون آخره ، و مَنْ هو بالعكس من هذا . و إبراهيم عليه السلام أَجَلٌ شَأْنًا مَنْ أَنْ يَسْأَلَ الْإِمَامَةَ لِلْقِسْمِ الْأَوَّلِ و الرابع من ذريته ، فبقى قسمان و قد نفى الله أحدهما ، و هو الذى يكون ظالماً في أوّل عمره دون آخره ، فبقى الآخر ، و هو الذى يكون غير ظالم في جميع عمره ، و هذا هو معنى العصمة .^{٢٠٢}

و إجمالاً فإنّ كلّ ما استدللنا عليه من آيات القرآن هو سبع مسائل من أهم مسائل الإمامة التى تقول بها الشيعة و تصرّ عليها و التى تمثّل الحدّ الفاصل بينهم و بين أهل السنّة (الذين لا يعتبرون أيّاً منها شرطاً للإمامة) .

المسألة الاولى: الإمامة غير قابلة للانتخاب :

المسألة الاولى : إنّ الإمامة ليست قابلة للاختيار و الانتخاب ، بل هى مجموعة بجعل الهى يعلن للناس من قبل النبى او الإمام السابق ، او باتّضح الإمام نفسه للناس بواسطة النصوص و المعجزات ، لآله أولاً - و كما قلنا - فإنّ الله سبحانه و تعالى يعرف هذا المنصب فى القرآن الكريم بعنوان

١- الكتاب مؤلف فى حياة العلامة الطباطبائي قدّس سرّه ، و اثّرنا الابقاء على تعبير

المؤلف (م) .

٢- (الميزان) ، ج ١ ، ص ٢٧٧ .

٣- و يورد القاضى نور الله نظير هذا الاستدلال بتقريب آخر فى (إحقاق الحق) ،

ج ٢ ، ص ٣٩٦ .

(الجعل و التنصيب الالهى) ، حيث ورد :

قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ^١.

و يقول أيضاً : وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ^٢.

و يقول أيضاً : وَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ

الْخَيْرَاتِ ^٣.

و فى جميع هذه الآيات التى ذكرت منصب الإمامة ، فائها أوردت عنوان الجعل الالهى .

ثانياً : إنّ الإمامة قوة الهية فى نفس الإمام يحصل بواسطتها على الاطلاع على ملكوت و نفوس الأشياء و يسيطر عليها ، كما هو مستفاد من جملة يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ، فمن كانت فيه هذه القوة كان هو الإمام ، و من خلا منها لم يكن إماماً .

و لا دخل للاختيار و الانتخاب فى هذا الأمر ، ليس لجهة قولنا انّ الناس باعتبار جهلهم بالملكوت و بمقام العصمة لا يمكنهم معرفة الامام ، و لذا فإنّ انتخابهم و اختيارهم ليس صحيحاً ، بل اننا لو فرضنا أنّ جميع الناس صار لهم اطلاع على ملكوت الأشياء و روحها ، و أنّ الله قد أعطاهم نوراً يمكنهم به تشخيص مقام العصمة ، فإنّ الإمامة - مع ذلك - لن تكون قابلة للانتخاب ، لأنها - و كما قلنا سابقاً - ملكة الهية و قوة قدسية موجودة فى نفس الإمام ، و ليس هناك من معنى للقول بأنّ الانسان ينتخب موجوداً خارجياً ، فالموجود الخارجى موجود و لا يحتاج الى انتخاب الانسان

١- بعض الآية ١٢٤ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- صدر الآية ٢٤ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

٣- صدر الآية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

ليوجد .

أمن الصحيح أن نقول للعالم الذى صارت لديه ملكة استنباط الأحكام : ائنا ننتخب اجتهادك ؟ أو نقول للبطل الفائق فى المسابقات و الذى وصلت القدرة فى بدنه الى الفعلية : ائنا ننتخب قوتك ؟ أو نقول لحافظ القرآن الكريم : ائنا ننتخب حفظك ؟! كلا بالطبع ، فهذا الكلام ليس صحيحاً أبداً .

أن الانتخاب يحصل فى الأمور الاعتبارية التى دورانها بيد الاعتبار و الانتخاب ، و التى توجد بواسطة الانتخاب و تفنى بعده . أما فى الأمور التكوينية و الواقعية التى وجدت قبل مرحلة الانتخاب و امتلكت وجودها ، فإن الانتخاب ليس له مجال فيها أبداً .

المسألة الثانية: لّ الإمام يجب أن يكون معصوماً حتماً :

المسألة الثانية : لّ الإمام يجب حتماً أن يكون معصوماً بعصمة البارى جلّ و عزّ ، و قد استنتجنا بعض الاستنتاجات فى هذا الباب من آيات : لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ . و جملة : يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا و جملة : وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ؛ و أصبح معلوماً لّ الإمام حينما عبر جميع مراحل النفس و تحقّق بوجود حضرة الحقّ ، و تحكّمت فى وجوده إرادة و مشيئة الحقّ دون تدخّل النفس الأمّارة ، و صار فعله نفس وحيّ الله ، لذا فإنّ ذلك الإمام معصوم و منزّه عن كلّ دنس نفسى ، و هذا هو معنى العصمة .

كما اننا استفدنا المصونية و العصمة من آية : فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا^١ .

بحيث أوضحت الآيات القرآنية هذه الحقيقة بشكل كامل .

١- صدر الآية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

المسألة الثالثة: لَنْ الإمام يجب ان يكون مؤيداً من قبل الله تعالى :

المسألة الثالثة : ان الامام يجب ان يكون مؤيداً من عند الله ، أى ان علومه و إدراكاته تحصل فى نفسه بواسطة اليقين و الإلهامات الغيبية ، و يكون الله هو المتكفل بأموره ، و قد أستفيد هذا الأمر من جملة : **وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ^١ ، و جملة : لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بَايَاتِنَا يُوْقِنُونَ^٢ ، و جملة : يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا^٣ ، لَنْ الإمامة تستلزم امتلاك مقام اليقين ، و مقام اليقين كما ذكر ليس ميسوراً دون انكشاف الملكوت و حقيقة الأشياء و بناءً على هذا فان الله سبحانه و تعالى يؤيده كل لحظة بانكشاف الملكوت و الهداية بأمر الله .**

المسألة الرابعة: لَنْ الأرض لا تخلو من حجة أبدأ :

المسألة الرابعة : لَنْ الأرض و جميع الأفراد الذين يعيشون عليها لهم إمام فى كل زمان ، و لا يمكن أن تخلو الأرض عن حجة الله أبدأ ، و قد استفيد هذا الأمر أيضاً من آية : **يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ^٤ ، لأن الله سبحانه و تعالى يدعو جميع أفراد بنى ءادم الى المحشر يوم القيامة بإمامهم ، فلا يوجد فردٌ من البشر إلّا و له إمام ، و لا يوجد فردٌ على الأرض بدون إمام ، كما أنه ورد فى روايات كثيرة أنه لو لم يبق على الأرض إلّا نفرين ، لكان أحدهما إماماً للآخر ، و لو لم يوجد إلّا شخص واحد لوجب أن يكون الإمام نفسه .**

١- صدر الآية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٢- ذيل الآية ٢٤ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

٣- مقطع من الآية ٢٤ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

٤- صدر الآية ٧١ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

المسألة الخامسة: علم الإمام المحيط بأعمال الأمة

المسألة الخامسة : إنّ الامام يعلم بجميع أعمال و أقوال و سيرة و ملكات عباد الله ، و ليس هناك علمٌ غائب أو مخفٍ عن نظر الإمام ، و قد بينت الأبحاث السابقة هذا المعنى فى هذا الأمر استناداً الى الآيات القرآنية ، لأنّ الامام له سيطرة على نفوس و ملكوت الموجودات ، و مع هذه الملكة فإنّ جميع الأرواح و النفوس و روح الأعمال ستكون فى مشهد الإمام و فى حضور الولاية ، كما أنّ موجودات عالم الطبيعة مشهودة عند الشخص البصير و غائبة عند الأعمى .

و بالرغم من أنّ ملكوت كثير من الأعمال و الأقوال و النفوس سينكشف لدى الأفراد الذين لم يصلوا بعد إلى مرحلة الإمامة ، و بالرغم من أنّ هذا المعنى سيّضح لديهم اثر التقوى و العبادة و مخالفة النفس الأمّارة و مجاهدتها ، إلّا أنّهم لن يمتلكوا السيطرة الكلّية على جميع الأرواح و النفوس أو هداية كلّ منهما الى كماله ، كلّاً حسب دوره و بقدر ظرفيّته ، مع أنّ هذه الدرجة من البصيرة هى بصيرة القلب التى لا توجد لدى الآخرين ، إلّا ان هذه البصيرة و الرؤية قويّة و نافذة لدى الإمام بحيث لا يخفى عنه شىء من الملكوت فى كلّ شأن و فى كلّ مكان .

المسألة السادسة: علم الإمام بحاجات العباد :

المسألة السادسة : إنّ الإمام يعلم جميع الأمور التى يحتاجها العباد فى معاشهم أو معادهم ، لأنّه - و حسب الفرض - فإنّ الإمام يهدى النفوس الى الحقّ من ملكوتها ، و يوصلها الى كمالها ، فكيف يمكن أن يكون نفسه جاهلاً بما يحتاجه العباد فى أمور تكاملهم ؟ و هذه الخاصية تتّضح أيضاً من الآية القرآنية : يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ، و من أفضليّة مقام الإمامة على النبوة حسب مفاد خطاب حضرة الحقّ لإبراهيم الخليل .

و علاوةً على ذلك ، فلأنّ فعل الإمام و قوله منطبق على الحقّ بتمام معنى الكلمة ، و لأنّ الإمام قد خطا في مقام العبوديّة و التقرب إلى مرحلة بعيدة بحيث إنّ الله نفسه سيكون هو الأمر و الناهي في وجوده ، و سيكون فعل الإمام هو عين وحى الله ، فكما إنّ ما يحتاجه العباد ليس خافياً على الله ، فأنّه لن يكون خافياً على الإمام الذى هو التجلّى الأتمّ و المجرى الأكمل لإفاضات الحضرة الأحديّة إلى الموجودات ، و هذا الأمر ليس خافياً على الامام ، بل إنّ علم الامام هو عين علم الله تعالى ، و ليس هناك أى تفاوت في أصل المعنى .

المسألة السابعة: أفضليّة الإمام على أفراد البشر فى الكمالات

النفسانيّة :

المسألة السابعة : إنّ الامام هو أعلى من جميع أفراد البشر من حيث الفضائل النفسانيّة و الملكات الالهية ، و من المستحيل أن يكون هناك شخص أفضل من الإمام في محاسن الاخلاق و الملكات الانسانيّة ، لأنّه - و كما فرضنا - فإنّ الطريق إلى الله عن طريق ملكات و صفات النفس . ولأنّ الامام أعلى و أرفع من سائر الأفراد في هذه المرحلة ، لذا فأنّه يهديهم عن طريق الملكوت إلى الحقّ ، و اذا ما وجد في هذه الحالة شخصان أحدهما يفوق الآخر في هذا المعنى ، فإنّ الشخص المتفوّق سيكون حتماً إماماً للآخر ، لأنّ الذى أفق ملكوته و نفسه أنور و أكثر مضاء و بصيرة سيستطيع أن يدعو إلى منزله و محلّه الشخص الآخر الذى ليس في مستوى أفقه ، و في هذه الحالة فأنّه سيكون هو الإمام ، خلافاً للشخص الضعيف الذى لن يستطيع تحريك القوى أو تحمّل ثقله .

و هذه المسائل السبع هى من أصول مسائل الإمامة ، و سائر المسائل

الأخرى متفرّعة عنها .

أفضليّة أمير المؤمنين فى جميع الفضائل النفسيّة:

أما فى أفضليّة علىّ بن أبى طالب أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام على جميع أفراد البشر عدا خاتم الأنبياء ، فليس فيه مجال للشبهة و الشكّ ، و هذه الحقيقة يعترف بها العدوّ و الصديق . و بغضّ النظر عن الظهورات التى صدرت عنه عليه السلام خلال ثلاث و عشرين سنة فى حياة رسول الله ، و خلال ثلاثين سنة بعد رحلته فى فنون العلوم المختلفة ، و فى حلّ المسائل الرياضيّة الغامضة ، و القضاء بالحقّ ، و فى علوّ النفس و الهمة و الإيثار ، و الاتصال بحرم الله و الإنجذاب بالجذبات الإلهيّة ، و فى إدراك الحقائق و المعارف الكلّيّة المعنوية الإلهيّة و عبور جميع مراحل النفس و آثارها ، و فى السبق الى الاسلام و الهجرة و الجهاد .

و بغضّ النظر عن الأحاديث التى رويت عن رسول الله و التى تُثبت أفضليّته عليه السلام بالمعنى الضمنى او الالتزامى ، مثل حديث : أنت مِثِّى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، و حديث : إِنْ عَلِيًّا وَ زَيْرِي ، وَ وَصِيي ، وَ وَارِثِي ، وَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ ، وَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي ، وَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ بَعْدِي ، وَ إِنْ عَلِيًّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ ، وَ يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحْجَلِينَ ، وَ هُوَ الصَّدِّيقُ الْأَكْبَرُ ، وَ الْفَارُوقُ الْأَكْبَرُ ، وَ عَالِمُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَ ذُو قَرْنِهَا .

و بغضّ النظر عن حديث : أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ عَلِيٌّ بَابُهَا ، و الأحاديث الأخرى فى علمه عليه السلام .

و بغضّ النظر عن الأحاديث التى وردت مستفيضة فى الدلالة على أنّه عليه السلام له حكم نفس رسول الله ، و عن الأحاديث التى تُشير الى أنّه عليه السلام كان يمتلك فضائل خاصّة به ، مع ان كلّاً منها يدلّ بمفرده على على أفضليّته عليه السلام على سائر الأئمة .

لو غرضنا الطرف عن هذا كله ، فإن هناك روايات كثيرة وردت عن رسول الله صلى الله عليه و آله عن طريق أهل البيت و شيعتهم و عن طريق العامة أيضاً تدل على أفضليته على الأمة ، بل على جميع أفراد البشر ، بل على الأنبياء و المرسلين ، و هذه الأحاديث تدل بالمعنى المطابق على أفضلية ذلك الإمام المعصوم .

يروى الشيخ حافظ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفى عن كتاب (مودة القربى) تأليف السيد على الشافعى عن عطاء قال : سئلت عائشة عن على ، قالت : ذلِكَ خَيْرُ الْبَشَرِ لَا يَشْكُ فِيهِ إِلَّا كَافِرٌ^١ .

و يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله : يَا عَلِيُّ أَنْتَ خَيْرُ الْبَشَرِ ، مَا شَكَّ فِيكَ إِلَّا كَافِرٌ^٢ .

و يروى عن حذيفة أنه قال : عَلِيُّ خَيْرُ الْبَشَرِ وَ مَنْ أَبَى فَقَدْ كَفَرَ^٣ .
و يروى عن جابر بن عبد الله الأنصارى أن رسول الله قال : عَلِيُّ خَيْرُ الْبَشَرِ ، مَنْ شَكَّ فِيهِ فَقَدْ كَفَرَ^٤ .

كما يروى عن أم هانى بنت أبي طالب و أخت أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله قال : أَفْضَلُ الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ نَامَ فِي قَبْرِهِ ، وَلَمْ يَشْكُ فِي عَلِيٍّ وَ ذُرِّيَّتِهِ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ^٥ .

و روى عن الإمام محمد بن على الباقر ، عن آبائه عليهم السلام قال : سئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله عَنْ خَيْرِ النَّاسِ ؛ فَقَالَ : خَيْرُهُمَا ، وَ اتَّقَاهَا ، وَ أَفْضَلُهَا ، وَ أَقْرَبُهَا إِلَى الْجَنَّةِ أَقْرَبُهَا مِنِّي ، وَ لَا أَتَقَى وَ لَا أَقْرَبَ إِلَىَّ مِنْ عَلِيٍّ وَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ^٦ .

١ و ٢ و ٣- (ينابيع المودة) ، ص ٢٤٦ .

٤ و ٥ و ٦- (ينابيع المودة) ، ص ٢٤٧ .

الروايات المعراجية الدالة على ولاية أمير المؤمنين:

و يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلم : إِنِّي رَأَيْتُ اسْمَكَ مَقْرُونًا بِاسْمِي فِي أَرْبَعَةِ مَوَاطِنَ ،

فَلَمَّا بَلَغْتَ الْبَيْتَ الْمُقَدَّسَ فِي مِعْرَاجِي إِلَى السَّمَاءِ ، وَجَدْتُ عَلَى صَخْرَةٍ بِهَا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، أُيِّدْتُه بِعَلِيِّ وَزِيرِهِ ، وَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى وَجَدْتُ عَلَيْهَا : إِنِّي أَنَا اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَخَدِي ، مُحَمَّدٌ صَفْوَتِي مِنْ خَلْقِي ، أُيِّدْتُه بِعَلِيِّ وَزِيرِهِ ، وَنَصَرْتُهُ بِهِ ، وَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى عَرْشِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَوَجَدْتُ مَكْتُوبًا عَلَى قَوَائِمِهِ : إِنِّي أَنَا اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، مُحَمَّدٌ حَبِيبِي مِنْ خَلْقِي ، أُيِّدْتُه بِعَلِيِّ وَزِيرِهِ ، وَنَصَرْتُهُ بِهِ ، فَلَمَّا وَصَلْتُ الْجَنَّةَ وَجَدْتُ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَ مُحَمَّدٌ حَبِيبِي مِنْ خَلْقِي ، أُيِّدْتُه بِعَلِيِّ وَزِيرِهِ ، وَنَصَرْتُهُ بِهِ .^١

بيانات جبرئيل فى هيئة دحية فى الولاية:

يروى الخوارزمى أبو المؤيد الموفق بن أحمد باسناده المتصل عن الأعمش عن سيعد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلم فى بيته ، فغدا عليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه بالغداة أن لا يسبقه اليه أحد ، فدخل فإذا النبي صلى الله عليه [و ءاله] و سلم فى صحن الدار ، فاذا رأسه فى حجر دحية بن خليفة الكلبي ، فقال : السلام عليك كيف أصبح رسول الله ؟ قال : بخير يا أخا رسول الله .

١- (ينابيع المودة) ، ص ٢٥٦ ، و (الغدیر) ، ج ٢ ، ص ٥١ نقلاً عن (مودّة القرني) .

فقال على: جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا أَهْلَ الْبَيْتِ .

فقال له دحية: إني لأحبك، و لَّ لك عندي مدحة ازفها لك، أنتَ أمير المؤمنين، وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، أَنْتَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا خَلَا النَّبِيِّينَ وَ الْمُرْسَلِينَ، لَوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، تُزَفُّ أَنْتَ وَ شِيعَتُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ مَعَ مُحَمَّدٍ وَ حِزْبِهِ إِلَى الْجَنَانِ زَفًّا، وَ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَوَلَّاكَ وَ خَسِرَ مَنْ تَخَلَّكَ، فَحُبُّ مُحَمَّدٍ حُبُّكَ، وَ بُغْضُوكَ لَنْ تَنَالَهُمْ شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَ سَلَّمَ: اذْنُ مِنِّي صَفْوَةٌ لِلَّهِ !

فأخذ رأس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَ سَلَّمَ فوضعه في حجره، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَ سَلَّمَ: ما هذه المهمة؟ فقال على بما جرى .

فقال: يا على، لم يكن دحية، ولكن كان جبرائيل، وَ سَمَّاكَ بِإِسْمِ سَمَّاكَ اللَّهُ بِهِ، فهو الذي ألقى محبتك في صدور المؤمنين، وَ رَهَبْتَكَ فِي صُدُورِ الْكَافِرِينَ^١.

المسائل السبع للإمامة كانت متحققة في أمير المؤمنين :

أنَّ الأحاديث المروية عن رسول الله وَ الدالة على أفضليَّة أمير المؤمنين عليه السلام بعنوان خير الوصيِّين وَ سيِّد ولد آدَمَ وَ أمثال ذلك كثيرة، وَ قد اكتفينا بهذه الروايات العدة عن طريق العامة كمثال، لذا وفقاً للمسائل السبع السابقة فإنَّ مقام الإمامة مختصُّ به عليه السلام، وَ هو الذي كان يدعو الناس بقاطعية تامَّة، لم يُشَاهَد في فعله أو قوله ندم أو شك أو حيرة أو جهل . وَ لأنَّ الإمام له إحاطة بالملكوت، فأنَّه لا يخطئ أبداً، وَ لأنَّ فعله فعل الحق، فأنَّه لا يتردَّد وَ لا يتحير وَ لا يندم في عمله، لأنَّ الله

١- (غاية المرام)، ص ١٦ .

سبحانه لا يتحير و لا يندم فى فعله .

انّ الأفراد الذين يندمون ، انما يندمون عند العمل لجهلهم ، اذ تبدو لديهم جهة من الجهات بصورة مقبولة فيبادرون الى فعلها ، و حين تتضح لهم نقاط الضعف و النقاط المبهمة التى خفيت عليه لدى العمل فانهم يندمون .

اما رجل الحق فلا يندم ، و لم يشاهد أبداً أنّ الإمام أظهر ندمه من فعل فعله ، و هذه هى علامة صحّة العمل و إتقانه ، إضافة الى أنّ الإمام يعيّن وظيفة الناس فى كلّ موضوع بشكل قطعى ، و لا يؤجّل ذلك الى اليوم التالى و لا تنكشف له الحقيقة بالمشاورة و المطالعة و التأنى و التروى ، بل انّ الحقائق تظهر أمامه و تتجلى كالمرآة ، فيجيب بلا تريث و لا تأخير .

لقد كان عمر يعي و يعجز فى كثير من الأمور عن الإجابة على مسائل الأحكام العادية ، بينما كانوا يسألون أمير المؤمنين عن بعض المسائل التى لا يستطيع علماء الرياضيات حلّها الا باستخدام القوانين الرياضية ، فيجيبهم عليها مباشرة . فهل كان له عقل الكترونى يا ترى ؟ إنّ الأجهزة الالكترونية هى الأخرى لا تستطيع ان تتجاوز حلّ المسائل البسيطة ، لكن الامام كان يجيب عن تلك المسائل بداهةً ، لكنّ الجواب كان واضحاً لديه كالشمس ، كما أنّه كان يجيب فوراً على الكثير من مسائل القضاء التى يحتاج حلّها الى جهد رياضى .

ندم أبى بكر على الخلافة:

و لقد أظهر أبو بكر ندمه على تولّيه الخلافة مرّات عديدة ، و قال مراراً :
أَقِيلُونِي أَقِيلُونِي وَ لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ^١

١- سيأتى الكلام عن هذا الحديث فى المجلّد الثانى لهذا الكتاب الدرس ١٧ ، كما

ينقل فى (الغدير) ج ٥ ، ص ٣٨٦ ، عين العبارة الواردة أعلاه عن (الصواعق المحرقة) .

لكنه يجب ان يُقال له : اذا كانت الخلافة التي سلبتها بأمر الله فكيف تريد تركها و التخلّى عنها ؟ و إن لم تكن بأمر الله فكيف سلبتها ؟
فهو يعي هنا و يتحير فلا يميز يمنة عن يسرة ، لأنه من جهة لا يمتلك القدرة على تحمل هذا العبء و المسؤولية ، و من جهة اخرى فان قلبه لا يطاوعه في أن يُعيد الأمر الى صاحبه . كَظَلَمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجْئٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرِيهَا وَ مَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ^١ .
لقد ارتقى أبوبكر منبر رسول الله في مسجد الرسول يوماً بعد بيعة السقيفة و قال في خطبته : أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ ، وَ لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي ، وَ إِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي^٢ ... أَطِيعُونِي مَا أَمَرْتُ اللَّهَ ، وَ إِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ ، فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ^٣ .

يقول الطبري : و خطب أبوبكر الناس فقال :

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ ، وَ إِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلَّكُمْ سَتُكَلِّفُونِي مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] يُطِيقُ ، إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَ عَصَمَهُ مِنَ الْآفَاتِ ، وَ إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ ، وَ لَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، فَإِنْ اسْتَقَمْتُ فَتَابِعُونِي ، وَ إِنْ زُغْتُ فَقَوِّمُونِي .
الى أن يقول : وَ إِنِّي لِي شَيْطَانًا يَعْتَرِينِي ، فَإِذَا أَتَانِي فَاجْتَنِبُونِي^٤ .

١- الآية ٤٠ ، من السورة ٢٤ : النور .

٢- (تاريخ يعقوبي) ، ج ٢ ، ص ١٢٧ ؛ و(شرح النهج) ، ج ٢ ، ص ٨ ، وزاد أيضاً : إن لي شيطاناً يعتريني فإياكم و إياي اذا غضبت لا أؤثر في اشعاركم و أبشاركم ؛ و أورده في (دائرة المعارف) فريد و جدى ، ج ٢ ، ص ٣٠٠ .

٣- (سيرة ابن هشام) ، ج ٤ ، ص ١٠٧٥ .

٤- (تاريخ الأمم و الملوك الطبري) ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ ؛ و أورد أيضاً عن (الإمامة) ⇨

الإشكالات الخمسة على خطبة أبي بكر:

الإشكالات الاول : قوله : (وَكَسْتُ بِخَيْرِكُمْ) ؛ حيث يجب أن يُقال له : فلماذا تصدّيت للخلافة ولم تتخلّ عنها لخير الناس و مولى الموالى مع كلّ تلك النصوص الصريحة من صاحب الشريعة على أفضليّته ؟ و لماذا أردت أن تكون إماماً لمن هو أفضل منك و أعلم ؟ و كيف رضيت ان تدعو أمير المؤمنين الناموس الاكبر الالهى و كنز الاسرار و معارف الحقّ و نفس الرسول لا تباعك ؟ و كيف أردت أن تأخذ بيعته لك و أن تجعله يسلم لأمرك و نهيك دون قيد أو شرط ؟ و بأى معارف و فضائل أخلاقيّة أردت اىصال المؤمنين الى المطلوب ؟ و على لى ملكوت كنت مسيطراً و مهيمناً ؟

الإشكال الثانى : قولك (فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِثُّونِي ! و إن أسأتُ فَقَوِّمُونِي !)

و بناءً على هذا فإني حين جعلت بأيدينا ميزان صحّة أو بطلان عملك ، و خيرتتنا فى الجرح و التعديل ، فقد كنّا نحن إمامك لا أنت إمامنا ! و بغضّ النظر عن ذلك ، فمن أين لنا أن نميّز الصحيح من السقيم ؟ لو ميّزناه من عندنا لكنا إذن لا نحتاج الى خليفة ، و إن توجّب ان يفهمنا آياه إمام الحقّ لوجب علينا اتّباع ذلك الامام ، و لوجب عليك أن تسلم أنت الآخر لأمره .

والسياسة) نظير هذه الخطبة بتفصيل أكثر ، و قد أوردناها فى المجلد الثانى من هذا الكتاب و كذلك أوردناها فى الدرس ١٨ من هذا الكتاب ، و أوردناها كذلك القاضى عبد الجبار فى (المغنى) و ابن تيمية فى (منهاج السنّة) ، و محبّ الدين الطبرى فى (الرياض النظرة) و السيوطى فى (تاريخ الخلفاء) و ابن حجر فى (الصواعق المحرقة) و ابن ابى الحديد فى (شرح نهج البلاغة) .

الإشكال الثالث :

قولك : (لَعَلَّكُمْ سَتُكَلَّفُونِي مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُطِيقُ) .

بلى ، لَنَ مثل هذه التكاليف ستأتى حتماً ، ولكن من أجلسك مكان رسول الله لتحترق في النهوض بأعباء عمل و مهمة رسول الله ؟ أو لم تسمع طوال المدة المديدة رسول الله يقول كراراً - لا مرةً أو مرتين - عَلَى يَقْضَى دَيْنِي ؟ أو لم تسلم يوم غدیر خم على أمير المؤمنين بتحیة الولاية ؟! فبأى مجوز جلستَ مكان رسول الله أنتَ العاجز عن تحمّل أعباء مسؤوليته و عمله ، و سلبتَ الحقَّ المسلم لمقام الخلافة و الوصاية ؟!

الإشكال الرابع :

قولك : (أَطِيعُونِي مَا أَعْطَى اللَّهُ ، وَ إِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ) .

فبناءً على ذلك فقد صرتَ أنتَ أيضاً رديفاً لنا لا رئيساً علينا ، فلماذا نطيعك إذن ؟ تعال أنت فأطعنا ! و بأى قاعدة و سُنّة الهیة صارت طاعتك واجبةً علينا ؟ و إضافة الى ما تقدّم ، فاننا نحتاج في معالم ديننا الى معلّم و مربٍّ نتعلّم منه ما هی طاعة الله و رسوله ، و ما هی مخالفة الله و رسوله ، فمن أين لنا أن نعلم أنّ عملك هذا طاعة ، و عملك ذاك معصية ؟ الا ان يدلّنا معلم القرءان و العارف برسول الله ، و المحيط بنواميس الأحكام و الشرايع ، فيفصل الطاعة عن المعصية ! و لو فرضنا أنّنا شئنا تقويمك عند معصيتك ، فهو ستتقوم يا ترى ؟

فأنت الذى تأبى التخلّى عن الخلافة ، ستقف عند مخالفتك لأمر الله و الرسول و تصرّ على موقفك ، و مهما شاءت الأمّة تقويمك فائك ستقاوم أكثر ، إذ ان نفس هذا التصدّي لمقام الخلافة يمثلّ زيغك و انحرافك .

ألم يؤاخذك أمير المؤمنين لتقويمك و يوبّخك على مبادرتك الخفية

السريعة و جثمان رسول الله بعدُ لم يُدفن ؟ ألم يتحدث أمير المؤمنين في المسجد عن فضائله و مقامه ؟ ألم تبيّن الصديقة الطاهرة في خطبتها المبينة تلك موارد انحرافك ؟ ألم تقل (سلامُ الله عليها) : يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَسْرَعَ مَا أَغْرَثُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ؟

ألم يبيّن لك بنو هاشم و أصحاب الله الكرام الذين تخلّفوا عن بيعتك مواضع خطأك ؟ فلماذا لم ترتدع و لم تستقم ؟ و لو أرادوا الإصرار على هذا الأمر لسفكت الدماء و نُهبَت الأموال و استُبيحت الاعراض و النوااميس .

ألم يخالف عثمانُ علناً أمرَ رسول الله ؟ فلمَ لم يرعوا حين اعترض عليه المسلمون و نبّهوه على ذلك ؟ و لماذا أصرّ على أفعاله ؟
لقد قال له المسلمون : إِمَّا أَنْ تَتَنَحَّى عَنْ الْخِلَافَةِ أَوْ تَسِيرَ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ! لكنّه لم يرضَ بأحد الأمرين ، ثم قاومهم و استنصر بمعاوية و جيش الشام للوقوف في وجه المسلمين .

و أتى له أن يستقيم و يرعوى مَنْ أمسك بزمام الأمور بيده و أبى عن التنازل عن مقامه و شخصيته ؟ أو هل استقام معاوية ؟ أو هل استقام خلفاء بنى أمية و بنى العباس ؟

لقد سفكوا دم كلّ من أراد أن يذكرهم أو حتّى أن ينصّحهم ، و لقد قتل مخالفو سُنَّةِ رسول الله هؤلاء في وضح النهار ابن بنت رسول الله و أهل بيته بشفاه ظمأى عند شاطئ النهر ؟

الإشكال الخامس :

فاحذر يا أبا بكر ! ماذا تقول في خطبتك التي ألقيتها ؟ لقد فتحت بكلماتك باباً لخلفاء الجور لجميع هذه الاعتداءات .

فأنت تقول خامساً : (وَإِنَّ لِي شَيْطَانًا يَعْتَرِينِي ، فَإِذَا أَتَانِي

فَاجْتَنُبُونِي) .

لیتک لم تتفوّه بهذا الکلام ! لِنَ الإمام الذی یعترف بنفسه بوجود شیطان یتسلّط علیه هو إمام الشیاطین لا إمام المؤمنین !
 أَنَّ امام المؤمنین هو الذی أفنى الشیطان و أهلکة : اعزُبْنِي عَنِّي يَا دُنْيَا ، قَدْ طَلَقْتُكَ ثَلَاثًا ! و هو الذی یقدّم نفسه فی قاطعیة کالجبل الراسخ فیقول : یا أفراد البشر ، تعالوا الیَّ فَأَنَا وَلِیُّ اللَّهِ ، أَنَا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ، أَنَا الذی نزلت ءایة التطهیر فینا ، أَنَا صاحب مقام العصمة ، أَنَا صاحب مقام (سلونی قبل أن تفقدونی) ، أَنَا باب مدینة العلم ، و أَنَا حامل عبء الرسالة و قاضی دین رسول الله ، أَنَا صاحب السیطرة علی ملکوت و حقائق الأشياء .

ثم یمطی ءالاف النماذج الواضحة البینة : أَنَا نفس رسول الله ، أَنَا وَلِیُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ و مُؤْمِنَةٍ ، أَنَا الوصیّ و وزیر و الوارث لِأَسْرَارِ النبوّة .

هذا هو مقام الإمام ، ذلک الذی لا یتحسّر عند الموت فیقول : الویل لی ! وددتُ أَنِّی لم أفعل الثلاث الّتی فعلْتُها !

تأسّف أبی بکر عند موته علی تسعة أمور :

یقول المسعودی : وَ لَمَّا احْتَضَرَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ : مَا ءَاسَى عَلَی شَیْءٍ إِلَّا عَلَى ثَلَاثٍ فَعَلْتُهَا ، وَ دَدَدْتُ أَنِّی تَرَكْتُهَا ، وَ ثَلَاثَ تَرَكْتُهَا وَ دَدَدْتُ أَنِّی فَعَلْتُهَا ، وَ ثَلَاثَ أَنِّی سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَ سَلَّمَ عَنْهَا ، فَأَمَّا الثَّلَاثُ الَّتِی فَعَلْتُهَا وَ دَدَدْتُ أَنِّی تَرَكْتُهَا ، فَوَدَدْتُ أَنِّی لَمْ أَكُنْ فَتَشْتُ بَيْتَ فَاطِمَةَ ، وَ ذَكَرَ فِی ذَلِكَ كَلَامًا كَثِيرًا ١ .

١- (مروج الذهب)، ج ٢، ص ٣٠٨ ؛ و أورده (تاریخ الطبری)، ج ٢، ص ٢١٩ بهذا اللفظ: فوددتُ أَنِّی لم أكشف بیتَ فاطمة عن شَیْءٍ و إن كانوا قد غلّقوا علی الحرب ... الخ .

و قد أورد هذه الرواية علاوة على المسعودي ، الطبري في تأريخه ،
و ابن قتيبة في (الإمامة و السياسة) ، و ابن عبد ربّه في (العقد الفريد)^١ .
و قد أرودها العلامة الأميني في (الغدير) إضافة الى هذه المصادر ،
عن أبي عبيد في كتاب (الأموال) ، ص ١٣ ، و يقول : الاسناد صحيح ،
رجالهم ثقات ، أربعة منهم من رجال الصحاح الست^٢ .
و من الأمور التي كان أبوبكر يتأسّف منها ، قتله الفجأة السّلمى حرقاً
بالنار ، و بيان ذلك كما ورد في (الكامل في التاريخ) لابن الأثير الجزري أنّ
الفجأة السّلمى ، و اسمه إياس بن عبد ياليل جاء الى أبي بكر فقال له : أعنّى
بالسلاح أقاتلُ به أهل الردّة .

فأعطاه سلاحاً و أمره إمرةً ، فخالف الى المسلمين و خرج حتى نزل
بالجواء ... فبلغ ذلك أبابكر فأرسل الى طرّيفة بن حازم فأمره أن يجمع له
و يسير إليه ، فأسر و بُعث به الى أبي بكر ، فلمّا قدم أمر أبوبكر أن توقد له
نار في مصلى المدينة ، ثم رمى فيها مقموطاً . و كان أبوبكر يقول عند
موته : و وددتُ أنّى لم أكن حرقت الفجأة السّلمى ، و أنّى كنتُ قتلته
سريحاً ، أو خلّيته نجيحاً

و قد أورد خطبة أبي بكر بعض المعاصرين من العامّة ، مثل فريد
وجدى في (دائرة المعارف) ، و أحمد أمين المصرى في كتبه ، و عدّوها
أساساً لحريّته ، و حاولوا اظهار حكومة أبي بكر على أنّها حكومة
ديمقراطية تدعو الى الحرية .

و لقد أثبتنا فى بحوثٍ ماضية ، و سنثبت فى بحوث مفصّلة قادمة إن

١- (الإمامة و السياسة) ، ج ١ ، ص ١٨ ، و (العقد الفريد) ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

٢- (الغدير) ، ج ٧ ، ص ١٧٠ و ١٧١ .

شاء الله تعالى ، أن اسلوب الحكومة الاسلاميّة قائم على أساس الحق لا على
 آراء اءاحاد الناس أو مجموعهم ، و لا على أساس الأكثرية و الأقلية ،
 فالنصوص القرآنيّة الصريحة و السنّة الصحيحة لرسول الله ، و السيرة
 المتّبعة للأئمة الطاهرين عليهم السلام ، و نهج الصحابة ذوى البصيرة
 و التابعين ذوى الدراية ، تؤكّد كلها أن مناط التبعيّة يجب أن يكون للواقعيّة
 و الحقّ ، سواء كان موافقاً لأراء الأكثرية أم لا ، و على تجنّب اتباع الأراء
 التى تخالف الحقيقة و الواقع ، سواء كان العالم كله يتبنّاها أم لا . و هذا أكبر
 موضع للإختلاف بين الشيعة و السنّة ، و جميع مسائل الاختلاف تدور على
 هذا المحور و ترجع الى هذا الأساس .

فالشيعة ينادون منذ صدر الاسلام الى الآن و يحتجّون و يأتون
 بالأدلة على وجوب اتباع الحقّ لاءراء الناس ، و أن الإمامة بالتعيين و النصّ
 لا بالانتخاب ، و على الناس ان يتبعوا الحقّ ، و ان الإمام بالحقّ يجب أن
 يُعين من قبل الله تعالى ، تماماً كما أن رسول الله يجب أن يأتي من قبل
 الله ، و كما أن الناس لا يمتلكون الحقّ في انتخاب النبيّ .

و الشيعة يُثبتون أن الرسالة و الإمامة ليس بينهما تفاوت من جهة
 الحكومة و الولاية على الناس ، أشبه بشجرتين تنموان من أصل واحد ، أو
 بطفلين يرضعان من ثدى واحد .

أما العامّة فيقولون أن الإمامة حكومة ظاهريّة ، و أن أتباع الشخص
 الجاهل المخطيء أمرٌ لا إشكال فيه . و بالطبع فإنّ أبابكر - وفقاً لهذا
 المنطق - يجب أن يُعدّ رمزاً للحرية ، كما أن المتظاهرين بالتجديد من أهل
 السنّة يميلون الى هذا الرأى .

و بالطبع فإنّ هناك اليوم مفهوماً واسعاً و رائجاً عن الحرية لا يتنافى
 أبداً مع المؤامرات الليلية و عدم إطلاع بنى هاشم و الكثير من المهاجرين

والأنصار للبيعة ، و مع كسر ضلع الزهراء عليها السلام بنت رسول الله ، ومع صرف النظر عن إقامة الحدّ على خالد بن الوليد حين قتل مالك بن نويرة ذلك المؤمن الملتزم لا فتّانه بجمال زوجته ، ثم بنى بها فى نفس الليلة !! وكثير من المخالفات الواضحة الاخرى التى لا يعتبرها مناصرو المدرسة الغريبيّة مخالفةً للحرية ، فيعدّون الغاية تبرّر الوسيلة .

غير أنّ الشيعة تقطع أساس هذا المنطق و ذيله ، و تهدم هذا البنيان ، و تُثبت ضعف هذا التفكير و وهنه بالبراهين العقلية و الفلسفية ، ناهيك عن الأدلة النقلية .

و كما رأينا أخيراً فى رواية أبى أيّوب الأنصارى أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قال لعمّار: فَإِنْ سَلَكَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَاَدِيًا وَ سَلَكَ عَلِيٌّ وَاَدِيًا ، فَاسْئَلْكَ وَاَدِيَّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ خَلِّ عَنِ النَّاسِ .
وما أروع ما يُبرهن رسول الله على هذه العبارات بهذه الجملة فيقول :

إِنَّ عَلِيًّا لَا يَرُدُّكَ عَنْ هُدًى وَلَا يَذُلُّكَ إِلَى رَدًى .

اى انه يجب اتباع علىّ لأنّه متحقّق بالحقّ ، و لو خالفه العالم أجمع .
هذا هو منطق الشيعة ، الذى هو منطق الإسلام !

١- و قد نُقلت هذه الرواية فى هذا الكتاب فى المجلس الثانى عشر ضمن الروايات الدالة على أفضليّته أمير المؤمنين ، عن (غاية المرام) ، عن الموفّق بن أحمد الخوارزمي .

الدَّرْسُ الرَّابِعُ عَشَرُ

لَوْ مَرَّتْ بِسَالِحِ الْأَعْلَامِ

بسم الله الرحمن الرحيم
و صلى الله على محمد و ءاله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين
و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي
فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١ .

بقاء منصب الإمامة في ذرية إبراهيم عليه السلام الى يوم القيامة :
يمكن الاستفادة من هذه الآية المباركة أن منصب الإمامة و هداية
الناس هو في ذرية ابراهيم عليه السلام نسلاً بعد نسل الى يوم القيامة .
و بيان ذلك لن لفظ (براء) مصدر من الفعل برىء يبرءُ وصفته برىء ،
و (إئني براء) إمّا على تقدير محذوف تقديره (إئني ذو براء) أو على سبيل
التأكيد و المبالغة مثل (زيدٌ عدلٌ) ؛ و ضمير الفاعل في (جعلها) يعود الى
الله سبحانه ، و ضمير المفعول إمّا أن يعود الى البراءة التي تكلم عنها ابراهيم
عليه السلام، أو يعود الى الهداية التي تستنتج و تتخذ من كلمة (سيهدين) .
أمّا اذا قلنا انه يرجع الى لفظ البراءة ، فإن مفاده هو كلمة التوحيد ، أى
كلمة : لا إله إلا الله ؛ و ذلك لأن (إئني براءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي)

١- الآية ٢٦ - ٢٨ ، من السورة ٤٣ : الزخرف .

هو نفس مفاد كلمة التوحيد (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ، ولها معنى واحد هو مرجع ضمير المفعول في (وَجَعَلَهَا) .

معنى كلمة لا إله إلا الله:

فبناءً على قواعد العريضة ، فإن إعراب المستثنى في الكلام المنفى في الاستثناء المتصل سيكون اعراب المستثنى منه و بدله ، و في كلمة (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فإن لفظ الجلالة مرفوع بعنوان بدل من (إله) المرفوعة محلاً ، بملاحظة أن الإبدال لن يكون في أكثر من جملة واحدة ، فيكون المعنى هكذا (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَوْجُودٌ) .

و لو كانت هذه الجملة تتضمن النفي و الإثبات ، فالواجب ان يكون لفظ الجلالة منصوباً ، و في هذه الحال فإن هناك جملتين كلاهما يتضمن معنى مستقلاً .

الاول الجملة المنفية : (لَا إِلَهَ مَوْجُودٌ) ، و الثاني الجملة المثبتة : (أُسْتَشْنَى اللَّهُ أَوْ اللَّهُ مَوْجُودٌ) ، و الأمر ليس كذلك بالطبع .

و عليه فإن ما ورد على لسان أهل الدعاء و الأوراد من أن كلمة (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ورد نفي و اثبات المركب ، هو أمرٌ خالٍ من التحقيق ، فهو فقط ذكر النفي دون سواه .

و أمّا اذا كان مرجعه الى لفظ الهداية ، فمن المعلوم أن الهداية الالهية أولاً و بالذات مختصة بالذات المقدسة لرب العالمين ، ثم تسرى من الذات المقدسة الى غيرها . فالهداية الالهية التامة إذن مختصة بالله تعالى ، و مادونها للموجودات و المخلوقات .

و لأن ابراهيم يُشير بكلمة (سَيِّهْدِينَ) الى الهداية المطلقة ، فائها قابلة للإنبطاق على أتم مراتب الهداية ، و هي حظ هداية الإمام و من لوازم الولاية الكلية .

و ذلك لأنه قد ذكر في تفسير قوله تعالى (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) ^١ حيث الخطاب موجه لابراهيم عليه السلام : أن وظيفة الإمام هداية أفراد البشر من باطن و ملكوت أعمالهم الى الله عزوجل الذي أرشدهم و جعلهم في درجات القرب و في دركات البعد كلّاً حسب منزلته ، و سوف يجعلهم يُقيمون هناك و يُسكنهم في ما تقتضى أعمالهم و أفعالهم ، و سيجذبهم الى ذلك المنزل . فتكون هداية الله الباري تعالى شأنه ذاتية ، و هداية الإمام بالتبّع و بالعرض .

أما اذا كان مرجع الضمير الى (البراءة) ، فإنّ معناه اننا قد جعلنا حقيقة التوحيد ، اى الولاية ثابتة و باقية الى الأبد في ذرية ابراهيم لعلمهم يرجعون الى الحقّ و التوحيد . فيُستفاد ولّا أنّ هذه الحقيقة ستبقى ثابتة الى الأبد في ذرية ابراهيم ، و أنّ ذريته - إجمالاً - يمتلكون مثل هذا المنصب و المقام ، و أنّ الإمامة لن تزال أبداً و في أى زمن عن ذرية ابراهيم .

و ثانياً : إنّ كلمة التوحيد و الولاية هذه في خصوص ذرية تدعو الى الحقّ ، و بقيّة الذرية تُدعى الى الحقّ ، فيكون المراد من (فى عَقِبِهِ) الذرية باعتبار الإمامة و القيادة ، و الضمير فى (يَرْجِعُونَ) عائداً الى الذرية باعتبار الإهتداء و الإنقياد .

و مع ذلك فإنّ لكلّ فئة سيرٌ خاصّ و حركة خاصّة بها ، فالفئة الاولى لها الإمامة و الثانية الانتماء .

و يظهر من هذا البيان : ولّا : استجابة دعاء ابراهيم فى دعائه الى الله :
رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ^٢.

١- الآية ١٢٤ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- الآية ١٢٨ ، من السورة ٢ : البقرة .

و ثانياً : يتّضح سرّ قول الله عزّ وجل : **لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ^(١) ، بعد سؤال ابراهيم : **وَمِنْ ذُرِّيَّتِي** ، في أنّ الفئة التي تصل الى الإمامة هي التي لم تظلم نفسها ولا غيرها .

و ثالثاً : أنّها تبرهن معنى سلسلة من الروايات الواردة في تفسير هذه الآية المباركة ، و التي فسّرت الكلمة الباقية بالإمامة ، و التي صرّح بعضها بانطباقها على ذريّة الحسين بن عليّ سيد الشهداء عليه السلام .
و قد روى في (مجمع البيان) عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ المقصود بالكلمة الباقية الإمامة الى يوم القيامة .

و اذا ما كان مرجع الضمير عائداً الى (الهداية) ، فمن المعلوم أنّ الهداية الالهية هي مقام الولاية و الإمامة التي يرجع الناس بوسيلتها من الشرك الى التوحيد ، و من غير الله الى الله . و عموماً ، و على كلّ حال ، و سواء أكان الضمير عائداً الى كلمة البراءة و التوحيد ، أو عائداً الى الإمامة و الهداية ، فإنّ الآية المباركة سيكون لها دلالة على بقاء منصب الإمامة في ذريّة ابراهيم .

و هذا المقام بالطبع معلول لمقام التوحيد و الولاية ، و مقام التوحيد و الولاية يستلزم اندكاك الصفات البشرية في الصفات الالهية ، و من جملتها صفة القدرة و العلم .

الإمام يجب أن يكون أعلم من جميع الأمة:

و على ذلك فإنّ الإمام يجب ان يكون صاحب مقام العلم الجامع الشامل في درجة لم تصلها أمّته و لا أتباعه ، و تلك الدرجة من العلم المنزّه الخالص من الشوائب و الأكدار ، و تلك المرتبة من المعرفة الواسعة المطلقة

١- الآية ١٢٤ ، من السورة ٢ : البقرة .

ستستتبع وجوب انقياد الآخرين و تبعيتهم . و على هذا الأساس فإن إبراهيم يحاطب وليّه ءاذر فيقول :

يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا^١.

لقد جاءني يا أبى من قبل الله من العلم ما لم يأتك ، لذا فقد وجب عليك أن تتبعني لأهديك ، و قد عدّ في هذه الآية - كما هو ملاحظ - وجوب تبعيّة ءازر لأفكاره و ءاراءه منوطاً و منحصرأ فقط بعلمه هو و بفقدان ذلك العلم من قبل ءازر .

لذا فإن لزوم تبعيّة الجاهل للعالم من القضايا التي لا تحتاج الى برهان ، بل من القضايا التي قياساتها معها .

لزوم تبعيّة الجاهل للعالم فى المراحل الثلاث : الفطريّة و العقليّة و الشرعيّة :

و على أساس هذا الأصل المسلّم و هذه القاعدة الكلّيّة ، فإن إبراهيم قد نفّذ حكمه و أوصل مقام الإبلاغ الى ءازر دون ذكر لهذه القاعدة ، و لذا فقد أثبت العلماء الأعلام فى أصول الفقه أنّ لزوم تبعيّة الجاهل للعالم هو حكمٌ عقليّ قبل ان يكون حكماً شرعياً ، و هو حكم فطرىّ و وجدانىّ قبل أن يكون حكماً عقليّاً ، و أنّ هذا الحكم يتجلّى و يظهر فى ثلاث مراحل هى الوجدان و العقل و الشرع ، و استناداً لهذه القاعدة الكلّيّة فقد استفادوا لزوم اتباع ءاراء الأعلام ، و اعتبروا أنّ سعادة المجتمع منوطة بحكومة ءاراء الأعلام فى ذلك المجتمع .

و ذلك لأن العلم بمنزلة النور و الحياة ، و بمثابة الروح و النفس ،

١- الآية ٤٣ ، من السورة ١٩ : مريم .

و كلما زاد النور و الحياة في المجتمع ، و قويت الروح و النفس فيه ، فانه
سيصبح أكثر حياةً و تأثيراً و رقيّاً ، كما انه كلما كانت الحياة و الروح
و النفس أقوى في بدن الإنسان كلما كان ذلك الإنسان أقرب الى العافية
و طول العمر و التمتع بالمواهب الالهية ، و كلما كانت الحياة أضعف
و الروح أشدّ ذبولاً فانّ الأدمى سيقترّب من المرض و الهلاك و فقدان
المواهب الالهية و سيكون له نصيب أقل من المواهب الإنسانية .

و يُستفاد من هذه الآية المباركة في باب الإجتهد و التقليد و استنتاج
لزوم اتباع أفراد الأمة للعالم بالشرعية الالهية ، بل لزوم اتباع أفراد الأمة
لأعلم زمانه ، و لو أنّ هذا الحقير لم يُشاهد حتّى الآن أحداً من العلماء
الأعلام و كتبهم المدوّنة قد تمسّك بهذه الآية الكريمة .

روى في كتاب (غاية المرام) عن الشيخ الطوسي في (الأمالي) ،
بسلسلة سنده المتّصل عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، عن
أبيه ، عن جدّه عليّ بن الحسين عليهم السلام قال : لما أجمع الحسن بن علي
عليه السلام على صلح معاوية ، خرج حتّى لقيه ، فلمّا اجتمعا قام معاوية
خطيباً ... الى أن يقول : فقام الحسن عليه السلام فخطب فقال : أَلْحَمْدُ لِلّهِ
الْمُسْتَعْمَد بِالْأَلَاءِ وَ تَتَابَعِ النِّعَمَاءِ ... الى آخر خطبته الجامعة الطويلة
التي تحوى الكثير من المطالب الدقيقة و العميقة ، و تظهر شرف أهل بيت
رسول الله ، و من جملة ذلك الاستشهاد بثبوت التطهير و آيات و مطالب
تاريخيّة أخرى .

عاقبة أمر كلّ أمة تولى أمرها رجلاً و فيهم أعلم منه سيؤول الي
السفّال و الفساد :

و من جملتها قوله في خطبته : قال رسول الله [صلى الله عليه و آله] :
مَا وَلَتْ أُمَّةٌ أَمْرَهَا رَجُلًا قَطُّ وَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ إِلَّا لَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ

يَذْهَبُ سَفَالاً حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى مَا تَرَكُوا^١.

كما ذكر في (غاية المرام) أيضاً مختصر هذه الخطبة بسند آخر عن الشيخ في (الأمالي) ؛ و روى عين هذه الجملة عن رسول الله صلى الله عليه و ءاله حول لزوم قيادة أعلم الأمة^٢.

كما روى المرحوم ابن إدريس في باب (مستطرفات السرائر) عن رواية أبي القاسم بن قولويه ، عن الصادق عليه السلام مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه و ءاله قال :

قال رسول الله صلى الله عليه و ءاله : مَنْ أَمَّ قَوْمًا وَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَغْلَمُ مِنْهُ أَوْ أَفْقَهُ مِنْهُ ، لَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ فِي سَفَالٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَ مَنْ دَعَى إِلَى إِضْلَالٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ مِنْهُ ، وَ مَنْ مَاتَ بِغَيْرِ إِمَامٍ مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً^٣.

و الخلاصة فإن للعلماء استدلالات في لزوم إمامة أعلم الأمة ، لأنه - و كما أشير سابقاً - فإن مسألة الإمامة و القيادة مسألة حياتية ، فالإمام و القائد روح المجتمع و إرادته ، و كلما كانت إرادة الإمام و القائد أنزه و أصحّ و أنفع لرشد الأمة و رقيّ المجتمع ، كلما كان المجتمع أنزه و أقوم و أرقى بنفس ذلك القدر .

إنّ جميع أفراد المجتمع بمنزلة أعضاء الجسد الواحد ، و كما أنّ النفس الواحدة تُدير جسداً واحداً و تحرّكه باتجاه الصلاح أو الفساد ، فكذلك الامام القائد ، فأنّه يُدير المجتمع و يسوقهم باتجاه الكمال و السعادة

١- (غاية المرام) ، الطبعة الحجرية ، ص ٢٩٨ ، تحت عنوان : الحديث ٣٦ .

٢- (غاية المرام) ، ص ٢٩٩ ، تحت عنوان : الحديث ٢٧ .

٣- (مستطرفات السرائر) ، ص ٢١ .

أو في مسير الشقاء و النقصان .

أمير المؤمنين عليه السلام كان أعلم الأمة:

أن الروايات التي وردت عن رسول الله في علم و علمية أمير المؤمنين عليه السلام تفوق الحصر و العدد ، و قد ألف علماء الخاصة و العامة كتباً في هذا الأمر و ملأوا أسفارهم عن علميته و أفقيته عليه السلام و تفوقه في القضاء ، بحيث يمكن اعتبار هذه المسألة من مسلّمات الإسلام .

و تبين هذه الروايات هذا الأمر بمضامين مختلفة ، و نذكر هنا رواية أو روايتين كنموذج من كل سلسلة منها حفظاً للاختصار .

أما عن الروايات التي تشير إجمالاً الى غزارة و سعة علمه ، فيروى ابن بابويه بسنده المتصل عن الامام الباقر عليه السلام عن أبيه عن جده عليهم السلام قال : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (وَ كُلُّ شَيْءٍ أُخْصِيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) قام أبو بكر و عمر من مجلسهما فقالا : يا رسول الله هو التوراة ؟ قال : لا .

قالا : هو الإنجيل ؟ قال : لا .

قالا : فهو القرآن ؟ قال : لا ، فأقبل على أمير المؤمنين عليه السلام . فقال رسول الله : هَؤُلَاءِ إِنَّهُ الْإِمَامُ الَّذِي أُخْصِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ^١ .

و أما الروايات التي تدلّ على أنّ رسول الله قد فتح لعلّى ألف باب من العلم يفتح له من كل باب ألف باب ، فيقول السيد هاشم البحراني : لأبي

١- (غاية المرام) ، ص ٥١٦ ، الحديث ١٨ .

حامد الغزالي - و هو من أعيان علماء العامة - عبارات في كتاب (بيان العلم
اللدني في وصف مولانا علي بن أبي طالب) نصّها :

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
[وآله] وَسَلَّمَ أَدْخَلَ لِسَانَهُ فِي فَمِي ، فَانْفَتَحَ فِي قَلْبِي أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ
مَعَ كُلِّ بَابٍ أَلْفُ بَابٍ ؛ وَقَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَوْ تُنِيتَ لِي وَ سَادَةٌ
وَجَلَسْتُ عَلَيْهَا ، لَحَكَمْتُ لِأَهْلِ التَّوْرَةِ بِتَوْرَاتِهِمْ ، وَلِأَهْلِ الْإِنْجِيلِ
بِإِنْجِيلِهِمْ ، وَلِأَهْلِ الْقُرْآنِ بِقُرْآنِهِمْ) وَ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ لَا تُنَالُ بِمَجَرَّدِ التَّعَلُّمِ ،
بَلْ يَتِمَكَّنُ فِي هَذِهِ الرَّتَبَةِ بِقُوَّةِ الْعِلْمِ ¹.

و أما الروايات الدالة على أنّ رسول الله قال : أنا مدينة العلم و عليٌّ
بابها ، فقد روى في (غاية المرام) ، عن كتاب (مناقب ابن المغازلي) بسنده
عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : أخذ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله
بيد عليّ عليه السلام و قال : هَذَا أَمِيرُ الْبَرَّةِ ، وَ قَاتِلُ الْكُفْرِ ، مَنْصُورٌ مَنْ
نَصَرَهُ ، وَ مَخْذُولٌ مَنْ خَذَلَهُ ، ثُمَّ مَدَّ بِهَا صَوْتَهُ ، فَقَالَ : أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ
وَ عَلِيُّ بْنُ أَبِيهَا فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ ².

و أما الروايات التي تدلّ على قوله (سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي) فقد
قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : أجمع الناس كلّهم على أنّه لم
يقل أحدٌ من الصحابة و لا أحدٌ من العلماء سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي غير
عليّ بن أبي طالب عليه السلام ³.

و أما الروايات التي تدلّ على أنّ أميرالمؤمنين كان أقضى أفراد الأمة

١- (غاية المرام) ، ص ٥١٧ و ٥١٨ ، الحديث ٣.

٢- (غاية المرام) ، ص ٥٢٠ ، الحديث ١ .

٣- (غاية المرام) ، ص ٥٢٤ ، الحديث ٧ .

و أحسنهم حُكماً ، فقد روى في (غاية المرام) عن الموفق بن أحمد ، و هو من أعيان علماء العامة ، عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه [وءاله] و سلم إِنَّ أَقْضَى أُمَّتِي عَلَىَّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ^١ .

و أما الروايات الدالة على أنَّ أبابكر و عمر كانا يرجعان في الحكم و العلم الى أمير المؤمنين عليه السلام ، فيروى في (غاية المرام) عن مسند أحمد بن حنبل بسلسلة اسناده عن يحيى بن سعيد بن المسيب قال : كَانَ عُمَرُ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنْ مُعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^٢ .

كما يروى عن الموفق بن أحمد ، بسلسلة الاسناد المتصلة عن زيد بن علىّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن علىّ بن أبي طالب عليه السلام قال : لَمَّا كَانَ فِي وَلايَةِ عُمَرُ ، أَتَى بِامْرَأَةٍ حَامِلٍ ، فَسَأَلَهَا عَمْرٍ فَاعْتَرَفَتْ بِالْفَجْوَرِ ، فَأَمَرَ بِهَا عُمَرُ أَنْ تُرْجَمَ ، فَلَقِيَهَا عَلَىَّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : مَا بِأَلِ هَذِهِ ؟ فَقَالُوا : أَمَرَ بِهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تُرْجَمَ ، فَرَدَّهَا عَلَىَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لِعَمْرٍ : أَمَرْتَ بِهَا أَنْ تُرْجَمَ ؟

قال : نعم ، اعترفت عندى بالفجور .

فقال [علىّ] : هَذَا سُلْطَانُكَ عَلَيْهَا ، فَمَا سُلْطَانُكَ عَلَى الَّذِي فِي بَطْنِهَا ؛ وَ لَعَلَّكَ انْتَهَرْتَهَا وَ أَخَفَّتَهَا ؟
فَقَالَ عُمَرُ : قَدْ كَانَ ذَاكَ .

قال : أَوْ مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وءاله] و سلم يقول : لَا حَدَّ عَلَى مُعْتَرِفٍ بَعْدَ بَلَاءٍ إِنَّهُ مَنْ قُيِّدَتْ أَوْ حُبِسَتْ أَوْ تَهْدِدَتْ فَلَا إِقْرَارَ لَهُ ، فَخَلَّ سَبِيلَهَا .

١- (غاية المرام) ، ٥٢٨ ، الحديث الأول من الباب ٣٩ .

٢- (غاية المرام) ، ص ٥٣٠ ، الحديث الأول من الباب ٤١ .

ثُمَّ قَالَ عُمَرُ : عَجَزَتِ النِّسَاءُ أَنْ تَلِدَ مِثْلَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، لَوْلَا عَلِيٌّ لَهْلَكَ عُمَرُ !

كما يروى عن طريق الخاصة عن محمد بن يعقوب باسناده المتصل
عن الإمام الصادق قال : شرب رجلُ الخمر على عهد أبي بكر ، فرفع إلى
أبي بكر فقال له : أشربتَ خمرًا ؟

قال : نعم .

قال له : و هي محرمة ؟!

قال : فقال له الرجل : إنني أسلمتُ و حسنٌ إسلامي و منزلي بين
ظهراني يشربون الخمر و يستحلّون ، و لو علمتُ أنّها حرامٌ اجتنبتها .

فالتفت أبو بكر إلى عمر فقال : ما تقول في أمر هذا الرجل ؟

فقال عمر : معضلةٌ و ليس لها إلاّ أبو الحسن . دعُ لنا عليّاً . (ثمّ) قال

عمر : يؤتى الحكم في بيته .

١- (غاية المرام) ، ص ٥١٣ ، الحديث ٧ ، من الباب ٤١ ، و يقول المرحوم الشريف
العسكري في ص ٢٧ من كتاب (مقام الإمام أمير المؤمنين عند الخلفاء) : و على ما جاء في
كتاب (خواص الأئمة) ، ص ٨٧ ، طبع إيران ، في قضية المرأة التي ولدت لستّة أشهر فأمر
عمر بـرجحها ، فمنعه أمير المؤمنين من إقامة الحدّ عليها و بيّن له السبب فقال عمر : اللهم لا
تُبقي لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب .

و يروى المولى عليّ المتقي في (كنز العمال) الجزء الثالث ، ص ٥٣ نظير تلك الرواية
بلفظ (اللهم لا تنزل بي شدةً إلّا و أبو الحسن إلى جنبي) و يقول في (ذخائر العقبى) ص ٨٢ :
(اللهم لا تنزلنّ بي شديدةً إلّا و أبو الحسن إلى جنبي) كما روى عن يحيى بن عقیل أن عمر
كان يرجع في القضايا الصعبة إلى عليّ بن أبي طالب فيحلّها له ، و كان يقول : (لا أبقاني إلّا
بعدك يا عليّ) .

و روى عن أبي سعيد الخدري قال : سمعتُ عمر يقول لعليّ و قد سأله فأجابته : (أعودُ
باللّه أن أعيشَ في يومٍ لست فيه يا أبا الحسن) .

قال : فقاما و الرجل معهما و من حضرهما من الناس حتّى أتى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره بقصة الرجل ، فقصّ الرجل قصّته .
قال : فقال [عليه السلام] : ابعثوا معه من يدور به على مجالس المهاجرين و الأنصار مَنْ كان تلا عليه آية التحريم فليشهد عليه .
ففعّلوا ذلك به فلم يشهد عليه أحد بأنّه قرأ عليه آية التحريم ، فخلّى عنه و قال له : إن شربت بعدها أقمنا عليك الحدّ^١ .

و أمّا الروايات التي تدلّ على أنّ الحقّ مع علىّ يدور معه حيث دار ، فقد روى في الجزء الثالث من كتاب (الجمع بين الصحاح الستّة) تأليف رزين إمام الحرمين ، في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام عن صحيح البخارى قال : عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] و سَلَّمَ يَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ عَلِيًّا ، اللَّهُمَّ أَدْرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ^٢ .

و من العجيب أنّ كثيراً من هذه الروايات رواها أبوبكر و عمر و عثمان و عائشة و عمرو بن العاص و غيرهم من الصحابة عن رسول الله صَلَّى الله عليه و ءاله .

و روى في كتاب (مقام أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عند الخلفاء و أولادهم و الصحابة)^٣ فى فضائل أمير المؤمنين خمسين حديثاً

١- (غاية المرام) ، ص ٥٣٥ ، الحديث الخامس من الباب ٤٢ .

٢- (غاية المرام) ، ص ٥٣٩ ، الحديث الرابع من الباب ٤٥ .

٣- مؤلّفة الميرزا نجم الدين الشريف العسكرى من علماء سامراء البارزين و ابن خال أب الحقيق مؤلّف هذا الكتاب ، و أبوه المرحوم آية الله الميرزا محمد الطهرانى صاحب كتاب (مستدرك البحار) خال أب الحقيق ، من علماء سامراء الأعلام و من التلامذة المبرّزين لآية الله الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازى و ربيبه ، و كان مثلاً للسلف الصالح .

عن رسول الله برواية الخلفاء و أولادهم و الصحابة ، نقلاً عن علماء أهل السنة و محدّثيهم ، و ذكر شواهداً في ذيل كلّ حديث ، و من جملتها رواية يقول عمر فيها لأعرابيٍّ : وَيَحْكَمَا تَدْرِي مَنْ هَذَا ؟ هَذَا مَوْلَايَ وَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ ، وَ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَوْلَاهُ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ^١ .

تأسف ابن عباس من منعهم المجيء بالصحيفة لرسول الله :
و على كلّ حال ، فقد اهتمّ رسول الله صلى الله عليه و ءاله على هذا الأساس اهتماماً كبيراً في تقديم و نصب عليّ بن أبي طالب مكانه ، حتّى أنّه كان في مرضه الذي قبض فيه يوصي الناس باتّباعه عليه السلام ، و وصل به الأمر الى أن طلب في تلك الساعات الأخيرة من حياته صحيفةً و قلماً ليكتب ما يجب كتابته في إمامته عليه السلام ، و لكن و مع الأسف و ألف أسف ، فقد منع عمر من تحقّق قصد رسول الله و قال : غلب عليه المرض و أنّه ليهجر ، حسّبنا كتاب الله ، فأغمض رسول الله عينيه عن هذه الدنيا و لا حدّ لحزنه و غمّه .

يروى ابن سعد في (الطبقات) بإسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : اشتكى النبيّ صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم يَوْمَ الْخَمِيسِ ، فَجَعَلَ - يعنى ابن عباس - يَبْكِي وَيَقُولُ : يَوْمُ الْخَمِيسِ وَ مَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ! اِشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه [و ءاله] وَجَعُهُ فَقَالَ : اِثْنُونِي بِدَوَاةٍ وَ صَحِيفَةٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوْا بَعْدَهُ أَبَدًا .

قَالَ : فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ، إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ لَيَهْجُرُ !
قَالَ : فَقِيلَ لَهُ : أَلَا نَأْتِيكَ بِمَا طَلَبْتَ ؟
قَالَ : أَوْ بَعْدَ مَاذَا ؟ قَالَ : فَلَمْ يَدْعُ بِهِ^٢ .

١- (مقام الامام أمير المؤمنين عند الخلفاء) ، ص ٢٩ .

٢- (طبقات ابن سعد) ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ ، طبعة بيروت ، ١٣٧٦ هـ .

و يروى بسند آخر عن سعيد بن جبير لـ ابن عباس قال : يَوْمُ
الْخَمِيسِ وَ مَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ! قال : اِسْتَدَّ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
[و ءاله] وَ سَلَّمَ وَ جَعَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَقَالَ : اِثْنُونِي بِدَوَاةٍ وَ صَحِيفَةٍ اُكْتُبُ
لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوْا بَعْدَهُ اَبَدًا ، فَتَنَازَعُوْا وَ لَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ .
فَقَالُوا : مَا شَأْنُهُ اَهْجَرَ ؟ اِسْتَفْهَمُوْهُ ! فَذَهَبُوا يُعِيدُوْنَ عَلَيْهِ فَقَالَ :
دَعُونِي فَاَلَّذِي اَنَا فِيْهِ خَيْرٌ مِّمَّا تَدْعُوْنِي اِلَيْهِ ... الحديث ^١ .

منع عمر من الإتيان بصحيفة و دواة لرسول الله:

و يروى بسند آخر عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : لَمَّا كَانَ فِي
مَرَضِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَ سَلَّمَ الَّذِي تُوَفِّي فِيْهِ ، دَعَا
بِصَحِيفَةٍ لِيَكْتُبَ فِيْهَا لِأَمَّتِهِ كِتَابًا لَا يُضِلُّوْنَ وَ لَا يُضَلُّوْنَ .
قال : فَكَانَ فِي الْبَيْتِ لَغَطٌ وَ كَلَامٌ وَ تَكَلَّمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . قال
فَرَفَضَهُ النَّبِيُّ .

و يروى بسند آخر عن عمر بن الخطاب قال : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ وَ بَيْنَنَا
وَ بَيْنَ النِّسَاءِ حِجَابٌ ، فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَ سَلَّمَ :
اِغْسِلُونِي بِسَبْعِ قَرَبٍ ، وَ اِثْنُونِي بِصَحِيفَةٍ وَ دَوَاةٍ ، اُكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوْا
بَعْدَهُ اَبَدًا .

فقال النُّسُوَّةُ : اِثْنُوا رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و ءاله]
بِحَاجَتِهِ .

قال عُمَرُ : فَقُلْتُ : اُسْكُتْنَ فَاِنْ كُنَّ صَوَاجِبُهُ ، اِذَا مَرَضَ عَصْرَتُنَّ
اُعْيِنُكُنَّ وَ اِذَا صَحَّ اُخَذْتُنَّ بِعُنُقِهِ !
فقال رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَ سَلَّمَ : هُنَّ خَيْرٌ مِنْكُمْ ^٢ .

١- (طبقات ابن سعد) ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

٢- (طبقات ابن سعد) ، ج ١ ، ص ٢٤٣ و ٢٤٤ .

و يروى بسند آخر عن العباس قال : لَمَّا حَضَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَ سَلَّمَ الْوَفَاةُ ، وَ فِي الْبَيْتِ رَجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَ سَلَّمَ : هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ
كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ !

فَقَالَ عُمَرُ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ غَلَبَهُ الْوَجَعُ ، وَ عِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا
كِتَابُ اللَّهِ ؛ فَأَخْتَلَفُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَ اخْتَصَمُوا ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : قَرَّبُوا
يَكْتُبْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَ سَلَّمَ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا
قَالَ عُمَرُ .

فَلَمَّا كَثُرَ اللَّغْطُ وَ الْإِخْتِلَافُ وَ غَمُّوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
[وآله] وَ سَلَّمَ فَقَالَ : قُومُوا عَنِّي !

فَقَالَ عُبيد الله بن عبد الله (بن عباس) : فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ :
الرَّزِيَّةُ كُلُّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَ سَلَّمَ
وَ بَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَ لَغْطِهِمْ^١ .

١- (طبقات ابن سعد) ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .

